الجزء الأول

قتال تحت الحصار

سجلها هيو ماى (سنة ٢٠٠٤)



مذكرات الحرب

الجنرال/ فونقويين جياب

ترجمة
د. عبد الوهاب محمد الزنتاني

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة



الجنرال جياب

مذكرات الحرب

الجنرال / فو نقويين جياب

قتال تحت الحصار

سجلها هيو ماى (سنة ٢٠٠٤)

مذكرات الحرب

الجنرال / فو نقويين جياب

قتال تحت الحصار

سجلها هيو ماى (سنة ٢٠٠٤)

ترجمة

د. عبد الوهاب محمد الزنتانى

الحائز على جائزة ابن سينا فى الأدب من أجل السلام

الجزء الأول

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

مذكرات الحرب

الدكتور/ عبد الوهاب محمد الزنتاني

الكتـــاب: مذكرات الحرب

المـــؤلـــف: الدكتور/ عبد الوهاب محمد الزنتاني

تاريخ النشر: ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ٢٠١٢/٣٦٦١

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 978-977-463-124-3

النـاشـــر:

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة والمطابع:

١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

تليفون: ٠٠٢٠٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس: ٠٠٢٠٢٧٩٥٤٣٢٤

التوزيـــع:

٣ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠٢٥٩١٧٩٥٩

www.dargharseb.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بين دفتى الكتاب

مقدمة المترجم

عندما فكرت فى ترجمة مذكرات الجنرال الفيتنامى الفذ (جياب) وهذا الاسم الذى اشتهر به بين أعظم العسكريين فى العالم المعاصر، رجعت إلى أوراقى ومقالاتى القديمة عن هوشى منه والحرب الفيتنامية التى نشرت فى الصحف أبحث فيها بحيث أتذكر أحاديث المناضل الذى قاد شعبه الفيتنامى إلى الاستقلال وانتصر على أقوى قوى العالم عسكريا ومنها فرنسا فى عز عنفوانها والولايات المتحدة الأمريكية فى أوج قوتها وغطرستها ، ذلك هو (هوشى منه).

وأنا من المعجبين كثيرا بالشعب الفيتنامى ونضالاته الطويلة وانتصاراته الرائعة، ولقد اخترت القليل من تلك المواضيع وهى تمثل أحاديث جرت منذ زمن بعيد ولم تنشر إلا أخيرًا أى منذ أكثر من عشر سنوات بجريدة الناصرية التى كانت تصدر فى لندن أى بعيدا عن أصابع الحكام العرب، وأرى أن هذه المقالات تعينني على أن أشكّل مدخلا معلوماتيا عن أفكار المناضل هوشى منّه وعن نضال شعبه ونظرته إلى العالم، هذا الرجل البسيط المتواضع الذى كان يجسّد رمز نضال الشعب الفيتنامى لأكثر من نصف قرن من الزمان، ومن المعروف أنه كان لكل أمة عبر كل مراحل التاريخ القديم والحديث والمعاصر أبطال نضالاتها واستقلالها وعزّتها وتقدمها وفيها منصفون يقدّرون البطولات والأمجاد ويتّخذون من ذلك برهانا على عظمة بلادهم، ولم تعدم أمتى العربية رجالا جسّدوا قدرتها على التقدم والتطور وتحقيق المعجزات عبر مراحل تاريخها القديم والحديث فى مجالات العلوم والآداب والثقافة والفنون والعسكرية وإن قد أصيبت بنكسات رهيبة خلال تاريخها المعاصر وبالتالى أصابها

الإحباط والتخلف والجهل مع الأسف، وصار حكامها لا يبالون بما حقق السلف بل ربما يفاخرون بما أفسد الخلف.

ونحن العرب فى الوقت الحاضر، أقصد الحكام العرب، نرفع الشعارات فقط ولا نعترف بالحقيقة وحتى هزائمنا نسميها نصرا، أما الرئيس هوشى منّه فقد قال: من لا يعترف بالهزائم يكون كمن يدور دوران الحمار فى الساقية، وأظن أن الحكام العرب يفعلون هذا تماما !

قال: ألم تقل أنكم أمة واحدة وتأتى الآن لتقول الحكام العرب فكيف يستقيم الأمر ؟!

قلت: لا أريد أن أشغلك فى حديث عن الحكام العرب ومصائب العرب وهزائم العرب وبترول العرب – إلخ، الشىء الذى ينطبق عليه معنى بيت الشعر الجاهلى:

(أربٌ من يبول الثعلبان برأسه لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب)

وهذا حال العرب، وما جئت إلا لأعرف فيتنام ونضالات الشعب الفيتنامى؛ إذ ربما يتّعظ بها العرب ؟ قال: لماذا ؟ هل هى الحروب الوحيدة وهل الشعب الفيتنامى هو الشعب الوحيد الذى حارب من أجل حريته ؟

قلت: على العكس يا سيدى، لقد قامت حروب كثيرة وبرز قادة ورجال عظام، وكان لتلك الحروب قصص وأساطير ولأولئك الرجال أمجاد وأمثال، ولكن الحال مع الشعب الفيتنامى مختلف تماما، فلقد حارب شعبكم أقوى قوة على وجه الأرض فى العصر الحديث مستخدما أظافره وأسنانه وكل وسائل الطبيعة كما استخدم بعض ما توفر له من سلاح ولم يشتكِ أو ييأس.

قال: وما الغريب فى ذلك ؟ إن من يطلب الحرية لابد أن يدرك أن ثمنها غاليا..

قلت: أيها الرفيق المناضل، فى بلادنا هذا الوقت نحن نريد الحرية بلا ثمن ونريد التقدم بلا علم أو تخطيط.

قال: هذا الأمر عجيب إنى لم أسمع فى حياتى بهذا الشىء، ثم أضاف، لقد قــرأت عن دعوة نبيكم محمد وكيف أنه بدأ ببضعة رجال وانتصر على الروم والفرس وغيرهم، وبدعوته وصبر رجاله المؤمنون نشأت حضارة لا مثيل لها، أليس أولئك هم العرب ؟

قلت: نعم أولئك هم العرب فقد كانوا أصحاب رسالة وكان الإيمــان يمــلأ قلوبهم وكانوا أمة واحدة فتقدموا وانتصروا وأبدعوا، لكنهم الآن أصحاب أمــوال وبترول وقلوبهم جميعا خلو من الإيمان، وهم عديــد مــن الــدويلات والممالــك والجمهوريات والإمارات والمشيخات إلخ أصحاب الجلالــة والفخامــة، والمعظّــم والعظيم والأوحد فلان بن علان.

قال: كفى، إن أمة هذا حالها لا يمكن أن تبقى على وجه البسيطة، وأضــاف هل حارب هؤلاء ؟

قلت: نعم لقد حاربوا ومازالوا يحاربون ليل نهار..

قال: كيف ومنذ متى ؟

قلت: نحن نحارب منذ قرابة نصف قرن من الزمان، ولقد اشتدت حروبنا بعــد اكتشاف واختراع الراديو (الله لا يسامح السيد مركونى) قطّب الرجــل جبينــه، وقال: لماذا تتحدث هكذا عن رجل عالم يعتبر من رواد العلم فى العصر الحــديث ؟ هل كان يحاربكم السيد مركونى ؟

قلت: يا سيدى إن حروبنا جميعها عبر الراديو والتلفزيون، هى حرب الكــلام، نحن نتشاتم ليل نهار عبر إذاعاتنا وتلك هى حروبنا !! وهى أقسى الحروب !!

قال: إذن أنتم تحاربون أنفسكم، وماذا تفعلون بالأسلحة التى لابــد أنكــم تشترونها أو التى تقدم إليكم ؟

قلت: إن حكامنا عندما ينهزمون فى معركة يقولون إن الــسلاح الــشيوعى السوفييتى لا يصلح وهو سبب الهزائم، ولهذا جئت أسألكم عن صحة هذا الكــلام لأن هؤلاء الحكام العرب لا يمكنهم أن يعتقلوك إذا ما خالفت رأيهم.

قال: لا أفهم ماذا تعنى ؟

أجبت: إن ما يقوله الحاكم فى البلاد العربية هو دائما عين الحقيقة، وهكذا فإن الحكام العرب قالوا: إن السلاح السوفييتى لا يصلح للحرب وكان علينا أن نصّدق رغم أنوفنا؛ لأن الحاكم الملك أو الرئيس هو الذى يقرر الحرب وهو الذى ينهيها، وبالتالى هو الذى يقرر الحقيقة وهو الذى يسن القوانين كيفما أراد، وهو الذى يقرر الثواب والعقاب، هو الذى يأتى بالوزير وهو الذى يطرد الوزير، بمعنى أنه هو الشعب والأمة وهو القانون إلخ..

وباستغراب قال: هل كان جمال عبدالناصر كما تقول ؟

قلت: أبدا إن عبد الناصر كان نصيرا للحرية فى كل مكان ومن طباع الحكام العرب غيره أن الحرية لا تعنى إلا حريتهم فى الطريقة التى يذبحون بها شعوبهم، وكان عبدالناصر اشتراكيا وفى مفهوم الحكام العرب أن الاشتراكية كفر وإلحاد ! لكن عبدالناصر مات فجأة.

قال: ولماذا مات؟

قلت: إننى مسلم أؤمن بالقدر المحتوم ولا أريد مناقشة هذا الأمر، وما جئت إلا لأسمع منك، أريد أن تتحدث عن صباك وعن غربتك وعن بداية إيمانك بالكفاح المسلح ولماذا اخترت هذا الطريق الوعر، أريد أن أسمع عن الثورة الفيتنامية وعن الشعب الفيتنامى والتاريخ الفيتنامى، وكيف أمكن الانتصار على القدرات الحربية الهائلة اليابانية والفرنسية ومن بعدهما الأمريكية؛ لأن فرصتى هذه قد لا تتكرر.

قال: إنك تطلب الكثير لكنى لن أبخل عليك وقد جئت من بلاد بعيدة.

تبسّم لأول مرة واعتدل فى جلسته، قال: إذا كنتم أمة واحدة فلماذا كل هذا العدد من الحكام الذين تسمونهم، وتوقف مفكرا ؟؟

قلت: مولانا الملك المعظم سليل الأسرة الكريمة فلان، وسيدنا وقائدنا ورئيسنا فلان، والرئيس الملهم فلان، وصاحب السمو المبجل الشيخ فلان بن علان.

رفع حاجبية وقال: لو سمع المواطن الفيتنامى عبارة القائد العظيم هوشى منه لرمى سلاحه فورا وركع للأمريكيين، ولكن من الذى يطلق هذه الألقاب على هؤلاء الناس وهل يسمعونها ؟

قلت: يا سيدى هم الذين يطلقونها على أنفسهم وعلينا نحن أن نرددها ليل نهار وعلى كل أطفالنا أن يحفظوها، بل وعلينا جميعا أن نصدّقها.

التفت ببطء إلى الوراء وجال بنظره فى أرجاء المكتب المتواضع ثم نظر إلىّ مرة أخرى وقال: إننى أخاف على شعبى من مجرد وجود هذه الصورة المعلّقة على الحائط، كانت هناك صورة مثبتة على الحائط خلف منضدة المكتب وهى عبارة عن صورة هوشى منّه (بالأبيض والأسود) فى برواز من الخشب العادى، جدير بالملاحظة أن المكتب خالى تماما من الأثاث عدا ثلاثة مقاعد مصنوعة من أعواد القصب ومنضدة صغيرة.

قال: أريدك أن تعرف أن اسمى هو (نجوين اى كوك) ومعناه (نجوين الوطنى) وينادوننى باسم (الجد هوشى) ولابد أن أبدأ بالقول: إن من يريد الحرب لابد أن يقرأ التاريخ ومن يريد أن يصنع السلام لابد له أيضا أن يقرأ التاريخ ولابد أن يعرف طبيعة الأرض التى يقف عليها ولهذا فإن الذين يحاربوننا الآن مهما بلغت قوتهم وقواهم لن ينتصروا فى بلادنا لأنهم يجهلون تاريخنا، وأذكر أننى عندما تحدثت مع ويلسون وكليمانصو ولويد جورج عن إعلان الاستقلال الأمريكى سنة ١٧٧٦ وتلك المبادئ الرائعة التى وردت فيه، وكذلك عن إعلان حقوق الإنسان الفرنسى كنت أعتقد أن هؤلاء الذين تحدثوا عن حقوق الإنسان إنما يدركون أهمية تحقيق تلك المبادئ مستنيرون بأحداث التاريخ وتطور الحياة فى كل مكان، ولسوء الحظ اكتشفت فيما بعد أن الإنسان الأمريكى ليس هو الإنسان الآسيوى أو الأفريقى،

وأن الإنسان الأوربي عبر عنه البيان الفرنسي دون غيره بدليل ما قام به الفرنسيون والأمريكيون ضد شعب بلادى وشعوب أخرى، ولعل الأمريكيون وقبلهم الفرنسيون لم يعرفوا أن الشعب الفيتنامى الفقير قد هزم كل الغزاة منذ مئات السنين، لقد هزم الشعب الفيتنامى الغزاة الصينيين قبل اكتشاف أمريكا بأكثر من ثمانية قرون: حيث أغرق القائد الفيتنامى (نغوين كوين) أسطول الغزو الصينى سنة ٩٣٨م وهزم القائد الفيتنامى (دوتوان هونج) الغزاة المغول سنة ١٢٨٨م وأغرق أربعمائة من سفنهم، ولقد أشرت إلى بعض هذه الأحداث فى مناسبة عيد الاستقلال الفيتنامى سنة ١٩٤٦ م عندما وقفت أتحدث إلى الشعب الفيتنامى وإلى شعوب العالم المحبة للسلام مذكّرا الجميع بأحداث التاريخ، ولكن يظهر أن هؤلاء الناس كانوا ينظرون فقط إلى ملابسى المهلهلة دون أن يستمعوا إلى كلامى.

لقد وقفت يوم إعلان الاستقلال أتحدث إلى الشعب الفيتنامى وكنت أرتدى ملابس قديمة، كنت أرتدى بدلة كالتى أرتديها الآن وكانت قديمة جدا؛ لأننى حضرت من الأدغال مباشرة، وكنت أنتعل حذاء مصنوعا من مطاط عجلة سيارة، وقال لى بعض رفاقى: إن هذا المظهر قد لا يتناسب مع جلال المناسبة، فقلت لهم: هذا مظهر وحقيقة شعبى، هذا لباس العامل والفلاح الفيتنامى وعندما يرتدى العامل والفلاح والجندى الفيتنامى لباس أفضل فسوف أغير ملابسى، قلت: فى تلك المناسبة إننا نقدّر كثيرا أدوار الرجال العظام فى التاريخ وهناك أمورا وإن كانت بسيطة لا يمكن أن تمحى من ذاكرة التاريخ، قلت: إنى أحد المعجبين بقول القائد البريطانى (ويلنقتون) فى المعركة التى انتصر فيها على الفرنسيين بمدينة (سالا مانكا بإسبانيا سنة ١٨١٢م) عندما تحدث إلى جنوده قائلا: (أيها الغلمان يجب ألا نهزم، فكروا بإنجلترا العجوز) وبذلك قاتل جنوده قتالا بطوليا وانتصروا، وهناك أمثلة كثيرة سجلها تاريخ الحروب وتاريخ الإنسانية إلخ.

هكذا كان حديث المناضل (هوشى منه) وكان طويلا وممتعا ولقد اكتفيت بجزء منه فى هذه المقدمة لكتاب أحد قادته العظام والآن لعلك عزيزى القارئ قد عرفت كيف انتصر هؤلاء الرجال.

د . عبدالوهاب محمد الزنتانى

بلدة الزنتان فى ٢٣ يوليو ٢٠١٠م

* * *

مقدمة الكتاب

خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين حدثت تطورات تاريخية سريعة متعاقبة، فبعد أكثر من سبعين سنة على وجود الاتحاد السوفييتي، مهد وحصن الاشتراكية انهار على غير توقع خلال أيام وانتهت الحرب الباردة، وبعد حرب الخليج فى ١٩٩١م ظهر النظام العالمى الجديد وأعلن عن عهد السلام، وبعد ذلك مباشرة على أى حال انفجرت الصراعات العرقية واحدة تلو الأخرى وقادة سياسيون أقوياء ذات يوم خلعوا الآخرون، وتقدم سريع فى المعلومات التكنولوجية والعلوم الحيوية أنبأت عن بداية مرحلة من التطوّر البشرى وحتى أن بعض العلماء المشهورين توقعوا خلق السماء على الأرض مع بداية القرن الواحد والعشرون، وبدلا من ذلك فإن القلق عام الآن، ليس فقط بسبب التوترات المتزايدة وعدم التفاوت بين الناس ولكن كذلك عن الحياة على الكوكب بسبب الاستغلال المبالغ فيه وعن الكوارث البيئية المدمرة للأرض والبحر وحتى طبقة الأوزون..

وفى وجه مثل هذه التغيرات العاصفة هناك حاجة كميل طبيعى لقيم ثانية وأن تلك القيم يجب أن يعاد تأكيدها بينما قيم أخرى يجب أن تغيّر على الرغم من أن خلق قيم جديدة ليس سهلا والتغيير لا يمكن أن يكون غير مرتبط بتاريخ الأمم والنجاحات أو الإحباطات السابقة، وعندما أفكر فيما شاهدت وجربت فإننى آمل أن أساهم فى حملة الترميم التى تجرى الآن بواسطة الحزب الشيوعى والشعب الفيتنامى ولقد وضعت لنفسى هدف بسيط هو أن أقول ما يجب حقيقة أن يقال..

إن ما يتعلق به كتابى آت من الشعب والانطباعات التى لازمتنى عندما قابلت (نقويين آى كووك) لأول مرة فى (كو هو يومنان بالصين) قبل نصف قرن مضى،

كان الجد (هو) معتدل فى كلماته وأعماله، وهو لا يظهر عاطفة مفرطة حتى عندما يكون سعيدا، ثم إن الحزن والقلق قلما يظهران على وجهه ولكن من تحت الهدوء تكمن مشاعر عميقة.

وخلال كل السنوات التى عملت فيها معه قلما سمعته يتحدث عن العقود الثلاثة التى قضاها بالخارج باحثا عن طريق لفيتنام من أجل أن تحقق الاستقلال، وتاريخ حياة الرئيس (هوشى منه) عن هذه الفترة يحوى الكثير من الفراغات التى تساعدنا الحقائق والوثائق التى اكتشفت حديثا على ملئها، فلقد جاء (الجد هوشى) إلى البروتارية العالمية من طريق مختلفة عن طرق الكثيرين من معاصريه، وفى البداية كان يعرف القليل عن المؤتمرات الشيوعية العالمية الثانية والثالثة وكنت قد تابعت العالمية التى وقفت من أجل تحرير المستعمرات وقد أشارت أطروحة لينين حول مشاكل الناس والمستعمرات قائلة: إنه من أجل أن تتحرر كل المستعمرات يجب أولا أن تكون هناك ثورة تقوم بها الطبقة العاملة، ولهذا فإن الجد هوشى منه التحق بالحزب الشيوعى من أجل إنقاذ شعبه.

لقد كتب فى وقت مبكر سنة ١٩٢١ فى المرجع الشيوعى قائلا: عندما ينهض مئات الملايين من الآسيويين المضطهدين والذين كانوا يواجهون المعاملات السيئة ليحرروا أنفسهم من الاستغلال البشع الذى يمارسه الاستعماريون الطامعون فإنهم سوف يشكلون قوة عملاقة قادرة على مساعدة أخوتهم فى الغرب بحيث يحققوا تحررهم الكامل ويدمروا أحد الشروط لوجود الرأسمالية وتحديدا الأمبرالية، وتقريبا فى نفس الوقت أصاغ إعلان وحدة المستعمرات الذى يذكر فى جزء منه ما نصه (ما الذى يجب أن يقوم به المرء من أجل تحقيق الحرية ؟) والإجابة أنها يأخى تقول: إن تحريرك لا يمكن أن يتحقق إلا بجهودك أنت، هنا يقول الجنرال جياب: عندما كنت فى (قويلين (١) كما طلب منى بواسطة (هيونج فان ثو) سألت الجد (هو) ما إذا كنا يجب أن نقيم اتحاد الشعوب المقهورة فى آسيا ؟ أجابنى قائلا: إن

الظروف غير ناضجة لعمل ذلك، والآن فإنه من الأهمية أن نقيم المنظمة التى تضم المقاتلين من أجل استقلالنا الوطنى ويجب أن تسمى مثل هذه المنظمة الواسعة الاتحاد من أجل استقلال فيتنام أو باختصار (فييت منّه [1]) وفى البداية هذا الاسم بدأ شاذا ولكن سرعان ما دخل تاريخ فيتنام وصار معروفا فى كل أنحاء العالم.

كان الجد (هو) مقتنعا بالفكرة القائلة إن القوة تكون يدا بيد مع الشعب، ذلك أنه بمجرد أن يستنير وينّظم الشعب ستكون له قوة بلا حدود ولقد كان هذا درساً اختطّه من روح نضال أمتنا التى لم تقهر فى الماضى ومباشرة من ثورة أكتوبر ([2]) وكان الجد (هو) يفكر دائما فى كيفية توحيد قواتنا بحيث تضم الفقراء والمضطهدين مع العمال والفلاحين، أى وحدة المستعمرين، وحدة الناس المضطهدين، فى آسيا وما إلى ذلك، كانوا جميعا قد نُظموا وتمسكوا جميعا بالصفات الوطنية وتضامنوا مع الحركة العالمية عن مصير فيتنام، وكان الوقت قد حان للتخلص من حكم الاستعماريين، إن فيتنام سوف تساهم فى تحرير الآخرين وانعتاق الجنس البشرى بنموذجها.

لقد ظهرت جمهورية فيتنام الديموقراطية إلى الوجود فى غمزة عين تاريخية بين ١٣ – ١٨ أغسطس ١٩٤٥م بين إعلان استسلام اليابان الذى أعلنه الامبراطور هيروهيتو) ودخول قوات الحلفاء فى شمال فيتنام، فى هذا الوقت أعلنت فيتنام نفسها أمة متّحدة ولو كانت قد أضاعت هذه الفرصة لكان يمكن أن تبقى مقسّمة إلى ثلاثة أجزاء أى (باك كى– وترونق كى– ونام كى) تحت الهند الصينية الفرنسية ويكون الشمال مواليا لحكومة (تشان كاى تشيك) وكان يمكن لفرنسا أن تعيد سيطرتها فى الجنوب، ويمكن لنضالات الشعب الفيتنامى من أجل الاستقلال أن تعتبر مجرد

[1] – هى مدينة فى مقاطعة قوانجكسى بالصين
[2] – الثورة الروسية سنة ١٩١٧م

عمليات نشاط متمردين، وبالتالى من يستطيع أن يعرف إلى أين يتدفق تيار التـــاريخ وبأى سرعة ؟

إن الحكومة المنتخبة حديثا بواسطة الشعب كانت حكومـــة وحـــدة وطنيـــة، والدولة الجديدة لم تشمل التنظيمات الثورية فقط ولكن أيضا ممثلين من الأحـــزاب السياسية الأخرى ومختلف الميول السياسية، بما فى ذلك العلمـــاء الوطنيـــون مثـــل (هيويانه ثوك خانق) وأعضاء من النظام السابق (خان كى توى وبى بـــانق دواى) والإمبراطور المخطوف حديثا (باو داى) والكاهن (لى هورو تير) الـــذى عمـــل كمستشار للحكومة فى بعض الوقت، أما المجلس الوطنى الفيتنامى فقد حفظ أكثـــر من خمس مقاعده لأعضاء من أحزاب مواليه لتشان كاى تشيك وهى الحزب الوطنى الفيتنامى وتحالف الثوريين الفيتناميين، وهذه المقاعد لم تشغل أثناء الانتخابات، وعلى أى حال فإن هذه الأحزاب لم تكن تأمل أن تنتخب فى الانتخابات الحرة العامة وكان الرئيس (هوشى منه) قد وقف بشدة من أجل التضامن الدائم مع النـــاس مهمـــا اختلفت ميولهم السياسية طالما أنهم يحبون بلادهم ويساهمون فى تحسنها واســـتقلالها وحرية وسعادة شعبها على الرغم من أن (فينه ثوى) قد غادر فيتنـــام إلى هـــونج كونج قبل أن تبدأ حرب المقاومة ومع ذلك أرسل الجد هوشى مبعوثـــا يـــدعوه إلى العودة والمشاركة فى فيتنام.

فى الحكومة الجديدة كل المواطنين حقوقهم مضمونة بالتساوى بصرف النظـــر عن الجنس والقومية والدين والغناء، كذلك فإن الالتزام بالضرائب فى كل شيء فقد خفضت للفلاحين الفقراء الذين يشكلون أغلبية السكان، ولأول مرة يصير العمال أسياد مقاديرهم ولقد ناشد الرئيس (هوشى منه) كل الرجال أصحاب الكفـــاءات المساهمة فى بناء الأمة الجديدة (فيتنام) وأدان ظهور الفساد وسوء استعمال السلطة بواسطة الثوريون الأفندية الذين يعيقون عمل الحكومة لزيادة الإنتاج بحيـــث تـــضع نهاية للمجاعة المفزعة، وكانت القوات الوطنية والمليشيات التى أكدت قوتها وقدرتها فى ميادين القتال صارت الآن تساعد فى بناء الثقة بالنظام الجديد.

وبعـــد أن أنجـــزت مهمتها التاريخية فى قيادة التمرد العام النـــاجح شـــاركت فيتنام مع المنظمات السياسية والاجتماعية فى إقامة جبهة متحدة واســـعة، أى اتحـــاد الشعب الفيتنامى.

وعلى الرغم من أن النظام الجديد كان قد ولد حديثا ومؤسساته كانت وليدة، فقـــد وقف بقوة فى وجه المحاولات الخطرة فى الشمال حيث فشلت قـــوات (تـــشان كـــاى تشيك) البالغ عددها مائتى ألف عن مساعدة عملائها الفيتـــاميين فى الإطاحـــة بـــإدارة الدولة الجديدة، وفى الجنوب كانت هناك عشرات الآلاف من القوات الفرنسية المـــزودة بالأسلحة الحديثة صارت غارقة فى حملة تهدئة فاشلة بالريف خارج المدن.

كانت فيتنام حينئذ غير معترف بها رسميا من جانب أى أمة فى العالم ولكن قلّة يمكـــن أن ينكروا عليها وجودها الحقيقى، وعندما دخلت قوات (تشان كاى تشيك) الـــشمال اتصل هذا بحكومة (هوشى منه)، وفى ٦ مارس ١٩٤٦ وقعت أول اتفاقية عالمية بـــين فيتنام الجديدة وممثلين عن الحكومة الفرنسية وقد رفع العلم الفيتنامى عاليـــا فى بـــاريس، وعلى قناة السويس والبحار الواسعة التى تربط بين فيتنام وفرنسا.

وبنظرة إلى الوراء لأكثر من نصف القرن الذى تضمن الكثير مـــن الثـــورات يمكننا أن ندرك مقدار ما حقق الرئيس (هوشى منه) عبر تمرد فيتنام وبناء أســـاس ثابت يمكن للأمة الفيتنامية أن تتقدم عليه إلى مستقبل أنصع. إن إعلان الاســـتقلال وأول دستور لفيتنام مازال يبقى قيّما على كل القضايا الأساسية، ويمكننا أن نـــدرك لماذا تطوّعت الأغلبية الكاسحة من الشعب الفيتنامى للقتال من أجـــل الجمهوريـــة الفيتنامية وأهدافها فى الاستقلال والحرية والتقدم، لقد كان وجود جمهورية فيتنـــام عنصرا هاما لتحقيق النصر الوطنى وبقائها خلال حربين رئيسيتين.

ويستمر الجنرال جياب وهو يتحدث عن الحرب أو السلام فى مقدمة كتابـــه، فى سنة ١٩٨٥ جاء عالم فرنسى إلى هانوى ووجه لى أسئلة من قبل ابنـــة المارشـــال

(ليكليرك) فقال: هل كان يمكن تفادى الحرب بين فرنسا وفيتنام ؟ وكانت عائلات كل من ليكليرك ودى لاترى دى تاسينجى (وهما عائلتا اثنان من قادة رئاسة أركان قوات الحملة الفرنسية فى الهندالصينية) من ضحايا تلك الحرب، ذلك أن كل عائلة قد فقدت ابنا فى ساحة الحرب بفيتنام وكانت الأمّان الاثنتان المتألمتان ترتديان لباس الحزن قد قابلتا رئيس الوزراء الفرنسى (بليفن) وسألتاه قائلتان: لماذا هذه الحـــرب غير العادلة طالت بغير سبب معقول ؟

ولعقود بعد انفجار تلك الحرب مازال المؤرخون يناقشون فى من الذى بدأها ؟ وفى أواخر سنة ١٩٨٠ كان المؤرخ النرويجى الشاب (ستين تونيسون) والمــؤرخ الفرنسى (فيليب دى ليفيرس) قد وصل كلاهما إلى نفس النتيجة الــتى تقــول إن (فاللوى) (رئيس هيئة أركان قوات الحملة الفرنسية) و (بيقنـــون - المنـــدوب السامى فى فيتنام) حاولا إعادة الحكم الفرنسى فى شبه جزيرة الهند الصينية بـــأى طريقة ممكنة فور أن تولى (ليون بلوم) رئاسة الحكومة الفرنسية حتى لـــو رفـــضت فيتنام أن تقدم ذريعة فإنهما قررا أن يستوليا على فيتنام بالقوة، لذلك تأكد سبب الأحداث خلال ليلة ١٩ ديسمبر ١٩٤٥ بشكل واضح، وكلا المؤرخين على أى حـــال مـــازالا مشوّشان حول لماذا قام الجيش والميليشيا الفتنامية أول من بدأ إطلاق النار على الرغم من أن الرئيس (هوشى منه) عمل كل شىء من أجل أن يتفادى الحرب ؟

وبمجرد أن بدأت الحرب أدرك الرئيس (هوشى منه) أن الوضـــع فى غايـــة الصعوبة؛ ذلك أن الفرنسيون سوف يصحوا من صدمتهم الأولية وأن فيتنام ســـوف يكون عليها أن تتحمل إعادة الاحتلال ولذلك عمل كل ما يمكن أن تتفادى الأمـــة حرب المقاومة التى سوف تسبب بالتأكيد معاناة هائلة.

الكثير من الناس مازالوا يرون أن حرب الهند الصينية وهى الأطول خلال هذا القرن قد بدأت فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٥ والواقع أنها بدأت قبل ذلك بمدة ١٥ شهرا وذلك عندما فتحت القوات الفرنسية النار فى ٢٣ سبتمبر ١٩٤٥ محاولة احـــتلال

(سايجون) وحينئذ انتشرت الحرب بسرعة على طول الجنوب وتوسّعت إلى شمال غرب فيتنام ولاوس وكامبوديا.

فى بداية أكتوبر ١٩٤٥ أرسلت وحدات من جيش التحرير الفيتنامى من (كاو بانج) مقاطعة الشمال الأقصى إلى العاصمة القديمة (هوى) ومقاطعة (كوينج نجاى) فى وسط فيتنام للقتال فى الجنوب ثم جاء تقدم القوات الفيتنامية من الغرب، وهكذا بدأت الآن فيتنام مقاومتها ضد حرب فرنسا العدوانية.

وطبقا للاتفاقية المبدئة الموقّعة فى ٦ مارس ١٩٤٦ بين فيتنام وفرنسا فإن فيتنام ماتزال دولة حرة ضمن الاتحاد الفرنسى وكان قد تم الاتفاق على الإستفتاء فى جنوب فيتنام ليتقرر فى هذا الجزء ما إذا سيكون تابعا لفيتنام أو لفرنسا، وكان المندوب السامى الفرنسى فى الهند الصينية (دى أرجينليو) أعلن قيام (نام كى كيو) بلاد منفصلة من (نام كى) وأرسل قوات لاحتلال المرتفعات و (تاى باك – المنطقة الشمالية الغربية) من فيتنام الذى يعنى تنازلا آخر من فيتنام وكان اهتمامنا ينصب على إيقاف القتال فى (نام بو) وبعض الحقوق فى الحريات الديموقراطية للمواطنين الذين يعيشون فى المناطق التى يحتلها الفرنسيون.

وفى منتصف أبريل ١٩٤٦ شاركتُ فى المباحثات التمهيدية بين فيتنام وفرنسا فى (دا لات) وهناك قابلت المندوب السامى الفرنسى (د – أرجينليو) ومع نهاية المؤتمر أحسستُ بأنه من الصعب تفادى الحرب؛ إذ إن الفرنسيون لم يخفوا رغباتهم فى استعادة سيطرتهم على الهند الصينية، وأثناء المناقشات فى باريس استمر التدخل والاستفزاز الفرنسى فى فيتنام ولم يكن أمامنا من خيار فى الرد غير بناء قوتنا والاستعداد لحرب المقاومة.

وفى النصف الثانى من شهر نوفمبر ١٩٤٦ احتلت القوات الفرنسية فجأة (هاى فونج) الميناء البحرى الوحيد فى شمال فيتنام وكذلك (لانج سون) وهى مقاطعة حدودية، وبداية من شهر أكتوبر تزايد التوتّر يوميا فى (هانوى) حيث

كانت الدبابات والعربات المدرعة الفرنسية تجوب الشوارع وكان الجنود الذين يعتمرون القبعات الحمراء أو السوداء يختطفون المسؤولين الحكوميين والمواطنين ويقتلون الناس فى الشوارع؛ ولذلك فإن ما حدث فى (هاى فونج) يمكن أن يحدث ثانية فى أى لحظة وكان علينا أن نتخذ الإجراءات لنحمى أنفسنا وقد طُلب من السكان إخلاء (هانوى) وأقيمت الحواجز فى المناطق المحادية لمعسكرات القوات الفرنسية وصار الاستفزاز من القوات الفرنسية حيث بدأت مرحلة جديدة فقصفوا الحواجز وأطلقوا النار على الجنود الفيتناميين الذين يحرسون محطة كهرباء (ين فو) ونكّلوا بسكان (هانق بون) وعاثوا فى شوارع (هانوى).

ولقد حاول الجد (هوشى منه) أن يحول دون اتساع الحرب أو على الأقل تأجيلها ولقد طلب عدة مرات من الحكومة الفرنسية ومجلسها الوطنى ورئيس وزرائها كما التقى قادة الجيش الفرنسى فى (هانوى) من أجل تفادى الحرب، وكان الجنود الفيتناميون والمليشيات قد أمروا بأن يبقوا هادئين وأن يتحاشوا الرد على استفزازات الفرنسيين.

فى ١٣ ديسمبر ١٩٤٦ عقدت وزارة الدفاع والقيادة العسكرية العليا اجتماعا تقابليًا مع قيادات المناطق شمال المنطقة العسكرية الرابعة لبحث الوضع العسكرى ولترسم خطة تاكتيكية للمواجهة فى حالة ما إذا بدأت فرنسا الحرب وقد صدرت خطط المواجهة على انفراد لكل قائد منطقة.

وفى ١٦ ديسمبر ١٩٤٦ أرسل (مورلبير) قائد القوات الفرنسية فى شمال الهند الصينية إنذارا إلى الحكومة الفيتنامية ذاكرا أن القوات الفرنسية سوف تقرر إجراءات خاصة فى (هانوى) فى موعد أقصاه صباح يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٤٦، وكأن كل استفزازاتهم والتنكيل بالمواطنين وقتلهم الجنود الفيتناميين لم توفر لهم المبرر الذى يتوقعونه، والآن قرروا إقامة الإدارة الخاصة بهم بحيث يمكنهم أن ينفذوا خططهم الحربية فى (هاى فونج) وفى ١٣ يناير ١٩٤٦وبعد ثلاث ساعات فقط

بعد أن أرسل الفرنسيون الى لجنة إدارة المدينة طالبين فورا سحب قـوات الجـيش الفيتنامى بالكامل وقد بدأوا بإطلاق النار وحاصروا المدينة،حدث هذا على الـرغم من أن حاكم المدينة قد استجاب وطلب مهلة من الوقت بحيث يحصل على موافقـة (هانوى) ولم يكن من الممكن السماح بسقوط العاصمة فى أيدى الأعداء، وكـان ذلك من واجب الحكومة الجديدة التاريخى بأن لا تسمح مرة أخـرى للعـسكرين والمدنيين فى المدن الفيتنامية أن يقعوا ضحايا الاحـتلال الأجـنبى، وفى ١٠ أبريـل ١٩٤٦ أصدر (فالوى) أمرا سريا دوريا إلى الوحـدات العـسكرية فى (هـاى فونج) يأمرها بإعداد خطة هجوم للقضاء على المقاومة والسيطرة تـدريجيا علـى المدينة فى أول فرصة ممكنة وقد أطلق على تلك الخطة اسم (سـيناريو الانقـلاب) وهو ما قامت به القوات الفرنسية فى مدن (هاى فونج ولانج سون).

فى صباح يوم ١٩ ديسمبر ١٩٤٦ وبعد آخر تبادل لوجهات النظر فى (فان فو – هاى دونج) أرسلت اللجنة المركزية برقية إلى القوات تقـول إن الفرنـسيين أصدروا إنذارا يطلبون فيه نزع سلاح جيشنا وبوليسنا وميليـشياتنا وأن الحكومـة الفيتنامية رفضت هذا الإنذار، ومباشرة خلال ٢٤ ساعة القادمة على الأكثر فـإن المعتدين الفرنسيين سوف بالتأكيد يباشرون الحرب ولهذا فـإن تعليمـات اللجنـة المركزية تقضى بالاستعداد.

وفى ظهيرة اليوم التاسع عشر أرسلت قيادة الأركـان برقيـات إلى المنـاطق العسكرية التالية (١–٢–٣–٤–١١–١٢) وإلى (دا نانج) تأمر ببداية الحـرب ضد الفرنسيين فى تمام الساعة ٢٠،٠٠ ولم يكن لدينا من الوقت غير يوم من أجـل إعداد البلاد لمرحلة جديدة وعنيفة من المقاومة ولكن ربما أمر فـتح النـار فى تمـام الساعة ٢٠،٠٠ كان متأخرا جدا؛ إذ إن (مورلير) كان قد أبلغ قيادته العسكرية على الأقل فى صباح يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٤٦ بأمر أن تقوم القوات الفرنسية بنزع

سلاح قوات (الفيت منه) فى (هانوى) ولقد اعتبر الفرنسيون أنه من واجبهم وحقهم أن ينفذوا خططهم فى أى وقت بعد أن أرسلوا الإنذار.

لقد أوضح الباحثون المطّلعون على حرب الهند الصينية أن (فالوك وبيجنون) اللذين رأسا قوات الحملة أرادا أن يوسعا الحرب فورا من أجل أن يضعا حكومة (بلوم) أمام الأمر الواقع وقد تحدّث (دى أرجينليو) القائد الأعلى لقوات الحملة بهدوء عندما كان يتصل بالفيتناميين ولكنه كان صلبا كالحجر أثناء المفاوضات،هذا الراهب فى ملابس عسكرية لا يعرف إلا القليل عن حقيقة الوضع فى هذا الوقت وليس لديه شيء من إحسان المسيح،ولا يجب أن ننسى أن (دى أرجينليو) كان تابعا مخلصا للجنرال (ديجول) الذى كان قد قرر استعمال القوة من أجل استعادة واستمرار استغلال فرنسا لمستعمراتها السابقة من أجل إنماء الاقتصاد الفرنسى الذى أنهك خلال الحرب، ولم يدرك (ديجول) أنه على خطأ إلا بعد أن فشل فى الجزائر، وهكذا الحال الذى كان عليه الرئيس الأمريكى (ترومان) الذى تولى الرئاسة حديثا من (روزفيلت) فى قيادة العالم الحر حيث كان سيىء السمعة فى مواقفه ضد الشيوعية.

فى هذا الوقت كانت بعض السلطات الفرنسية قد أدركت مخاطر الدخول فى حرب عدوانية، لكن هذه العناصر أصواتها ضاعت فى البرية، ذلك أن الإمبرياليون مازالوا يعتقدون أنهم يمكن أن يقهروا الشعوب الضعيفة عبر القوة العسكرية، وبمجرد أن توقد نار الحرب فإنه من غير الممكن إطفائها، وكان الرئيس (هوشى منه) بعد يوم ١٩ ديسمبر قد طلب عدة مرات من الحكومة الفرنسية أن تحاول الوصول إلى اتفاق مع فيتنام، وخلال فترة الحرب لم يترك فرصة تضيع دون أن يطلب السلام بين الأمتين ومع ذلك فإن لهيب الحرب لم يكن ممكنا أن يطفأ من طرف واحد.

إن أحداث أيام ١٩ – ٢٠ من شهر ديسمبر ١٩٤٦ مثلما هى حرب فيتنام على ضوئها كانت حتمية، إن المواجهة الشرسة بين الأمة الفيتنامية ونظامها

الديموقراطى مع الغازى الأجنبى استمر لمدة خمس سنوات، ونظرا لـضيق الوقت وظروف عملى فى إعداد هذا الكتاب على أية حال، فإننى سوف لن أكـون قـادرا على تغطية كل الأحداث فى قصة الحرب وبدلا من ذلك سوف أركّز على الأحداث العسكرية الهامة وفى هذا الجانب فإنى لن أكون قادرا على الإشارة إلى كل المنجزات التى تحققت فى ميادين القتال.

آمل أن تجرى أبحاث أخرى حول المشاكل التى واجهتنا فى المنـاطق المختلفـة والمعارك خلال تلك الفترة بحيث تجد يوما ما الاهتمام الذى تستحقه من البـاحثين والمؤرخين.

حدث أول صدام بين قواتنا المسلحة وجيوش الحملة الفرنسية فى (هـانوى) ثم فى المدن والبلدات الأخرى، وعبر تاريخ نضال فيتنام الطويل ضد الغزاة بداية من الأخوان (ترونج) سنة ٤٠ ميلادية لم يحدث قتال ضد قوات فى العاصمة أو المـدن الرئيسية، ومثل تلك الحرب قلما حدثت فى (ثانج لونج) العاصمة القديمة لفيتنـام خلال القرن الثالث عشر الميلادى تحت قيادة سلالة (تـران) ([٣]) وقـد صـد الفيتناميون المنغوليين ثلاث مرات رغم أن المعدات الحربية المستعملة حينئذ بواسـطة الطرفين كانت متشابهة، أما القوة الفرنسية فقد كانت مثل المـاء والنـار مجـبرة الفيتناميين على الانسحاب المؤقت من العاصمة بحثا عن مواقع استراتيجية مناسـبة ليدافعوا منها ضد الهجمات، وفى القرن التاسع عشر على الـرغم مـن أن حـصن (هانوى) احتجز ١٥٠٠ جنديا وأن قد احتل سريعا سنة ١٨٧٣ بواسطة مـائتى جندى فرنسى، ومرة أخرى سنة ١٨٨٢ بواسطة ٥٠٠ جندى فرنـسى، وعنـدما كنت أدرّس التاريخ فى مدرسة (ثانج لونج) ذكرت السبب فى أغلب الأحيان عن ذلك وفى الحروب الثورية لم يكن هناك نصر قوات محلية ضعيفة على جيش نظامى فى

[٣] – سلالة إقطاعية فى فيتنام استمرت من سنة ١٢٢٥إلى ١٤٠٠ م – المترجم

المناطق الحضرية، ولم يسجل التاريخ سابقة لحروبنا الماضية وانتصاراتنا اللاحقة؛ حيث كان علينا أن نجد طرقنا لنقاتل على أساس تجربتنا الضئيلة التى اكتسبناها من حربنا فى (ثاى نقويين) أثناء التمرد العام ومن القتال العنيف والقصير فى (سايقون ونها ترانق) ومؤخرا جدا من القتال ضد الفرنسيين فى (هاى فونج) وكان علينا أن نجهز خطط القتال للجيش وللمدنيين الذين سيواجهون لأول مرة بجيش أقوى منهم عدة مرات،وأدركنا أننا نحتاج للدفاع عن (هانوى) والمدن الأخرى منذ وقت مبكّر.

فى ١٩ أكتوبر ١٩٤٦- عندما فشلت المفاوضات فى تحقيق أى نتائج قرر مؤتمر كوادر المستوى المركزى أنه حالا أو فيما بعد سيقوم الفرنسيون بالهجوم ولهذا فإننا يجب أن نكون يقظين وجاهزين، وقد أمرت القيادة العامة أن ندرس ثلاث مشاكل، القتال فى المناطق الحضرية واعتبار (هانوى) الهدف الأولى، كيف يمكن التعامل مع الدبابات والعربات المسلحة، كيف يمكن تدمير الطرق، وهنا استنتج فريق بحث يدرس هذه المسائل أن السؤال الرئيسى هو كيف يمكن أن نقاتل وندافع عن المدن وكنت بانتظام أحضر مناقشات فريق البحث، وعندما عيّن (فان تين دونج بقرار من الحزب الشيوعى كرئيس لإدارة سياسية فى الوزارة تشاورت معه عن كيفية تنظيم عملنا وتأديته في حالة ما إذا توسّعت الحرب وشملت كل البلاد.

***

تمهيد

قبل البدء في ترجمة فصول كتاب مذكرات الجنرال نجوين جياب بعد ترجمة مقدمة كتاب هذا العسكرى الذى لم يدرس ولا دخل كلية عسكرية والذى هزم جيوش أقوى دول العالم (اليابان وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية رأيت أن أستهل الفصول (تعميما للفائدة) بفحوى حديث صحفى جرى مع هذا الجنرال عن معركة (ديان ديان فو) الشهيرة، وتفاصيل الحديث مهداة من المترجم إلى رجال المقاومة الوطنية فى العراق وفى فلسطين وفى الصومال وأفغانستان وإلى كل من يناضل فى سبيل الحق والحرية:

بداية الحديث :

سؤال من معهد الدراسات الفيتنامية، منذ هزيمة (ديان ديان فو) كثيرون من الجنرالات الفرنسيين والسياسيين كانوا يتهمون الجنرال الفرنسي (نافارى) بمسؤوليته عن خطة المغامرة العسكرية، هل تقول لنا من فضلك ما إذا كانت خطة (نافارى) فى الحقيقة مغامرة أو إنها خطة وضعت على أساس قواعد صحيحة ؟

الجنرال جياب، جواب:

عندما انتهت الحرب صار من السهل توجيه الاتهامات بجميع أنواعها إلى الجنرال (نافارى) وأن يقال إنه ما كان يجب أن يفعل هذه أو تلك، بينما التحليلات تكون سهلة عندما ينتهى القتال وتكون الخصائص الضرورية بين المتواجهين قد كشفت، وأنه لمن الصعب أن تتخذ القرار الاستراتيجى عندما تكون المعركة مهتاجة، ولمعرفة خطة (نافارى) فإننا يجب أن نضعها فى ظروف سنة ١٩٥٣ بعد الهدنة فى كوريا، فقد ركّزت الامبريالية الأمريكية جهودها على الهند

الصينية ولذلك فقد تلقت قوات الحملة الفرنسية زيادة معتبرة من المساعدات التى كانت تسمح لها القيام بضربات حاسمة على قواتنا وأن تطيل وتوسع مجال الحرب، وهكذا فإنها بمعانى كثيرة هامة وبمهام محددة تولى الجنرال (نافارى) القيادة فى الهند الصينية، ولم تكن خطة نافارى الأقل دراسة من خطط العمليات التى رسمت بواسطة القيادة الفرنسية فى الهند الصينية وقد أوجدت أمامها صعاب جديدة حادة، ومن جانبنا لم نقلل من تقدير خصمنا وإمكانياته، والجنرال نافارى اعتقد أنه بأى ثمن يجب أن يقوم بعدد كبير من العمليات ليحاول استعادة المبادرة، ولقد فعل هذا بتركيز ٤٤ كتيبة متحركة فى دلتا النهر الأحمر بوجهة نظر إلى تطبيق استراتيجية ملائمة فى الساحة الشمالية من العمليات، وفى واقع الأمر أن قواتنا النظامية فى الساحة الشمالية كانت أكثر أهمية من الجنوب وبالنسبة للفرنسيين كانت المشكلة هى كيف تتفادى هجوم قواتنا فى الشتاء والربيع ،لهذا قاموا بهجوم قوى وسريع الشيء الذى يجعل قواتنا غير قادرة على التنفس ويمكن تحطيمها أو تشتيتها، ومن هنا فسوف نجبر على البقاء فى حالة الدفاع، وبحلول نهاية الشتاء فإن قواتنا النظامية فى الشمال سوف تكون قد أضعفت بهذه العمليات وخلال فصل الأمطار عندما تكون قد تمهّلت سيكون ممكنا للجنرال نافارى أن ينقل قواته الضاربة إلى الساحة الجنوبية من العمليات بحيث يقوم بهجوم يقضى على المناطق المحررة بالمنطقة الداخلية الخامسة و(نام بوك) وكانت قواتنا فى هذه القطاعات ضعيفة نسبيا ويتوقع الفرنسيون تحقيق نصر سريع عليها، وتهديد القضاء على الجنوب وتحرير قواهم من واجبات الاحتلال كنتيجة لتسريع قوات المنظمات العميلة سيكون ممكنا لقوات الحملة الفرنسية مبكرا بحلول خريف سنة ١٩٥٤ أن تركّز وحدات قواتها الضاربة بالساحة الشمالية لتحقق انتصارات هامة بما يجبرنا على التفاوض فى وضع غير مفضّل، تلك كانت المسألة المفضلة المطلوبة من جانب الاستعماريين الفرنسيين، قوات الوحدات الضاربة الفرنسية فى الواقع كان لها قدرة حركة معتبرة بطائراتها وعرباتها المدرعة وسفنها،

وكان الجنرال نافارى يمكنه تحريك قواته من الشمال إلى الجنوب أسهل كثيرا من حالتنا ولقد كان قادرا على إخلاء (نا سين) بالجو وأن يقوم بهجوم على (لانج سون) وعلى (توى هو) بالقوات البرية والمظلية على (ديان ديان فو) وكان كل الناس فى المعسكر الغربى يصفّقون ويهنئون الجنرال نافارى لأنه ألهم القوات الفرنسية بروح فوّارة جديدة.

سؤال: كيف رددت على عدوانية الخصم ؟

الجنرال جياب، جواب: كان يمكن أن تتأثر معنوياتنا، وكان يمكن أن نتزلق فى اتجاه اليأس أمام قوة الخصم المتزايدة، وهذا فى الوقت الذى كان فيه شعبنا يشن حربه الصعبة خلال ثمان سنوات ويمر بالآلام والتجريد الهائل، والآن علينا أن نتعامل ليس مع الاستعماريين الفرنسيين فقط وإنما أيضا مع المساعدات الأمريكية المتزايدة لهم ونواجه خصم لم يضعف وإنما يقوى، ومع ذلك، فنحن حزب له تجربة فى الثورة والنضال والمقاومة العسكرية وقد اكتشفنا سريعا نقاط ضعف العدو وفى نفس الوقت أدركنا كم هى عظيمة قدرات جيشنا وشعبنا.

سؤال: كيف هى نقاط الضعف ؟

الجنرال جياب، جواب: هناك تناقض موروث فى كل حروب العدوان، فإذا ما قامت الهيئة الاستطلاعية بتجميع قواها فى محاولة للقضاء على قوتنا الأساسية فإنها لن تكون قادرة على الاحتلال والسيطرة على مساحات واسعة، وإذا ما حاولت أن تحتل أكثر ما يمكن فإنها سوف تجبر على تقسيم قواها والتى بالتالى ستكون بشكل خاص عرضة لهجوماتنا، ومن جانبنا فإننا نرى واجبنا الأساسى القضاء على قوة العدو البشرية، وطالما أن جيشنا ضعيفا فإننا نهاجم الوحدات الصغيرة والمواقع الأقل أهمية وبذلك تكون الخسائر التى تقع للعدو متزايدة كل سنة، وهناك واحدة من مبادئنا الأساسية فى استراتيجيتنا وهى أن نهاجم قوات العدو أينما ظهرت وفى المواقع

الضعيفة نسبيا، ومثل هذه الأمور ما كنا نفتقر إليها، ومهما كان عدد القوات المتوفرة للعدو فإنها لا يمكن أن تحتل وتسيطر على بلد كله وقف شعبه بالكامل من أجل تحقيق استقلاله وحريته، وكانت القيادة الفرنسية قد توقّعت أن هجومنا يكون على الدلتا في الشمال فقمنا بالهجوم في اتجاهات أخرى وبذلك أفسدنا خطتها الأولية مجبرينها على توزيع قواتها المتحركة التي كانت قد تجمعت بأقل صعوبة.

سؤال: كيف واجه الجيشان كل منهما الآخر في (ديان ديان فو) ؟

الجنرال جياب، جواب: ديان ديان فو لم تكن جزءا من خطة الجنرال نافارى الأولية، فعندما علم أن قواتنا النظامية تتحرك في اتجاه الشمال الغربي أسقط قوات المظليين ليحتلوا ذلك الفضاء والذى كان في ظنّه سيكون قاعدة هجوم تعجز قواتنا في تلك المنطقة ومنعها من توسيع عملياتها إلى (لاوس) ولكن القيادة الفرنسية تلك كانت أيضا مأخوذة بفكرة أخرى حيث كانت في يأس تبحث عن مواجهة عنيفة التي تأمل منها أن تكون مؤثرة في الجسم الرئيسي من قواتنا وهي كذلك تتوقع أننا سوف نسحق بواسطة القوات الفرنسية بما لها من القدرات الفنية، وفي مواجهة خطتنا في اتجاه الشمال الغربي قرر الفرنسيون خطة مضادة معارضة حيث تكون (ديان ديان فو) مصيدة تقع فيها قواتنا وتكون غير قادرة على المقاومة وبالتالي تدمر بنيران المدفعية من التحصينات الهائلة في المعسكر القريب.

سؤال: وأنتم اتجهتم مباشرة إلى المصيدة أليس كذلك ؟

الجنرال جياب، جواب: سواء أكانت قواتنا أو خصومها ستقع في المصيدة هذا كان تقرره قوة الجيوش المتقابلة وجها لوجه واستراتيجية وتاكتيكات اتجاه العمليات والى أن يحدث ذلك فقد قمنا بالهجوم على مواقع التحصينات المعزولة والتي توجد بها قوات صغيرة فقط، وفي هذا كان علينا أن نتعامل مع معسكر محصّن بعدد ٤٩ نقطة قوية التي تساند بعضها وكانت تدافع عنها ٢١ كتيبة أغلبها كان من

الوحدات الهجومية من الحملة الفرنسية ومجّهزة بمدفعية ثقيلة وعربات مدرعة ودبابات يساندها عدد كبير من الطائرات الحربية، وفى الماضى كانت هجوماتنا ضد مواقع محصّنة كقاعدة استمرت لليلة واحدة وقد تعاملت قواتنا مع نقاط العدو ليلا تدمرها وتنسحب قبل انبلاج الفجر وكان من الواضح أن معركة (ديان ديان فو) ستستمر لوقت أطول وهذا خلق لنا مشاكل جديدة.

سؤال: فى موقع الأهمية، أى المعارك مثّلت المشكلة الأولى ؟

الجنرال جياب، جواب: فيما يتعلق بلوجستية التموين لم تكن القيادة الفرنسية مخطئة كثيرا عندما فكرت أن المشكلة عديمة الحل، وفى الحملة الماضية عندما دخلنا فى عمليات على بعد حوالى مائة كيلومترا عن قواعدنا بعدد صغير من القوات كان علينا عمليا أن نعوّد أنفسنا عدّة مرات على شربة ضئيلة كوجبة أكل وفى بعض الأحيان كنا مضطرّين أن نتخلى عن أهدافنا بسبب عدم توفر التموين المناسب، وكانت (ديان ديان فو) تبعد بين ٥٠٠ إلى ٦٠٠ كيلومترا عن مكان مؤخرتنا وقواتنا فى المقدمة تتكون من عدة كتائب وكان العدو يهتم بنقاط ضعفنا ولهذا لم تتوقف طائراته عن قصف طرق إمداداتنا التموينية فهل تعرفون كيف أمكننا أن نحل هذه المشكلة ؟ إنه بواسطة التعبئة الهائلة لشعبنا كله وعلى أى حال فأنا لا أريد أن أردد ما عرفه أغلب القراء الذين أدركوا كيف نجحنا بوسائل أولية وتحقيق هذا الواجب الخطير جدا.

سؤال: هل بمجرد توفر التموين والذخائر اعتقدت أن المشكلة قد حلت ؟

الجنرال جياب، جواب: لقد كانت المشكلة أبعد من أن تحل، فقد كان علينا أن تنصب مدافعنا فوق قمم التلال أو الجبال دون أن تدمر بواسطة قذائف العدو، وأولا كيف ننقل مدافعنا فوق قمم الجبال المحيطة بمعسكر (ديان ديان فو) حيث لا يوجد فى أى مكان حتى أثر بسيط للتخفى، وكيف نصل إلى مواقع العدو دون أن

نذبح بواسطة نيران أسلحته ومواقعه القوية ومن الجو ؟ ولا ننسى أن قواتنا كان علينا أن تعبر منطقة فضاء واسعة التى يستطيع فيها الخصم استخدام دباباته وعرباته المدرعة، إن مدافعنا لابد أن تنقل باليد إلى أعالى الجبال وأن تخفى فى تمويه جيد كما أنه كان علينا أن نحفر مئات الكيلومترات من الخنادق والممرات بلا تعب أو ملل خلال عدّة أسابيع وأنتم تعرفون ذلك وكيف أمكننا أن نصل إليهم.

سؤال: ولكن كيف حدث أن الجنرال (نافارى) الذى لديه شبكة مخابرات جيدة فشل فى أن يرى كل ذلك ؟

الجنرال جياب، جواب: الجنرال (نافارى) خبير فى عمل المخابرات والاستعماريون الذين حكموا فى بلادنا خلال ٨٠ سنة كانوا محاطون علما به، ولكن نافارى مثل بقية جنرالات فرنسا ارتكب خطأ فى الاستراتيجيات التى نتجت مباشرة من سوء التقدير، من فقدان المعرفة الكاملة للخصم، نافارى لم يدرك أنه يواجه أمة بكاملها، جيش شعبي يشن حربا شعبية، والواقع أنه لا نافارى ولا أى جنرال فرنسى آخر عرف شعبنا وجيشنا، وهم أساسا اعتمدوا على السلاح، على مسائل فنية.

سؤال: ولكن ألا تعتمد القيادة الفرنسية أيضا على بعضا من قواها الضاربة ؟

الجنرال جياب، جواب: هى فعلت، حتى أنها انغمست فى حرب قوات المظلات وأدخلت الجحفل الأجنبى، واعتبرتهم فى غاية الامتياز، حرب آلات بدلا من حرب رجال، تدريب ميكانيكى ولأتكلم مثل العلماء النفسانيين، أن التكيّف المطوّل حول هؤلاء الرجال إلى (روبوتس – الرجل الآلى) الحرب تجارهم لكنهم لم يسألوا لماذا يحاربون، يعتمدون على السلاح والتدريب الميكانيكى أكثر من على روح الجنود، أن نافارى مثل كل الجنرالات البرجوازيون بالغ فى قوته، ولكن مازال العيب الأكثر جدية لجنرال هو أن نافارى لم يعرف خصمه.

سؤال: كتّاب كثر، خصوصا العسكريون أعابوا على نافارى بسبب ذلك، وقد أعطوا الانطباع أن أى جنرال آخر ما كان ارتكب خطيئة نافارى فى (ديان ديان فو) ما رأيك فى هذا القول ؟

الجنرال جياب، جواب: كما قلت، إنه من السهل أن تصدر أحكاما فيما كان قد حدث، فلو كان أولئك الخبراء قد قادوا قوات الحملة الفرنسية فى سنوات (١٩٥٣- ١٩٥٤) ربما ما كانوا سيختارون قرارا استراتيجيا فى (ديان ديان فو) ولكن على أى حال كان يمكن أن يدفعوا بقواتهم فى مكان آخر، وأن أى خطة من آخرين كان يمكن إفشالها من طرفنا، أولئك الذين استخدموا البحرية والدبابات والطائرات والمدفعية يصعب عليهم معرفة كيف يمكن لجيش يفتقر إلى التجهيز أن يقف ويواجههم، فالجنرال (ليكلير) عندما نزل فى (سايجون) أعلن أنه سوف يهدئ (نام بو) خلال ثلاثة أسابيع، والجنرال (دى لانرى دى تاسيقنى) تصوّر أنه يمكن أن يسقط كل شيء ويسحقنا إلى قطع، وأن سبعة جنرالات فرنسيون بالتوالى ارتكبوا نفس الخطأ فى التقدير.

سؤال: ألم تكن (ديان ديان فو) حالة خاصة ؟

الجنرال جياب، جواب: لماذا ؟

سؤال: من المعروف عموما أن الشعب الصغير والضعيف وبلا أسلحة حديثة للحرب يمكنه أن يواجه قوات امبريالية فقط فى حرب عصابات خاطفة وفى هجمات صغيرة بقوات متواضعة العدد فى وقت قصير من الزمن وغالبا بالمفاجأة، وفى (ديان ديان فو) كان هناك قتال استمر ٥٦ يوما وليلة من خلال مناطق خنادق استعمل فيها الجانبان أسلحة حديثة ومعدات ؟

الجنرال جياب، جواب: إن (ديان ديان فو) ببساطة أكدت أنه عندما نطول حرب تحرير وطنية فإن الجيش الشعبى يكون قادرا على التحول من حرب العصابات

إلى الحرب النظامية وهذا تطوّر ضرورى فى نمو الجيش الثـورى، وخطـأ الجنـرال (نافارى) مثل كل الجنرالات الامبرياليين وهو الشك فى أن الفلاحين البـسطاء فى غالب الأحيان أميّين غير قادرين أن يكونوا رجال مدفعيـة جيـدين وأن أولئـك الملاكات الذين لم يدرسوا فى كليات عسكرية مثل (ساينت سير أو ويست بوينت) لا يمكنهم أن يحلّوا مشاكل العمليات الاستراتيجية والتاكتيكية واللوجيـستية الـتى يظهر أنها محتكرة على العسكريين البورجوازيين.

سؤال: هل يمكننا أن نسألك، أين وكيف قمت بدراستك العسكرية ؟

الجنرال جياب، جواب: أنا لم أدرس فى أى كلية عسكرية، ولكـن فى وقـت (ديان ديان فو) كنت ورفاقى نقاتل منذ عشر سنوات فى حرب عـصابات، أولا ضد الغزاة من اليابان ثم الغزاة من فرنسا، أن نضال الجيش الشعبى خـير مدرسـة، ومع ذلك، فى قتال الجيوش كما فى كل الأنشطة الثورية التجريبية ليـست كافيـة فهناك نظريات علمية.

سؤال: كيف هذه انعكست عمليا على منظمة قواتنا، وهل هناك ما يشابهها فى الجيوش البور-جوازية ؟

الجنرال جياب، جواب: يمكن أن يكون هناك تشابها مع الجيوش البورجوازيـة ولكن ذلك يتصل بالظروف الخارجية فقط، فى الحقيقة إن قواتنا النظاميـة تكـوّن رأس الهرم فى حين أن قاعدته تتكون من وحدات الشعب المقاتلة فى البلاد ذلـك أن شعبنا بالكامل حمل السلاح، والفلاحون تعلّموا كيف يستخدموا السلاح دفاعا عن قراهم، وأفضل المقاتلين فى القرى أختيروا ليكوّنوا وحدات قتالية مناطقية ومختارون آخرون من الوحدات الشعبية المقاتلة قادوا الوحدات النظامية، وهناك عـدد مـن وحدات المقاتلين المحليين فى الواقع يقاتلون مثل الوحدات النظامية، ولا توجد دولـة بورجوازية تجرؤ على تسليح الناس مثلما عملنا نحن، ويجب علىّ أن أضيف أنـه فى

الوقت الحاضر حيث إننا مازلنا مهددين بالغزو أن أهلنا فى الشمال مستمرون فى تدريباتهم العسكرية ولهذا فإن أى جيش غازى سوف يواجه قوات نظامية ووحدات مقاتلة شعبية منظمة بشكل أفضل ومدربة أكثر مما كانت فى سنوات الحرب مع الفرنسيين.

سؤال: هكذا منظمة تظهر على أنها أكثر دفاعية من كونها هجومية، أليس كذلك ؟

الجنرال جياب، جواب: الواحد يمكنه القول أن هذه المنظمة تجعل الأمر ممكنا فى الحالتين أى أن تقوم بالواجبين الدفاع والهجوم، إن الجنرال (نافارى) أعتقد أنه بتهديد مناطقنا المحررة بقواته المتحركة يمكنه أن يجبرنا على إبقاء وحداتنا النظامية فى الخلف وبالتالى يبطل خططنا الهجومية، وكان علينا فقط أن نعزز قواتنا فى المناطق المهددة، بينما تبقى قواتنا النظامية تقوم بالهجوم على العدو أينما ظهر.

سؤال: إذا كنا قد فهمناك جيدا، فقد كانت تحت تصرفك قوة متحركة هامة ؟

الجنرال جياب، جواب: بالضبط، وقد تحررت من واجب الدفاع، فإن قواتنا يمكنها الهجوم فى أى مكان تريده بينما تكون قوات العدو المتحركة مرغمة على أن هرع لنجدة كل جزء مهدد، وافتقار قواتنا إلى الطائرات والعربات المدرعة والسفن فهى فى الواقع أكثر قدرة على الحركة من العدو، وبعض وحداتنا سارت آلاف الكيلومترات على الأقدام خلال حملة الشتاء والربيع سنوات (١٩٥٢ – ١٩٥٤) ولكن بدون قوات المناطق ومنظمات المساندة العديدة من شعبنا كان علينا أن هرع بقواتنا أينما يهاجم العدو ونبقى دائما فى وضع المدافعين.

سؤال: قبل (ديان ديان فو) هل حصل جيش الشعب الفيتنامى على فرصة تدريبات خاصة ؟

الجنرال جياب، جواب: عندما توقفت الحرب، تطورت فنون ومعدات قواتنا وبالتالى انتقلنا من حرب العصابات إلى الحرب المتحركة مهاجمين الكثير من المواقع

المحصّنة الهامة وقد تمتعت قواتنا بالتدريب العسكرى المناسب والتثقيف الذى كنا نراه فى غاية الأهمية ولكن ما كان مؤثرا فى إحداث النصر وجعله ممكنا لقواتنا والتغلب على كل الصعوبات الفنية خلال فترة الإعداد كما خلال القتال الحقيقى كان فى الواقع هو العنصر السياسى، ولم يكن جيشنا لأهداف سياسية فقط.

سؤال: فى ماذا يتضمن هذا العنصر السياسى بالتحديد ؟

الجنرال جياب، جواب: فوق كل شىء، الوطنية، الالتزام الوطنى، رغبة تحرير البلاد، ذلك أن ثورتنا بالدرجة الأولى هى ثورة وطنية وهى أيضا ثورة ديموقراطية، وقد قام حزبنا بإصلاحات زراعية بينما كانت الحرب دائرة وجنودنا كانوا فى الغالب فلاحين فقراء وخلال دراساتهم السياسية يتذكر كل منهم كيف كان مستغلا ومضطهدا من جانب الإقطاعيين ملاك الأرض كم من المعاناة والتحقير عانت منهما عائلته، وكم خرب الاستعماريون فى وطنه وهم يرتكبون أشنع الجرائم، رجالنا فى المقدمة يتسلمون الرسائل من زوجاتهم وأهلهم يعلمونهم عن الإصلاحات الزراعية القائمة بسرعة ويعبرون عن سعادتهن بذلك وعن تحمس جماهير الفلاحين الهائجين، ولقد غرس حزبنا فى قواتنا دون انقطاع وعيا مضاعفا، وجيشنا هو جيش فى خدمة شعبنا وليس فى خدمة الطبقات المرفّهة كحالة الجيوش البورجوازية.

سؤال: هل هناك أى تناقض بين الوعى الوطنى ووعى الطبقات ؟

الجنرال جياب، جواب: إطلاقا لا بالنسبة للفلاحين الفقراء والمثقفين التقدميين، لتكتسب هذا الوعى الطبقى هو أن تشعر من جانب الكراهية العميقة ضد المستغلين والإمبرياليين وطبقة الإقطاعيين، ومن الجانب الآخر الأخوة مع المستغلّين والمضطهَدين، وهذا الوعى الطبقى مكّن جنودنا من أن يروا أبعد من حدودهم الوطنية وليشعروا بالقرب من كل الناس فى العالم بما فى ذلك الشعب الفرنسى، وبعد دراساتهم للثقافة السياسية جميعهم كانوا يتطلعون إلى إنجازات جديدة وجيشنا بكامله قام بالحرب فى حماسة جديدة.

سؤال: هل العمل السياسى فى الجيش يشمل مجرد التثقيف فى الأسئلة السياسية العامة ؟

الجنرال جياب، جواب: ليس كذلك، أن الكادر السياسى أيضا عليه أن يجعل كل رجل كليا يلم بقواعد العمليات التى تقدم خلالّ كل حملة وفى كل معركة ينظر فى عناية بكل التفاصيل فى حياة الجنود، فمثلا، قبل الهجوم على قواعد المقاومــة فى (ديان ديان فو) كان الواجب الأساسى حفر خنادق تؤدى نحو مواقع العدو وإقامة سواتر تحمى تقدم قواتنا وإتمام هذا العمل بشكل جيد هو جزء من العمل السياسى، ولقد استمر القتال مدة أطول وكان بحماسة بالغة، وكانت معنويات جنودنا بشكل عام ممتازة ولكن ذلك لا يعنى أنه لم تظهر أى ميول سلبية بينما كانت الحملة علــى أشدها نظمنا سلسلة من المحاضرات والنقاشات علــى ضــوء التعبئــة الــسياسية والأيدولوجية والمعنوية وكان لها تأثير حاسم فى تحقيق النصر النهائى.

سؤال: طبقا للمطبوعات الغربية أن قيادة قوات الشعب لا تحتسب الخــسائر وعادة ما تستخدم تاكتيك الموجات البشرية فى الهجوم على المواقع المحــصّنة إلى أن تغمر العدو، وهذه التاكتيكات كما يقولون تحدث بسبب تعصّب القادة، فماذا تقول فى هذا الرأى ؟

الجنرال جياب، جواب: إن الجيوش المنكسرة لابد أن تجد نوعا من الأســباب لهزائمها، ولكننى يجب أن أقول أيضا أن هؤلاء الكتّاب الغربيون يلفظون قلّة الفهــم عن ماذا يكون جندى الثورة، إن جندى الثورة يتمتع بوعى سياسى رفيــع، وعــى وطنى ووعى طبقى، ولقد خصصنا الكثير من الوقت فى تكوين وتحسين هذا الــوعى السياسى، وبالنسبة لقيادة جيش الشعب الجندى فى المقام الأول فدائى ورفيق سلاح ولهذا السبب فنحن نحاول تحاشى الخسائر قدر استطاعتنا، إن الجندى المفقــود هــو رفيق مفقود وليس مجرد جندى عادى، ولكن نحن كذلك نغرس فى رجالنا فكرة أنه

لا إنجاز ثورى يمكن أن يتحقق بدون تضحيات ولا يجب أن يتوقعوا أن الاستعماريين أو الرجعيين الآخرين يمكن أن يتخلوا من تلقاء أنفسهم عن امتيازاتهم بوهم، وبالنسبة (لديان ديان فو) مثلما كل الحملات الأخرى فنحن قمنا باستعداداتنا بكل عناية وعملنا على تأكيد تفوقنا الكامل فى عدد القوات وقوة النيران وفى كل مرة نقوم بالهجوم تكون خسائرنا فى الرجال دائما قليلة نسبيا، ونحن نوبّخ بشدة أولئك الكوادر الذين يدفعون برجالهم فى عمليات مغامرة، ولكن عندما تكون ضرورية يكون هناك رجال جاهزون للتضحية بأرواحهم من أجل الوطن، ومن أجل المصالح العظمى للثورة، وما يسميه بعض الناس تعصّبا هو فى الواقع بطولة ثورية لجيش يعمل فى خدمة الشعب.

سؤال: لو استلمت الحملة الفرنسية المزيد من الطائرات والسلاح هل كان يمكنها أن تحقق النصر ؟

الجنرال جياب، جواب: ما كان يفتقده الاستعماريون ليس السلاح، وفى هذا الخصوص فهم يتمتعون بتفوق كامل علينا، إن ما كانوا يفتقدونه هو الرجال، الرجال الراغبون فى القتال، إن (دى لاترى دى تاسيقنى) مثل (نافارى) أراد أن يقيم جيشا من العملاء ليعالج به النقص فى الجيوش، ولكن عدد الجيوش لا يصنع قيمة الجيش، وإذا ما أردتم أدلّة أكثر انظروا إلى الأمريكان فى جنوب فيتنام، فهم اعتقدوا أنهم وجدوا الحل باستخدام الطوّافات (الهيلوكبترز) والعربات البرمائية وأنظمة الاتصالات المتقدمة جدا وكل أنواع الأسلحة الجديدة بما فى ذلك الكيماويات السامة، فكيف هو حالهم الآن فى جنوب فيتنام ؟ إن حالتهم الآن ماتزال غير مستقرة كما هى حالة الفرنسيون منذ عشر سنوات ماضية.

سؤال: إنه من المعتاد أن تؤخذ دروس من الأحداث العظيمة، فهل يمكنك بإيجاز أن تقول أشياء نتعلم منها عن أحداث معركة (ديان ديان فو) التاريخية ؟

الجنرال جياب، جواب: لقد هزم شعبنا وجيشنا جيشا لديه معدات قوة هائلة ذلك لأن رجال بلادنا وقواتنا كانوا متحركين بعزيمة أكيدة للقتال ولتحقيق النصر والاستقلال الوطنى، يقاتلون تحقيقا لمشروع توزيع الأرض على الفلاحين ومن أجل السلام والاشتراكية، وبالتالى فإن العدو ووجه بصف متّحد من كل طبقات المجتمع، وبكل الميول السياسية وكل المناطق وكان لنا خط سياسى عسكرى واضح وكان انتصار (ديان ديان فو) قد حدث من كل شعبنا الوطنى المقاوم وكان إنجازا من حزبنا، إننا نعيش فى عصر لم تعد فيه الإمبريالية تفعل ما تشاء، وأن هناك عددا من البلاد الاشتراكية بقوة سياسية ومادية عظمى، بحركة تحرير وطنية تبرز كإعصار تصنع الظرف المناسب جدا لنضال الشعوب المضطهدة، وعلاوة على ذلك، أن حروب الشعوب يشنها جيش شعبى يمكن بصدق اعتبارها واحدة من هذه الفتوحات الحاسمة، وأكثر أهمية من أى سلاح لبلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، إن الشعب الفيتنامى بتحرير نفسه يفخر بأنه يساهم فى تحرير الشعوب الشقيقة، أنا أعتقد فى وقتنا الحاضر أن الجيش الإمبريالى مهما بلغت قوته، ولا جنرال إمبريالى مهما بلغ نبوغه يمكن أن يهزموا شعبا، حتى لو كان صغيرا وضعيفا، إذا ما وقف بجد وناضل فى اتحاد متبعا خطا سياسيا وعسكريا صحيحا، ولقد علمتنا تجربتنا أن الواحد لا يجب أن يخامره الشك فى نوايا الإمبريالية، والاستعمار فى أشكاله الجديدة هو أكثر خطورة من الاستعمار القديم، وأن شعوب العالم يجب أن تستعد للنضال ضده بالسلاح إذا كان ضروريا، ونحن لا يجب أن نعجب بقوة الأسلحة الحديثة. إن قيمة الرجال هى التى على المدى البعيد تقرر نتائج النضال، لقد كان هذا التمهيد ضروريا لأنه ربما يلخص كل ما جاء فى المذكرات.

***

الفصل الأول

نحن نطلب السلام ولهذا لابد أن نقدم تنازلات، ولكن كلما قدمنا أكثر كلما أخذ االإستعماريون الفرنسيون ميزة منا لأنهم قرروا أن يحتلوا، وإنما سوف نضحى جميعا بدلا من أن نضيّع بلادنا، لا، لا يمكن أن نستعبّد، رفاقى الأعزاء دعونا ننهض، هذا نداء من الرئيس (هوشى منّه) لكل الشعب من أجل الالتحاق بالمقاومة..

(١)

عندما نراجع الوضع بعد ذلك ندرك أننا خلال الأيام الأولى من المقاومة استطعنا أن نفعل ما يظن فى نظريات العسكريين التقليديين أنه مستحيلا، وكنتيجة للاتفاق الذى تم بين القوات المتحالفة فى اللقاء مع حكومتنا فإنه يسمح للقوات الفرنسية أن تدخل شمال فيتنام لحفظ السلام وتحل محل قوات (تشان كاى تشيك) الذى يعود إلى الصين، ولهذا دخلت وحدات من القوات الفرنسية مدينة (هانوى) وكل المدن الكبيرة والبلدان محتلة مواقع عسكرية هامة مثل المطارات والموانئ وحدث أول صدام بين قواتنا المسلحة وجيوش الحملة الفرنسية فى (هانوى) ثم فى المدن والبلدات الأخرى، وعبر تاريخ نضال فيتنام الطويل ضد الغزاة بداية من الأخوان (ترونج) سنة ٤٠ ميلادية لم يحدث قتال ضد قوات فى العاصمة أو المدن الرئيسية، ومثل تلك الحرب قلما حدثت فى (ثانج لونج) العاصمة القديمة لفيتنام خلال القرن الثالث عشر الميلادى تحت قيادة سلالة (تران)، وقد صد الفيتناميون المنغوليين ثلاث مرات رغم أن المعدات الحربية المستعملة حينئذ بواسطة الطرفين

كانت متشابهة، أما القوة الفرنسية فقد كانت مثل الماء والنار مجبرة الفيتناميين على الانسحاب المؤقت من العاصمة بحثا عن مواقع استراتيجية مناسبة ليدافعوا منها ضد الهجمات، وفى القرن التاسع عشر على الرغم من أن حصن (هانوى) احتجز ١٥٠٠ جنديا وأنه قد احتل سريعا سنة ١٨٧٣ بواسطة مائتى جندى فرنسى، ومرة أخرى سنة ١٨٨٢ بواسطة ٥٠٠ جندى فرنسى، وعندما كنت أدرّس التاريخ فى مدرسة (ثانج لونج) ذكرت السبب فى أغلب الأحيان عن ذلك وفى الحروب الثورية لم يكن هناك نصر قوات محلية ضعيفة على جيش نظامى فى المناطق الحضرية، ولم يسجل التاريخ سابقة لحروبنا الماضية وانتصاراتنا اللاحقة حيث كان علينا أن نجد طرقنا لنقاتل على أساس تجربتنا الضئيلة التى اكتسبناها من حربنا فى (ثاى نقويين) أثناء التمرد العام ومن القتال العنيف والقصير فى (سايقون وڤها ترانق) ومؤخرا جدا من القتال ضد الفرنسيين فى (هاى فونج) وكان علينا أن نجهّز خطط القتال للجيش وللمدنيين الذين سيواجهون لأول مرة بجيش أقوى منهم عدة مرات،وأدركنا أننا نحتاج للدفاع عن (هانوى) والمدن الأخرى منذ وقت مبكّر.

فى ١٩ أكتوبر ١٩٤٦ عندما فشلت المفاوضات فى تحقيق أى نتائج قرر مؤتمر كوادر المستوى المركزى أنه حالا أو فيما بعد سيقوم الفرنسيون بالهجوم ولهذا فإننا يجب أن نكون يقظين وجاهزين وقد أمرت القيادة العامة أن ندرس ثلاث مشاكل، القتال فى المناطق الحضرية واعتبار (هانوى) الهدف الأولى، وكيف يمكن التعامل مع الدبابات والعربات المسلحة، وكيف يمكن تدمير الطرق، وهنا استنتج فريق بحث يدرس هذه المسائل أن السؤال الرئيسى هو كيف يمكن أن نقاتل وندافع عن المدن وكنت بانتظام أحضر مناقشات فريق البحث، وعندما عيّن (فان تين دونج [٤])

[٤] – جنرال بأربعة نجوم فى الجيش الفيتنامى – المترجم

بقرار من الحزب الشيوعى كرئيس إدارة سياسية فى الوزارة تشاورت معه عن كيفية تنظيم عملنا وتأديته في حالة ما إذا توسعت الحرب وشملت كل البلاد.

فى ١٦ سبتمبر ١٩٤٦ غادر الجد (هوشى منه) ميناء (طولـون عائـدا الى فيتنام، وفى ١٦ أكتوبر التقى مع (دى أرجينلير) فى ميناء (كام رانـه) ولم يكـن الاتفاق المؤقت الذى تم فى يوم ١٤ سبتمبر بشأن إيقاف إطلاق النار محافظ عليه فى (نام بو) بجنوب فيتنام، وفى ٥ نوفمبر كتب مذكراته الشهيرة، وقد سـألنى عـن الواجبات الحالية الضاغطة التى عملنا بها أخيرا خلال منتصف نوفمبر، قـال: إذا لم يكن ممكنا تفادى الحرب كم من الوقت نسطيع فيه أن نحافظ على (هانوى ؟) إننا يجب أن نناضل بحيث نحافظ عليها لمدة ١٥ يوما على الأقـل، ورددت قـائلا: إن القيادة العامة أعدت خطة تاكتيكية للعاصمة فى حالة ما بدأ العدوان.

وبعد احتلال (هاى فونج) يوم ٢٣ نوفمبر استنتجت اللجنـة المركزيـة أن الفرنسيين من المؤكد أنهم سيبدءون العدوان على العاصمة وبالتالى ستكون حـرب الأرياف حتمية، وهكذا أصدر الجد هوشى مع اللجنة قرارا يقـول، إذا مـا كـرر الفرنسيون ما كانوا عملوه فى (هاى فونج) فإن البلاد كلها ستنهض لمواجهة عـدوانهم فى البداية، ولهذا سوف نحاول أن نمزق أطراف العدو، ندمر جزءا من قواتـه، ونقـوى وضعنا بالتمسك بالأرض ونعزل القوات الفرنسية فى كل مدينة أطـول وقـت ممكـن وهكذا نوفّر لشعبنا الوقت من أجل أن يستعد لحرب طويلـة، والفرنـسيون سـوف يهاجموننا فور إتاحة الفرصة وعلى أى حال علينا أن نحاول بكـل الطـرق أن نتفـادى الحرب، ولا يجب أن نسمح لأنفسنا بأن نُستفز، مما يعطيهم مبررا للهجوم علينـا ، وفى المدن يجب تحويل كل شارع إلى خندق، وفى الأرياف فإن كل قرية يجب أن تتحـّول إلى قلعة، إن مقاومتنا سوف تشمل كل الشعب فى كل المجالات للحرب الدائمة.

وبعد المؤتمر كلفت هيئة الأركان والقيادة العامة فى ساحة الحرب (هـانوى) أن تعد خطة تاكتيكية للبلاد وهانوى وكُلفت أنا من جانب الحزب بتولى مـسؤولية

الشئون العسكرية، ولهذا جعلت أقابل تكرارا إدارات حكومة الشعب وأعضاء الحزب فى العاصمة بحيث أشرح خطة اللجنة المركزية من أجل المقاومة الشعبية، وفى أواخر نوفمبر عقدت اللجنة المركزية مؤتمرا مع قيادة الجيش ولجنة الدفاع عن المنطقة التى تحددت منذ وقت قريب فى (هانوى) أى (المنطقة — ١١) وتقرر أن يكون كل من (نقويين كوتيك وفيرونق ثيرا وفو لام كينه وكوانق ترونق ولى كواين با) أن يكونوا بالمتوالى قادة للحرس الوطنى فى (هانوى) وبعد ثورة أغسطس الناجحة عيّن (لى ترونق توين) قائدا لقوات الدفاع الذاتى والميليشيا فى (هانوى) وبعد أن غادر كل من (نقويين كوييت وكوانق ترونق) إلى جنوب فيتنام وذهاب (لى كوانق بى) إلى المنطقة (١٢) صار (فيرونق ثيرا فو) قائدا عاما و(ترانق دو) مفوضا سياسيا فى منطقة (هانوى) و (نقويين فان تران) رئيسا للجنة الدفاع.

ومن جانبى فقد شرحت لهم سريعا الوضع الحرج الذى نواجهه بسبب محاولة الفرنسيين إعادة احتلال فيتنام كما درسنا خطة اللجنة المركزية والجد (هو) للدفاع عن العاصمة.

فأولا: يجب علينا تحطيم وتدمير جزءا من القوات الفرنسية وإبقائها فى هانوى والمدن الأخرى أطول مدة ممكنة بحيث يمكننا أن نوّفر لشعبنا الوقت الكافى للتعبئة،

وثانيا: ومع تدمير قواهم فإنه يجب علينا أن نقوم بكل شيء ممكن للمحافظة على قوتنا بالتأكد ومراقبة وضعنا فى الجبهة حيث متى كان ممكنا نقل قواتنا من المدن لتنضم إلى الجيش والشعب فى الأرياف ولتقوم بحرب مقاومة طويلة.

ثالثا: إن هانوى يجب أن تكون برهانا ومثالا على الشجاعة والإبداع فى الوطن كله والتماسك القوى يجب أن يخلق بين الجيش ووحدات الدفاع الذاتى والبوليس، وأكثر من ذلك أن المدينة العاصمة يجب أن تظهر التضامن وتقدم المساعدة لأولئك الفيتناميين والمقيمين الأجانب الذين لا يمكن إخلاء المدينة منهم فى الوقت المناسب.

ونظرا لطبيعة العدو وقدراتنا الذاتية فقد أشرت إلى أن تاكتيكاتنا سوف تتكّـون أساسا من استخدام قوات صغيرة مستفيدين من ميّزة تضاريس كـل جـزء فى أى مدينة مستخدمين بشكل صلب كل مبنى وكل مجّمـع مبـانى وكـل العوائـق فى الشوارع، ومهاجمة العدو بكل طريقة ممكنة وباختصار فإننا يجب أن نتفـادى نـشر قوات كبيرة فى ميدان المعركة الكبيرة وبدلا من ذلك نخلق صعوبات وأحراج للعدو بتحقيق انتصارات صغيرة.

(٢)

فى هذا الوقت كانت القوات الفرنسية عددها تسعون ألفا فى الهند الـصينية ونحن كان لدينا حوالى اثنان وثلاثون ألفا من المقاتلين فى كل البلاد، ورغـم العـدد الصغير فإن الفرق فى التنظيم والمعدات وتقنيات الخبرة كان عظيما الـشىء الـذى سجل تاريخا فى التخلف من جانبنا، حيث كانت حملة القوات الفرنسية تتكون مـن جنود محترفين منظّمين فى وحدات مشاة ودبابات ومدفعية وطيران حربى ووحـدات بحرية، وكانت القوات الفرنسية منتصرة لتوّها فى الحرب العالمية الثانية ولهذا كانـت لديها أحدث المعدات الغربية، وكانت أسلحة غواصات (ثومبسون) قد أحبطـت معنويات جنود اليابان الفخورين على أرض جزر (سولومون) وبالنسبة للجـيش الفيتنامى فقد كان يتكون من رجال المشاة فقط أغلبهم كانوا مدنيين ارتدوا ملابس عسكرية لتوّهم وكانت معداتهم ضعيفة وكانت كل وحدة من هذا الجيش أكثر من ثلثها مزوّدة بالبنادق فقط وقليل من الذخيرة وكل فوج منها لدية ثلاثـة أو أربعـة رشاشات خفيفة أو ثقيلة وبعض مدافع المورتار، أما الوحدات التى كانت قد تدرّبت فى الحرب ضد اليابانيين بمنطقة (فييت باك) فقد غادرت مبكرا إلى الجنوب،البعض من رجالها عينوا قادة للوحدات التى تشكلت حديثا، ومنذ شاركت قواتنا فى وقـت مبكر فى الدفاع ضد الفرنسيين فإن هؤلاء الجنود لم يُدربوا فنيا وبشكل جيد وبالتالى

كان أغلبهم لا يتقنون إطلاق الرصاص جيدا، وقد نظّم جيشنا فى شكل أفواج وكان لكل فوج منطقة عمليات تغطى اثنتان أو ثلاثة مقاطعات بجانب كتائب من الحرس ولم يكن لدى القيادة العليا والمناطق قوات رئيسية (وحدات قتال كبيرة).

وطبقا للاتفاقية التمهيدية الموقّعة فى ٦ مارس ١٩٤٦ كان لفرنسا الحق فى نقل عدد خمسة عشر ألف جندى إلى شمال فيتنام من شمال (ذيان يانج) ولكن فرنسا بشكل غير قانوني زادت هذا العدد إلى ثلاثين ألفا من الجحفل الأجنبى المختار وعدد كبير من الوحدات الفنية وفى المدن مثل (نام دينه وهاى دوررونج و هيو) كان هناك كتيبة من الجنود الفرنسيين بل هناك اثنتان فى (دا نانق) وفى (باك نينه وباك قيانق) كان للفرنسيون فوج واحد، وفى (فينه) كان لديهم فصيل واحد فقط..

كانت القوات الفرنسية تتركز فى (هانوى) بما فى ذلك فوج من رجال المشاة وفوج من الدبابات والعربات المصفحة وفصيل من المدفعية وفريق من رجال المغاوير وفوج من رجال المظلات مع الطيران والبحرية الحربيين، وقيل إن المجموع كله (ستة آلاف وخمسمائة) إضافة إلى أن هناك عدد سبعة آلاف فرنسى مقيمون فى (هانوى) زوّدوا بالأسلحة أيضا.

تتكون قوات الفييت منه فى (هانوى) من ستة كتائب حرس وطنى أى ألفين وخمسمائة وخمس عشرة رجلا وحوالى ثمانية آلاف من رجال الدفاع الذاتى من ضمنهم رجال دفاع الإنقاذ الوطنى وحرس الدفاع الوطنى فى المصانع وأولئك الذين فى حصن (هيونج ديو) وفريق من طلائع البوليس ولقد أصدرت القيادة العامة تعليمات بزيادة معدات القتال فى (هانوى) والواقع أن هانوى قد توفرت بها معدات أكثر قليلا من بقية المدن.

كانت القوات الفرنسية الموجودة فى فيتنام الشمالية قد هربت إلى الصين بعد الانقلاب اليابانى الذى وقع فى ٩ مارس ١٩٤٦ وعادت إلى الشمال الغربى من

(يونمان) وإلى منطقة الساحل الشمالى من فيتنام من (كوانج دونج) مع قواتها المتبقية وعددها ستون ألفا بما فيهم عدد من العملاء ولقد احتلت القيادة الفرنسية جنوب فيتنام (بما فيها نام بو وأقصى الجنوب المركزى من فيتنام وأراضى المرتفعات الوسطى) وكانت (لاوس وكامبوديا) من المتوقع أن تقاتل فى حرب عصاباتنا، وقررت القيادة العليا الفيتنامية أن هانوى لا يجب أن تسقط إثر هجوم مفاجئ إذا ما بدأ العدو بالهجوم أولا، ويجب أن نقوم بالرد الفورى ذلك أن القتال فى العاصمة سيمثل روح المقاومة فى البلاد كلها وأن هانوى يجب أن تجعل العدو فى مكانه دون تقدم على الأقل لمدة شهر كامل وذلك من أجل أن نتيح الفرصة للشعب كى يستعد للحرب.

وفى الأماكن التى يكون فيها العدو ضعيفا نسبيا مثلما فى (نام دياه و هاى دونج وباك نينه وباك جيانج وفينه ومناطق ٢- ٣- ٤- و ١٢) فإن الأوامر قد صدرت لتدميره أو إيقاع أكبر قدر من الأضرار في قوات الحامية الفرنسية.

فى حروب المناطق (٦-٧-٨-٩) فى جزء من جنوب فيتنام و(ناو بو) أمرت قواتنا بتعزيز قتال العصابات بالتنسيق مع حروب المناطق الأخرى بحيث يصعب على العدو إرسال تعزيزات إلى شمال أو وسط فيتنام، وفى حالة ما إذا قررت اللجنة المركزية الحرب الشاملة فى البلاد فإن إشارة سترسل من طرف القيادة العليا إلى جميع مناطق الحروب وكانت لدينا خطة تاكتيكية وطنية لأول مرة؛ حيث اعتبرت هانوى الخط الأمامى لساحة الحرب فى بداية المواجهة العامة، وعندما درسنا كيفية الدفاع عن هانوى على الرغم من أن خططنا كانت واضحة فإن بعض الرفاق مازالوا يعرضون إرسال المزيد من أعداد الجنود الشجعان وحرّاس الدفاع الذاتى فى مهمات مختارة داخل رئاسة قيادة القوات الفرنسية فى هانوى ذلك أن مثل هذه الطريقة كانت قد استخدمت بواسطة اليابانيين ليلة ٩ مارس ١٩٤٥ ولكن هذه الخطة كانت فى غاية الخطورة بالنسبة لنا، ومع ذلك فإنه طالما أن حملة القوات

الفرنسية هذه كانت مختلفة بالكامل عن حملة القوات الفرنسية فى بداية سنة ١٩٤٥ وعلاوة على ذلك أن قواتنا كانت مجهّزة بشكل ضعيف وأقل كثيرا فى الخبرة من القوات اليابانية كان عددا من الضباط اليابانيين السابقين الذين اختاروا التطّوع إلى جانب الفيتناميين اقترحوا إنشاء ثلاثة خطوط دفاعية مع تحصينات قوية حول هانوى بحيث يمكن إيقاف العدو خطوة بخطوة، وكان هذا تاكتيك دفاعى تقليدى لكننا لا ننوى اتباع هذه الطريقة بسبب من قلة معداتنا وقوة رجالنا.

لقد ذكّرت القيادة العسكرية للحرس الوطنى فى هانوى والمجموعة الصغيرة من طلائع المنبثين الذين جعلوا القوات الفرنسية محشورة فى ساحة الأوبرا بهاى فونج لمدة يوم كامل، وخلال ستة أشهر صار سكان هانوى معتادون على مواجهة انتهاكات الفرنسيين بواسطة إقامة الحواجز بالمقاعد والمناضد والأسـرّة والخزانات وقفل الشوارع بواسطة الأشجار والأعمدة وعربات القطار، ومع ذلك فإن هذه الحواجز لم تكن أكثر من عوائق لتعطيل تقدم القوات لبعض الوقت وكان علينا أن نبنى العديد من الخطوط المتوازية من الحواجز والخنادق وتوزيع الجنود لاعتراض العدو، وبعمل ذلك يمكننا عمليا مواجهة تقدم عربات العدو المصفحة ومشاته، وطالما أن شوارع هانوى معطلة بالخنادق قمنا بفتح وسائل اتصال بواسطة فتحات بين البيوت وبذلك ضاعفنا حركة قواتنا.

وببناء العديد من الخنادق المتوازية يمكننا منع الفرنسيين فى وسط المدينة من مهاجمة أطرافها وبالتالى الدفاع عنها لوقت أطول، وبعد وزن الفوائد والمضار قدمت قيادة المنطقة الحادية عشر خطة تقضى بمهاجمة العدو فى الداخل ومحاصرته فى الخارج أو كما أشار الرفيق (فونج ثيرا فو) طريقة ثنائية تاكتيكية خطرة على أعدائنا من خلال الشوارع القديمة المجاورة لقلعة هانوى حيث تتركز القوات الفرنسية، وقررنا أن ندافع عن المنطقة الداخلية رقم واحد بكل جهودنا العليا وعند انفجار الحرب فإن خمس كتائب من الحرس الوطنى وقوات الدفاع الذاتى سوف تدمر المواقع

الفرنسية المعزولة وقواعد المعدات الهامة مثل محطة الكهرباء ومحطات المياه وخزانات الوقود وجسر (لونج بيين) والمطار، وسوف يدافعون عن قواعد ممثلياتنا الرئيسية مثل (باك بو وقاعة المدينة ومبنى البريد) وبعد عدة أيام ستنسحب كتيبة من الحرس الوطنى إلى المنطقة الداخلية رقم (١) بحيث تستمر فى القتال جنبا إلى جنب مع ميليشيات الدفاع الذاتى وسوف تتفرّق أربع كتائب أخرى وميليشيات المناطق (٢– ٣) فى الأطراف معتمدة على الحصون بحيث تحميها وستستمر فى القتال ومهاجمة العدو لمساندة المنطقة الداخلية رقم (١) ومنع الهجوم الفرنسى على أطراف هانوى.

وافقت على هذه الخطة التى تقضى بالهجوم على العدو من الداخل والخارج وهى التى ستحرج الفرنسيين وتجبرهم على الدفاع عن أنفسهم فى الجانبين وفى نفس الوقت فإن قواتنا سوف تتمكن من التحرك متحاشية الهجوم إلى خطوط دفاعية قوية، وكانت خطة الدفاع التاكتيكية عن هانوى قد أعدت بكل تفاصيلها وبعناية دقيقة حسابية عن كمية الذخائر والأطعمة ومياه الشرب التى تحتاجها القوات المدافعة عن المنطقة الداخلية رقم (١) وكانت واحدة من أشد الصعاب التى نواجهها باستمرار تتمثل فى الفروق الملحوظة فى المعدات والتكنيك بيننا وبين الفرنسيين حيث إننا فى كامل جبهة القتال لدينا ٢٢٥٠ أسلحة نارية أغلبها بنادق قديمة مع ذخائر قليلة، وفى المعدل قنبلة يدوية واحدة لكل اثنين من مقاتلينا.

قررنا أن نقوم بمناورة خداعية واسعة لمدة إسبوع كامل وكان الآلاف من رجال الميليشيا المحيطين بالمدينة قد زحفوا إلى داخل العاصمة لتعزيز القوات المحصّنة وبعد منتصف الليل انسحبوا إلى الخارج بهدوء، وكانت خطة القتال قد نفذت بشكل عاجل فى ردهات المدينة وكان وجه المدينة يتغير فى كل يوم وشوارعها تتحول إلى حصون وذات مرة زرت ردهة (هون كييم) فشاهدت شبابنا يضعون الأقطاب الفولاذية ويحفرون الخنادق وكذلك جذوع الأشجار ليضعوا بها الألغام ،

فكرت وقتئذ أن الغضب الذى غرسته جيوش (تشان كى تشيك) والقوات الفرنسية قد هيأنا عمليا للحرب.

فى منتصف ديسمبر ١٩٤٦ أعدت التأكيد للجد هوشى منه أن هانوى يمكن الدفاع عنها لمدة شهر ويمكن أكثر، وكانت القيادة العليا قد قررت بداية الحرب فى تمام الساعة ٢٠،٠٠ يوم ١٩ ديسمبر ١٩٤٦ ولكن منطقة هانوى فقط هى التى نفذت الأمر فى الوقت ذاته والأماكن الأخرى كانت متأخرة من ساعتين إلى سبع ساعات بل هناك فى بعض الأماكن التى بدأ فيها الفرنسيون الهجوم علينا قبل أن نبدأ، ولم يفاجأ الفرنسيون بالكامل غير حذرين، ولقد كتب مؤرخ تاريخ فيتنام يقول (فى يوم ١٩ وتمام الساعة ١٨،٠٠ أن رجلا من دم مخلوط كان عميلا للاستخبارات المضادة ينسلّ بين جنودنا حيث أبلغ أن ثلاثة ألوية من القوات الفيتنامية وميليشيات الدفاع الذاتى أمرت بأن تبدأ الهجوم فى تلك الليلة ولهذا فإن (موليرى) قائد القوات الفرنسية فى فيتنام فورا وضع قوات الحملة الفرنسية فى حالة استعداد كامل (٥) وكانت القوات الفرنسية جاهزة فى كل مكان وما كان قد فاجأهم هو أن جيشا صغيرا بتجهيزات ضعيفة قد تجرأ على مهاجمة قوات الحملة وكانت تلك هى الميزة الوحيدة التى حزناها عندما انفجرت الحرب فى كل البلاد.

(٣)

كانت إشارة بداية الحرب فى هانوى قطع التيار الكهربائى بحيث تبدأ مدفعية قاعدة (لانج) العسكرية بإطلاق الدفعة الأولى ولقد احتجنا إلى مساعدة الظلام فى بداية عمليتنا العسكرية، ومع ذلك فإن هذا لم يكن سهلا ذلك أن الكهرباء كانت تنتج فى محطة (ين بو) التى كانت محروسة بخليط من المقاتلين الفيتناميين والفرنسيين وأن كمية من المتفجرات كان لابد من وضعها فى المكان المناسب عند بداية الهجوم

٥ – اخيرا عرف أنه جنرال باربعة نجوم فى جيش الشعب الفيتنامى ز. المؤلف .

وإذا ما اكتشفها الفرنسيون فسوف يكون لديهم المبرر لاحتلالها ومهاجمة قواتنا فى كل مكان بالمدينة، وفى قرية (ثاى مو) الواقعة على بعد عشرة كيلومترات من هانوى كنت أنتظر تلك الدقيقة، وكان (هيونج فان ثاى) ينتظر فى الوزارة بجانب التليفون من المحوّل الواقع فى بلدة (ها دونج) وذلك من أجل متابعة العملية وإبلاغى خلال كل ساعتين، وفى تمام الساعة٣ ٠٠،٢٠ قطعت الكهرباء فى هانوى ولعلعت المدفعية فى معسكر (لانج) والعاملون فى محطة الكهرباء بقيادة الرفيق (قيانج) أنجزوا مهمتهم الرائعة ومباشرة بعدئذ فإن كل أرجاء هانوى امتلأت بأصوات الانفجارات من الأسلحة النارية وقنابل المدفعية وقد توهجت حافة الغيوم بشكل رائع من أثر النيران وكان أولئك الذين كانوا موجودون ليلة الغزو اليابانى قالوا الآن إنها الحرب الحقيقية.

رد الفرنسيون على الفور فقد جاء أغلب القصف من جانبهم وكان مقاتلونا قد أمروا بالاقتصاد فى الذخيرة منذ بداية القتال، ولقد أبلغ (هيونج فان ثاى) سريعا عن التطورات فى الجبهة قائلا إن قواتنا دمرت العديد من الجيوب المعزولة من قوات العدو وأعداد من جنود الحرس الفرنسيون فى القوات المختلطة الفرنسية الفيتنامية يهاجمون مخازن العدو.

كنت مهتما كثيرا أن أعرف بعد نصف ساعة من بداية القتال أن الفرنسيين قد قسّموا أنفسهم إلى مجموعات من أجل أن يهاجموا مواقعنا خارج الحصن ومما يؤكد ذلك أن مجموعة قد غادرت البوابة متقدمة على طول شارع (هانج دو) بينما تقدمت مجموعة أخرى من البوابة الجنوبية على طول شارع (ترانج ثاى) وقد سيطروا على مركز بوليس (هانج ترونج) واتجهوا إلى مسرح الأوبرا.

فكرت فى أن الفرنسيين سوف يهاجمون (باك بو فو) التى تدافع عنها كتيبة الحرس الوطنى وقد أقسم أفرادها أن يقاتلوا إلى النهاية، وطلبت من القيادة العسكرية فى هانوى أن تأمر الحرس فى (باك بو ثو) أن يستعد للقتال وأن يستخدم

المدفعية للمساندة عندما يبدأ هجوم العدو، وفى ملتقى (هونج فوك وهانج دو) نظّم الحرس الوطنى والمليشيات مصائد ألغام عندما فُجّرت دمرت دبابة وقتلت ما يزيد على العشرة جنود من القوات الفرنسية وعرفنا أن مثل هذه العملية يمكن أن تنظّم حتى داخل المدينة وهى طريقة فى القتال اكتشفت بواسطة الشعب، وخلال تلك الليلة استقبلنا أخبارا تقول إن المواقع فى (نام دينه – هاى دونج – باك نيه – باك قيانج –فينه وهاى) قد بدأت القتال ولقد أمرت القوات الموجودة فى (دا نانج) أن تبدأ الهجوم فى تمام الساعة ٢١,٠٠ وقد طلبوا الإذن أن يبدءوا القتال الساعة الثامنة والنصف صباح اليوم التالى، عموما فإن الفيت منه كان لهم التميّز خلال الساعات الأولى من القتال.

(٤)

وفى صباح يوم ٢٠ كنت أنا و (تران كووك هون) مندوب اللجنة المركزية فى الحزب و (هوونج فان ثاى) قد ذهبنا إلى قيادة الجيش فى هانوى وعدنا لنقدم تقريرا عن التطورات التى حدثت خلال ليلة واحدة، وعندما كنا نستمع للتقارير أبلغنا أن القوات الفرنسية مدعّمة بالدبابات فى طريقها وهى تهاجم ساحة الأوبرا و(باك بو فو) ومبنى البريد، طلبت من (فونج ثينا فو) أن يأمر بالقصف المدفعى لمساندة رجالنا فالتقط التليفون ورفع يده آمرا بالقصف، وكانت مفاجأة لى وقد تساءلت، لماذا لم يحدد الهدف فأجاب شارحا: إن جميع أهدافنا كانت محددة سابقا وإذا ما حددنا الآن هدف جديد فإن القصف قد يصيب قواتنا أو شعبنا.

اشتبك مقاتلونا فى واجب هو أكبر من قدراتهم ولهذا طلبت القيام بزيارة إلى ميدان القتال ولقد أخذنى (فونج ثيرا فو) إلى شارع (خام ثين) ولم نسير مباشرة فى الشارع وإنما عبرنا من خلال فتحات فى الحيطان بين البيوت بحيث مررنا بحجرات بها كامل أثاثها الذى لم يمس حتى أن البطانيات كانت مرتبة على الأسرة كما يجب،

وفى المسابح كان السمك الذهبى يمرح فى ترف، وكان الناس فقراء وأغنياء قد تركوا ممتلكاهم خلفهم وأخلوا البيوت، فى نهاية أحد الشوارع كانت نقطة العدو قبالتنا على أحد مستودعات بترول شركة شل وقبالتها يقف حصننا صامدا وكانت رائحة البارود اللاذعة مثل الفحم المحترق، بجانب ميليشيات الدفاع الذاتى كان هناك الطلبة والفقراء وعمال السكك الحديدية بملابسهم الزرقاء الفاتحة وقلّة منهم لديهم قنابل يدوية دائرية وعصى حديد أو سكاكين فى أيديهم فقط.

كنا نراقب العمليات من زاوية حائط عندما انفجرت قنبلة مدفع من مصدر مجهول دمرت بعض البيوت بالقرب منا، نبع ذلك رخات من الرشاشات الفرنسية وهكذا قال لى (فونج ثاى) يجب أن نترل إلى الخندق، وبعد الانفجارات المدوية من الأسلحة النارية حدث فجأة أن أحد جنودنا صار يرفع صوته بأغنية يمكن أن تخيف فيما بعد، ولقد كتب مؤرخ فرنسى يقول: إن المدافعين عن هانوى قاتلوا ضد الهجمة الفرنسية فى (باك بو فو) إلى آخر طلقة وآخر قنبلة يدوية وكانوا طوال الوقت يغنون ويعزفون على العود خلال الفترات الأكثر شناعة فى القتال وهى أغانى لها تأثير غريب.

قلت (لفونج ثيرا فو) إننا نحتاج إلى إقامة المزيد من حفر الخنادق وإقامة الحواجز وأن قواتنا يجب أن توقف العدو فى الهجمات الأمامية ولكن إضافة إلى ذلك يجب أن تكون لديها قوات متحركة جاهزة لتفاجئ خصمنا وأن نخبة من الميليشيا فى شارع (ترانج ترى) يجب أن تتوزّع على أوسع نطاق، وهى التى قامت باستعمال القنابل اليدوية وإطلاق النار من فوق أسطح المبانى وأن تلك الكمائن خلال الليلة الماضية فى (هانج فو) هى أيضا يجب أن تتبع، وبمجرد أن نعرف كيف يمكن أن نقاتل فإنه سوف لن يكون سهلا على العدو أنّ يحتل حواجزنا.

عندما ارتفعت أشعة الشمس عالية دوى إطلاق الرصاص من مركز المدينة وصار يسمع بشكل أوضح وهنا حلقت طائرة فرنسية فوق هانوى وقصفت عدة

مناطق وقد واجهتها دفاعاتنا المضادة فغادرت تاركة كتلا من الـدخان الأبـيض فى السماء، وفى طريق العودة شعرت بالثقة فى الروح القتالية لقوانا لكننى مـع ذلـك أحسست بالقلق من صغر حجم تلك القوات حيث كانت هناك خمسة كتائب بمنطقة (١١) ولم يكن لدى القيادة العليا قوات احتياط وفجأة ومضت فى ذهنى فكرة، أن منطقة (١١) يجب أن تدمج مع منطقة (٢) ثم إن (هانوى وسـون تـاى وهـا دونج) ستصبح منطقة حرب (٢) وإذا ما نفذ هذا فإن هانوى سـيكون لـديها مصدر إضافى من القوات ويكون لديها مساحة خلفية واسعة نسبيا التى تتحرك فيها المعدات والبشر فتكون مصدرا لحربنا الطويلة.

ذلك المساء بالمكتب الرئيسى كنا فى (دو لو) تروينج شينه سكرتير الحزب العام وقتذاك وإنا استمعنا لتقديرات القيادة العامة عن نتائج اليوم الأول من القتـال وكانت القيادة العامة تعد تقريرها للجد (هوشى منه) ولقد خاض (الفيت منـه) ثلاثون معركة فى هانوى سواء بالهجوم على العدو أو إيقاف تقدمه ومدمرة بعـض المواقع الصغيرة وجيوب القتال، والواقع أننا لا نستطيع التعامـل مـع التجمعـات الكبيرة لقوات العدو مثل تلك التى فى المدرسة الثانوية بمنطقة (بـوى) أو الحاميـة الفرنسية فى (دون ثوى) واستمر القتال فى (باك بو فو) من الساعة الخامـسة إلى السادسة مساء حيث قاوم الحرس الوطنى عدة هجمات قام بها العدو، وفى فترة مـا بعد الظهر قرر المفوض (لى قيا دينه) أن منطقة (باك بو فو) لم يعد مـن الممكـن الاستمرار فى الدفاع عنها وهكذا أمر الفصلان اللذان تحت قيادته بالانـسحاب إلى ساحة إدارة البريد وبقى خلف الفصيلين بقنبلة أراد أن يفجرها فى مجموعة الجنـود الفرنسيين المتقدمين ولكن القنبلة لم تنفجر على أى حال، وبالتالى فإن (لى قيا دينه) بكل بطولة ضحى بنفسه، وفى ساحة مبنى الأوبرا كانت مجموعتان بقيـادة رئـيس الفصيل (دات) خلال ليل يوم ١٩ ديسمبر قد ردت عدة هجمات فرنسية، ومـع صباح يوم ٢٠ ديسمبر بقى من مقاتلينا فقط اثنى عشر فردا بعد أن أفرغوا كل مـا

لديهم من ذخيرة وظلوا يقاتلون معا بالحراب وأخامص البنادق، أما أولئك الـــذين قبض عليهم العدو رفضوا التغاوض ولهذا قتلوا بواسطة فرقة الإعدام، وفى شـــارع (هما ثون) وقف العامل الشاب (ترونه سى بينه) فى مواجهة العدو ليتـــيح فرصـــة لفصيله بحيث ينسحب.

وفى اليوم الأول من سحب مقاومتنا الوطنية كانت هناك الكثيرة من الأمثلـــة البطولية بهانوى حيث قتل المئات من الجنود الفرنسيون ودمرت العديد من دبابـــاهم وعرباهم المصفحة بينما قتل أربعون من جنودنا ولم نستطع أن نهاجم مطـــار (قيـــا لوم) بسبب شدة الحراسة حوله. جاءت البرقيات من كل المقاطعـــات فى (هـــاى دونج) تم تدمير فصيلان فرنسيان وفى جسر (فو لـــونج) حوصـــرت القـــوات الفرنسية فى ساحة مصنع الزجاج وفى (دام دينك) قُضى على وحـــدة فرنـــسية فى ساحة السكك الحديدية وفى مصنع خيوط الحرير، كما تمت السيطرة على جزء مـــن طاحونة النسيج وحدث أن الحامية الفرنسية المقيمة فى مطار (فينه) استسلمت، وفى (هيو) دمرنا بعض النقط الفرنسية المعزولة بما فى ذلك تلك التى فى (نقا نـــام وفى تانه منه هوتيل ومدرسة خان دينه) وفى (باك ديانج وباك نينه) كان العدو تحـــت الحصار وإن كانت وحدة فقط من قواته قد دمرت، وفى (دا نانج) كان الموعـــد المقرر لبدء القتال فى تمام الساعة ٨،٣٠ يوم ٢٠ ديسمبر بسبب تأخر الإعداد فقد هاجم الفرنسيون قبلنا فى تمام الساعة ٥،٠٠ ولهذا كانت قواتنا فى خطر أن تـــدفع خارج المدينة.

وبعد استماعنا لتلك التقارير تبادلنا وجهات النظر واتفقنا أننا بعد قتال لـــيلا ونهارا على الرغم من أننا كنا أضعف كثيرا فى قواتنا من الفرنسيين فقد كانت لدينا ميزة وقدرة مفاجأتهم وقد وضعناهم فى موقف الـــدفاع، فى هـــانوى لم نـــستطع أن نستمر فى مهاجمة قواعد تجمعات قوات العدو الكبيرة ولذلك كان لابد من الهجـــوم المستمر على التجمعات الصغيرة فى شكل حرب عصابات بدلا من ذلك، وبعد قتال

دام ثلاثة أيام طلبنا من المقاتلين فى المناطق الداخلية أن ينسحبوا إلى مواقع أعـــدت بشكل جيد للعمليات، وفى (هانوى ودونج ونام دينه وهيو) كانت لدينا قـــوات كافية للهجوم وحتى للقضاء على العدو.

قررت أن أرسل كتيبتان من المنطقة (٢) لتعزيز قوات هـــانوى ومـــن أجـــل تشكيل قوة أساسية تحت قيادة وزير الدفاع الوطنى وبالتالى فإن كل منطقة حربيـــة سوف تكون قوة سيطرة من كتيبة فاعلة، وفى ٢٥ ديسمبر اجتمعت لجنة الحـــزب المركزية لتستمع لتقرير الحالة القتالية فى هانوى وقد أعلن (ترونج تشينك) قـــرار تعيين مناطق حربية (١١ و ٢) وإبقاء كل من (هونج سام ولى هين مـــاى) الأول قائدا والثانى مندوب سياسى أما (فونج ثورا فا و تران دو ثار) نائبيهما فى المنطقة (٢) وإن قد استمرا قائدين عسكرى وسياسى فى ساحة القتال الأمامية بهانوى.

(٥)

فى ١٢ يناير ١٩٤٧ عقد أول مؤتمر عسكرى بالقرب مـــن هـــانوى ولقـــد استمرت عمليات حرب المقاومة ضد الفرنسيين لمدة ثلاثة أسابيع حتى الآن وكـــان الجيش وميليشيا الدفاع الذاتى قـــد تجاوزا الموعـــد المحدد لإبقاء العدو فى مكانـــه وهى مدة ١٥ يوما ولم تكن هانوى فقط التى صمـــدت وإنما بقية المـــدن الأخـــرى كانت صامدة، وكانت كتيبة من اللواء الثالث من فوج المشاة الأجنبى المجحفل قـــد غادرت (باك نيه وباك فيانج) إلى هانوى، واستجابة لنداء الحرب الوطنيـــة فى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٦ فتح النار المدافعون عن (نام بو) وفرقة تحدى الموت بـــالتوالى فى سايجون بحيث حُولت المدينة رأسا على عقب، وفى جنوب الوسط الفيتنامى هـــوجم ودمر قطار يحمل عربات بها حوالى مائتى ضابط وجندى فرنسى قرب نهر (فـــان) وفى (تاى نقويان) وهى المناطق الوسطى العاليـــة حـــدث أن قوافـــل التعزيـــزات

الفرنسية هوجمت بشكل متواصل يومى ٢٩ - ٣٠ ديسمبر وهى فى الطريق من (آن كى إلى قيا هوى) ومن (آن كى إلى ثورن آن) حيث قتل سبعون فرنسيا بين ضابط وجندى.

بعد عشرون يوما من القتال مازالت القيادة الفرنسية فى موقع الدفاع وكان آداؤها مخجلا ولهذا فإن الجنرال (مورلير) قائد القوات الفرنسية فى (باك بو) قد فصل من قيادته وتولى خلفا له الجنرال (ديبيس) الذى هاجم واستولى على (هاى فونج) فى نوفمبر ١٩٤٦ وفى هذا الوقت كان (فالوى) رئيس أركان قوات الحملة الفرنسية قد قال لجنوده إنكم يجب أن تعضّوا على أسنانكم وأن تقوموا بالقتال الشديد وسوف تحصلون قريبا على التعزيزات والتجهيزات.

فى بعض المناطق النائية، على أى حال، الفرنسيون وسّعوا تدريجيا مساحات احتلالهم، ففى الشمال احتلوا (سون لا وهات لوت ويين تشان) وعلى الحدود الفيتنامية اللأوسية سيطروا على المنطقة على طول نهر (لاب) وفى الشمال الشرقى يمكنهم أن يربطوا كل (تين تين ودينه لاب ولانق سون) وكانوا يتقدمون من (دينه لاب إلى فا لاى) وباحتمال أن يحتلوا (لانق سون ومونق كاى قونق وفا لاى) وبمجرد أن تصلهم التعزيزات سوف يطوّروا أهداف جديدة.

استمر انعقاد المؤتمر العسكرى من يوم ١٢ إلى يوم ١٦ يناير ١٩٤٧ فى (تروك سون) حيث إنه المكان الذى حدثت فيه الحرب منذ خمسة قرون ماضية والتى تسمى معركة (تروك دونج - توت دونج - [٦]) وقد حضر المؤتمر (ترونج شينه) كما حضره قادة المناطق الواقعة شمال الساحة (٤) ورأينا أنه بعد فترة من الموقف الدفاعى المتردد نسبيا كان الفرنسيون قد تحولوا إلى الهجوم وبدأوا المعارك وتوقعنا أنهم بعد التعزيزات سوف يحتلوا ويسيطروا على مناطق هانوى و الطريق

[٦] - الحرب ضد الغزاة الأجانب (المينج) بواسطة تمرد قوات (سام سون) منذ ٥٠٠ سنة ماضية - المؤلف

السريع رقم واحد بحيث يكون الطريق السريع على طول النهر الأحمر واجهة القتال فى (سون لا) وتقوم القوات البرية فى (دان نانج) بالسيطرة على (هوى) وربطها ب (دانج) ومن قاعدة فى (سى بون) تهدد قواتنا من الخلف، ولهذا قررنا أن نبقى على المبادرة فى كل الجبهات الأمامية وأن نتحول إلى مرحلة جديدة من الحرب متحاشين الوقوع فى أى نوع من الاستسلام ولا نجعل قواتنا تقاتل فى مواجهة مباشرة مع الحملة الفرنسية الكبيرة وبدلا من ذلك سنعتمد على التضاريس بحيث نستمر فى حرب العصابات ونمنع الحملة من التقدم السريع وسوف نركز على الهجوم والقضاء على مجموعات العدو الصغيرة ونعزز روح القتال بين قواتنا كما أننا سوف نناضل لنبقى العدو محجوزا فى المدن لأطول مدة وأن نبطل محاولاتهم فى إجلاء قواتهم المحاصرة، وفى وقت منظّم ومرتب سنسحب قواتنا للمحافظة على قدرتنا الحقيقية ونستعد لمواجهة حملة العدو المضخّمة كما أننا قررنا أن ننظّم جبهة القتال الغربية بحيث نضعف الضغط الذى تقوم به القوات الفرنسية إلى الجانب الغربى ونضاعف قاعدة تأثيرنا.

منذ ستة أيام ماضية كانت خلية الحزب بالمنطقة الداخلية رقم (١) فى هانوى عرضت دمج كل قوات الحرس الوطنى والدفاع الذاتى والميليشيا وحرس البوليس وحراسات المدينة فى المنطقة الداخلية رقم (١) فى فوج واحد يسمى فوج المنطقة الداخلية رقم (١) ولقد وافقت القيادة العليا على ذلك، وفى المؤتمر العسكرى اقترحت أن يسمى هذا الفوج باسم فوج المدينة العاصمة وهو الاقتراح الذى قوبل بترحيب حار.

أبلغ (فونج ثيرا فا) عن تطورات الوضع فى واجهة هانوى وتحديدا عن المقاتلين فى قواعد خنادقها واستعمال قوات متحركة فى المدينة وكذلك قوات الاحتياط، وطلب من المنطقة رقم (٢) القتال ضد المظليين وتعزيز القوات عند مجارى المياه فى (نام دينه) يومى ٦- ٧ يناير ١٩٤٧، وكان (تران داى نقيه)

رئيس إدارة التسلح بالجيش قد أبلغ عن تصنيع مدافع البازوكا والقنابل بحيث تحل محل القنابل ذات الشعب الثلاث التى كانت صعبة الاستخدام وعادة ما قتلت مستخدميها، وأبلغ (هيونج داو ثو) الذى عين حديثا رئيسا لإدارة النقل والأعمال العامة عن عمليات تدمير الجسور والطرق، وخلال صباح اليوم الثانى من المؤتمر استلمنا تقريرا يقول إن الفرنسيون وسّعوا مجال عملياتهم إلى أطراف هانوى وقد طلب (فونج ثيرا فا) إذن مغادرة مكان المؤتمر بحيث يمكنه أن يتولى قيادة القتال.

عندما نتحدث عن مواجهاتنا العسكرية المبكّرة مع القوات الفرنسية لابد أن نشير إلى عملياتنا فى العاصمة هانوى، فقد كانت هانوى قد قسّمت إلى ثلاث مناطق داخلية طبقا لخططنا، وبعد قتال دام ثلاثة أيام مع عمليات إخلاء المدنيين من المدينة فإن القوات من المناطق (٢ و٣) كانت تتوزّع تدريجيا إلى أطراف المدينة حيث توجد المخابئ والحصون التى أقيمت من أجل إيقاف تقدم الفرنسيين، أما بقية الجيش والميليشيا فى المنطقة الداخلية (١) فقد كان عليها تضييق مساحة القتال فى الجزء المحادى لقلعة هانوى وهى التى كان لابد من الدفاع عنها بكل ما يتوفر.

وبداية من ٣٠ ديسمبر قام الفرنسيون بالعديد من الهجمات فى الأطراف مدعومين بالدبابات والعربات المصفحة وسلاح الجو والمدفعية، وكان حرسنا الوطنى والميليشيا يستخدمان البنادق والقنابل اليدوية والسكاكين والسيوف وهم يعتمدون على الحواجز والتحصينات والمخابئ والبيوت والأسطح من أجل إبطاء تقدم الفرنسيين وكانوا يقاتلون متمسّكين بكل شبر من الآرض وحول كل بيت، وفى شوارع (خام ثين وهونج بوت ودوى كان) فقد العدو الكثير من قواته وهو يحاول تعدى الحواجز وأخيرا أجبر على التخلى وبدلا من الهجوم المباشر سلك طرق دائرية ومع الأسف فقد فشلنا نحن فى أن نفطن لهذا التطور والأسلوب.

كان القتال حول مستشفى (فونج) أكثر شراسة حيث دمرت قواتنا دبابات العدو بالقنابل ذات التفجير الثلاثى وهكذا انسحبوا إلى الجهات العليا ثم قاموا بالهجوم ولكن عدة مئات من جنود القوة قتلوا، وعددا من دباباتهم وعرباتهم المصفحة دمرت، أما نحن فقد فقدنا فصيلان من الحرس الوطنى وخمسون من ميليشيات الدفاع الذاتى، ولم تتمكن القوات الفرنسية من التغلب ودفع قوات المناطق الداخلية رقم (٢و٣) إلى الأطراف التى كانت تبعد خمسة كيلومترات فقط عن وسط المدينة، وإلى يوم ٢٥ يناير فإن الفرنسيين لم يسيطروا فى مدة ٢٧ يوما على أكثر من ٢٠٠ متر على الأرض فى اليوم الواحد كما ذكر أحد الصحفيين الفرنسيين.

عند التذكير بالقتال فى هانوى فإن منطقتى (٢و ٣) نادرا ما يشار إليهما، وعلى أى حال، فإن القتال هناك استمر ٣٨ يوما وليلة منها ٢٧ يوما فى القتال حول الطرق المؤدية إلى الأطراف وعديد من الاختراقات داخل المناطق التى يسيطر عليها العدو من خلال هجمات مفاجئة ولو لم يكن هناك تنسيق بين المناطق الداخلية (٢- ٣) فإن قوتنا فى المنطقة الداخلية (١) ما كان يمكنها أن تشغل القوات الفرنسية لمدة طويلة، وبقولى هذا عن المنطقة (١) إنما أقصد أنها ترمز إلى وقفتنا القوية الصامدة فى مواجهة القوات الفرنسية.

والمنطقة الداخلية (١) تقع مباشرة فى محاذاة رئاسة القيادة العليا للقوات الفرنسية فى قلب العاصمة هانوى ومكانها ذلك يمثل ما يمكن أن يسمى خلف الباب، وهذا المكان الخطير يعنى أن القوات المقاتلة فيها جاهزة لأن تضحى بأنفسها من أجل الصالح العام، وطبقا لخططنا فإن كتيبة من الحرس الوطنى يجب أن تبقى فى المنطقة الداخلية ومعها ميليشيات الدفاع الذاتى ومنذ البداية فإن تلك الكتيبة قد قسمت إلى جزءين، جزء منها فى شارع (يين بو) لم يتمكن من الانسحاب إلى المنطقة التى أردناه أن يدافع عنها بأى ثمن وتبعا لذلك فإن المنطقة (١) بقى فيها جزء من كتيبة

الحرس الوطنى وجزء من ميليشيا الدفاع الذاتى فقط، وهذه القوات كانت لجنة الحزب فى هانوى قد نظمّتها بعد انتفاضة ١٩ أغسطس، وهى تكوّن عصب الآلاف من قوات الميليشيا التى تتضمن مختلف فئات الشعب وأغلبها من الشباب وقد ألفت القتال العسكرى أخيرا ونواتها القيادية تتكون من ثلاثين عضوا من الحزب من الجنسين رجال ونساء الذين بقوا داخل المنطقة التى ماتزال تأوى عشرات الآلاف من سكان هانوى الذين لم يتمكنوا من الخروج فى الوقت المناسب، ولقد قاتل هؤلاء الشباب والشابات وجها لوجه مع العدو وتلك كانت مفاجأة؛ لأن مجموعة صغيرة فى البداية عملت على وقف تقدم العدو مستخدمة وسائل دفاع بسيطة ثم تحولت الى قوة متنقّلة مقاتلة تعتمد على الحواجز والهجمات السريعة على العدو من الأمام والخلف، وكانت قواتنا تقوم بمناورات وهمية بحيث ينتقل الفرنسيون إلى مواقع يسهل الهجوم فيها كما أنها تخلق تاكتيكات جديدة تنقسم فيها إلى مجموعات صغيرة متحركة تتحرك بين الحواجز والخنادق بل وتقاتل من بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع، وبين البيوت تفتح فجوات تتنقل من خلالها دون أن تتعرض للقصف وبذلك تكون متخفية وهى تفاجئ العدو، ومن المعروف أن عدو غير مرئى يكون مؤثرا ومخيفا أكثر من العدو المرئى وكانوا يستخدمون الزجاجات الحارقة والقنابل اليدوية وبنادق الصيد والبنادق الحربية من أماكن غير مكشوفة لضرب أهدافهم ، وكان هؤلاء الرجال فى الغالب يرفضون البقاء فى المخابئ ليقاتلوا من خلفها ومن المعتاد خروجهم ومهاجمة العدو فى مفاجأة وهم يعرفون جيدا المناطق وخطوط المواجهة وبذلك يظهرون ويختفون بسرعة لا تمكّن الفرنسيين من الرد فى وقت مناسب، وكان المدنيون الذين بقوا فى المدينة أو أنه لم يتم إخراجهم يقدمون العون والتأييد لقواتنا.

ولقد برزت بعض الصعاب، مع ذلك، عندما ضيّقت قواتنا حركتها فى القتال بالمناطق التى كان الدفاع عنها ضروريا بأى ثمن ونظرا لأن السكان كانوا يحتمون

بالقوات المقاتلة من الخلف فقد تضاعف عددهم فى كل منطقة بالآلاف وكان الغذاء والاحتياجات الأخرى المقررة لكل خمسة آلاف من الناس فى كل ثلاثة أشهر قد نفذت بسرعة، وكانت القوافل التى تمر بسرّية عبر حافة النهر الأحمر قد جذبت انتباه العدو وحدث أننا من خلال مكاتب القنصليات الصينية والبريطانية والأمريكية وافقنا على إيقاف إطلاق النار لمدة ٢٤ ساعة بحيث يسمح للمواطنين الصينيين والهنود وكذلك المدنيين الفيتناميين بالخروج من ساحة القتال وكانت القيادة العليا قد قررت إبقاء خمسمائة فقط من لواء العاصمة فى المنطقة الداخلية (١) والقوة الأساسية فى اللواء أمرت بالانسحاب مع المدنيين أثناء فترة إيقاف القتال، وبعد أن انتهت فترة إيقاف القتال أبلغ اللواء أن هناك ١٢٠٠ مدنيا باقون بما فيهم ٢٠٠ امرأة و ٧٥ طفلا على أننا لم نكن نرى أن كثيرا من الناس بقوا عن رغبة لمقاتلة العدو.

شُددت المواقع الفرنسية المحيطة بالمنطقة الداخلية (١) حصارها بعد خروج المدنيين الأجانب ولم تظهر القوات الجوية الفرنسية وكذلك المدفعية الفرنسية أى نوع من ضبط النفس وكان أمر (فاللوى) يقول: لا تترددوا فى الضرب الشديد بالقنابل والمدفعية وعليكم أن تحققوا نهاية سريعة ويجب إجبار العدو على أن يعرف تفوقنا الكامل، وفى ١٦ يناير ١٩٤٧ بمنطقة (دونج ثانه) وهى جزء من هانوى استطاعت مجموعة من حملة البنادق بقيادة (باك نقوك لين) من إسقاط مقاتلة بواسطة البنادق فى هانوى وقد منحت القيادة العليا المقاتل الشجاع ميدالية من الدرجة الثالثة على عمله البطولى، وكان يمكن للعدو أن يكتشف طرق تموييننا من الخارج إلى المناطق الداخلية وقطعها فى أى وقت، وكان لدى وحدة (دونج ثانه) اثنان من الرشاشات المتوسطة وهى فى حالة سيئة، وفصيل فى شارع (كو قو) لديه بنادق آلية وهذه أول مرة يتم فيها إسقاط طائرة فرنسية حربية بواسطة البنادق، هذه البنادق التى أطلق عليها (مزحا) اسم مدفعية، وإذ استمرت المعارك

صارت الندرة فى العتاد حادة ولهذا فإن مقاتلينا اضطروا أن يتقاسموا بعض الإطلاقات فيما بينهم.

كانت السنة القمرية (١٩٤٧) أول سنة لنا فى ظل هذه الظروف وقد استتبعتها سنوات أخريات وكان القتال فى المقدمة قد استبدل بالطريقة التقليدية لدينا التى تسمى (لصوصية إطلاق النار) التى تبدأ خلال مقدم الربيع، وكان المقاتلون فى مواقعهم قرب ساحة المواجهة مازالوا يعدّون وجبات المذابح السلالية وعيدان البخور المحروقة مساء أول السنة الجديدة ولا ينسوا أن يرسلوا الكيك وفطائر لحم الخنزير وعلب الحلوى إلى الرجال الذين فى المقدمة وأولئك الذين فى المنطقة الداخلية (١) يتسلمون من (نهات تان) باقات من الخوخ المتفتح وحزم من الورود العطّرة، وفى مساء يوم السنة الجديدة قمنا بالهجوم على مواقع متعددة ورفعنا علمنا ذى اللونين الأصفر والأحمر فوق برج السلحفاء عند بحيرة (هون كيم) إعلانا عن وجودنا فى المدينة العاصمة.

وكانت أبيات الشعر التى نظمها الجد (هو) بمناسبة السنة الجديدة حافلة بروح التفاؤل، تقول:

(علمنا ذى الألوان الصفراء والحمراء يرفرف مع الريح
وبوق المقاومة يسمع فى كل أنحاء البلاد
والناس من كل الحقول قد التحقت بالمقاومة
ونحن استخرنا عقولنا ومن كل قلوبنا
تقدموا أيها المقاتلون، تقدموا أيها المواطنون
قوتنا عظيمة ورجالنا كثر
إن المقاومة الدائمة سوف تكوّن المنتصرة يقينا
الوحدة والاستقلال سوف يتحققان بالتأكيد..)

ولقد كتب الجد (هو) إلى المقاتلين فى هانوى الشجعان فقال: كيف قضيتم عيدكم السنوى ؟ فأنا والرفاق فى الحكومة ليس لنا قلوب تتمتع بالاحتفالات لأن وجود ٩٠٪ من أهلنا فى المؤخرة وسعادتنا ناقصة ٩٠٪ كل واحد منا منشغل فى الإعداد لحرب المقاومة الدائمة، أنتم الرجال الشجعان ترغبون فى التضحية بأنفسكم من أجل حياة وطنكم الأم وأنتم ترمزون إلى احترام الذات والاعتماد على النفس الشيء الذى يتمتع به شعبنا منذ آلاف السنين وهو الشيء الذى بلا شك كان موروثا منذ الأجداد (لى ثونج كيت وتران هونج دو ولى لوى وكوانج ترونج وفان دينه فونج وهونج هو ثام – [٧]) والذى يبعث فيكم الآن، إخوتى الشباب، سيروا إلى الأمام بعزيمة وشجاعة، إن قلب العجوز (هو) وقلوب كل الشعب معكم دائما.

بعد عيد السنة الجديدة فى ٢٩ يناير١٩٤٧ غادرت أنا إلى هانوى لمقابلة القيادة العسكرية وفورا قدم طلب الاستعداد لسحب الجزء الباقى من اللواء العسكرى فى العاصمة إلى خارج هانوى.

(٧)

بوصول التعزيزات قام الفرنسيون بهجمات شديدة ضد المنطقة الداخلية (١) وفى بداية شهر فبراير حدثت معارك شرسة، وقد هاجم الفرنسيون فى ٦ و ٧ فبراير مختلف المواقع المؤدية من المنطقة الداخلية (١) إلى أطراف هانوى وكان علينا أن ندافع عن هذه المواقع بكل الطرق لرد هجمات القوات الفرنسية،وعلى مدى ثلاثة أيام متتالية من ١١ فبراير إلى ١٣ تعرضت منطقة أسواق (دونج كوان) لقصف عنيف وفى الساعة الخامسة من مساء يوم ١٤ كانت المنطقة الداخلية تهتز بسبب القصف المدفعى العنيف من جانب الفرنسيين.

[٧] – أسماء الأبطال الوطنيون الفيتناميون وأبطال النضال ضد الغزاة الأجانب – المؤلف

وكانت القنابل تتساقط على طول شوارع (هانج ما – هانج تشايو وكـــوان تشوينج) وكذلك ظهرت الدبابات والعربات المصفحة الفرنسية من عدة اتجاهـــات فمن (هانج قياى) تقدمت إلى أبعد من بوابة السوق وفى (كـــوان تـــشونج) تم إيقافهم بواسطة الحراب الحديدية وجوالات الرمل، ومن خلـــف ســـوق (دونـــج كوان) شقت أربع دبابات الطريق أمام قوات القبعات الحمراء ليعبروا ساحة ملعب الكرة ولم يكن هناك غير الرشاشات المنصوبة فوق أعالى المبانى أطلقت منـــها النـــار بشدة لعرقلة تقدمهم، وعندما وصل رجال القبعات الحمراء منطقة السوق ووجهت برصاص البنادق نصف الأوتوماتيكية والقنابـــل اليدويـــة والزجاجـــات الحارقـــة وزجاجات معبـــأة بالحصباء والكلس المطحون وهكذا أوقفنـــا الهجـــوم، وحـــوالى الساعة التاسعة بدأت حملة جديدة ضد ساحة سوق (دونج كناو) وقـــد حـــددت طائرات الاستطلاع أماكن المدفعية وهكذا ركزت القوات الفرنسية قوة نيرانها على ساحة السوق، وفى هذا الوقت اشتبك مقاتلونا مع القوات الفرنسية فى القتال يد بيد فى محيط وعلى سطح كل بيت وفى نهاية هذه المعركة لم يستطع العدو دخول السوق، وعلى أى حال، فقد سيطروا على مبانى من عدة أدوار ومنها استخدموا رشاشـــاتهم لتهديدنا.

فى تمام الساعة الثانية عشر قاموا بهجومهم الثالث وتقدمت الـــدبابات لـــشق الطريق من أجل تقدم جنود القبعات الحمراء إلى السوق، وكان لدينا قسمان فقـــط من الكتيبة (١٠١) ولقد اشتبكت القوات من كلا الجـــانبين فى قتـــال بالبنـــادق والقنابل اليدوية بل إننا من جانبنا استعملنا حتى الزجاجات المملوءة بالسائل الملتهب وحتى السدادات المطاطية حول مناضد الجزّارين وقد استمر القتال العنيف المتواصل بالأيدى إلى الساعة الثالثة عشر حيث ضحى عددا من جنودنا بأنفـــسهم والـــبعض الآخر تركوا المكان ليحتلوا أعالى البيوت ويطلقوا النار.

انتهت أخيرا المعركة خلال الليل حيث فقد الفرنسيون حوالى مائة من رجالهم وفقدنا نحن ١٥ مقاتلا و ١٠ جرحى وبعد المعركة حدث أن المساحة الواقعة فى المنطقة الداخلية (١) قد ضاقت كثيرا، ومع حلول مساء يوم ١٤ فبراير وطبقا لتقارير اللواء بقيت فقط ثمانى إطلاقات لكل بندقية وكان هناك طعام يكفى لمدة خمسة أيام بأكل مقتصد جدا وقد طلب اللواء الإذن بالقتال إلى النهاية، وكان لواء العاصمة قد بقى فى هانوى لمدة شهرين وذلك أطول كثيرا مما قررناه وعقدت اللجنة المركزية اجتماعا طارئا حيث قررت بالإجماع إصدار الأمر بالانسحاب الفورى، والتقى الجد (هو) مع اللجنة المركزية الدائمة وفى نفس الليلة أرسلت أنا برقية إلى اللواء مبلغا إياه ضرورة الإعداد للانسحاب مساء يوم ١٧ فبراير، وكنا منذ البداية قد رأينا ضرورة انسحاب اللواء ولكن ذلك كان صعبا؛ حيث إن الطريق على طول (دايك) صعودا وإلى (ين بو) نزولا إلى (دونج هاو) كان مسدودا ولقد خططّنا أن نسلك مسار البواليع تحت الأرض لكن البواليع فى هانوى لم تكن مناسبة لمرور آلاف من الناس بما فى ذلك الجنود الجرحى.

فى مساء يوم ١٦ فبراير اقترح اللواء أن تلتقيه القوارب فى (تان كا) لنقل القوات عبر النهر الأحمر إلى رصيف مرفأ (لونج تو) بمركز (دونج أنه) ولقد قلت (لهيونج فان ثاى) أن يحرك القوارب ويعد لعبور النهر بكل عناية من القيادة الأمامية، وكانت قواتنا الموجودة خارج المدينة تقوم بهجوم قوى على (كا دين وكا قاى وكا ديرا) وأن تُدخل العديد من المجموعات المقاتلة داخل المدينة لتهجم وتغيّر انتباه العدو، خلال ليالى ١٦ – ١٧ من فبراير، ولهذا فإن منتصف ليل ١٧ شهد أصوات المدفعية فى كل نواحى المدينة العاصمة، وقد ارتفعت لُهب النيران لتحرق العديد من البيوت بالمنطقة الداخلية (١) ولقد اعتقد الفرنسيون أن هجوما رئيسيا بواسطة قواتنا يجرى وفى نفس الوقت كان ١٢٠٠ مقاتل بما فى ذلك النساء والأطفال والجنود الجرحى قد توزّعوا فى مجموعات صغيرة واختفوا تحت جسر

(لونج بين) بينما كان الحراس الفرنسيون واقفون فوق الجسر بأسلحتهم جاهزة، ثم انتقل رجالنا بالقوارب عبر النهر الأحمر.

وفى مساء ١٨ فبراير أبلغ (هيونج فان ثاى) بسعادة بالغة نجاح إنسحاب اللواء من العاصمة، ولم يُبق رجل واحد أو بندقية واحدة خلفه، وبسرور بالغ كتبت على الفور رسالة قصيرة إلى اللواء كان نصها (أيها المقاتلون، لقد حاربتهم لمدة شهرين مستمرين حفاظا على أن يبقى علم فيتنام يرفرف فوق العاصمة هانوى، ولقد عزّزتم البطولة الفيتنامية وشرف الجيش الوطنى الفيتنامى، ولقد ساعدتم على اختراق حصار العدو من أجل أن تحافظوا على قواتنا الرئيسية، وسوف تستمرون فى النضال من أجل أرضكم الأم وسوف نناضل لعشر سنوات أو أكثر إذا كان ذلك ضروريا وإلى أن تستعيد أمتنا استقلالها ووحدها، إلى أن تصبح هانوى عاصمة أمة مستقلة موّحدة، ونقسم أن هانوى ستهزم العدو.

فى ٢٢فبراير زرت رفقة كل من (تران كو هون وهيونج فان ثاى وفونج ثيرا فو) جنود اللواء بقرية (ثونج هوى) مركز (دا فونج) مقاطعة (ها دونج) وقد تجمع كل ضباط ومقاتلى اللواء فى ساحة المقر العام، ولم أر أبدا جيشا مقاتلا بعدد ألوان تلك الملابس، المقاتلون فى مختلف الأعمار، من صغار السن إلى أولئك الذين تعلو رؤوسهم الشعور البيضاء وقلّة من النساء، يرتدون كل الأنواع من الملابس، والمقتالون الشجعان يظهور بلباس الكاكى وقبعاهم بالاشرطة الصفراء والإشارة الحمراء وأوشحتهم الحمراء وبنادقهم نصف الآلية وأغلب الناس يرتدون ملابس عادية، الملابس الزرقاء التى يرتديها العمال، سترات الرجال البسطاء، القبعات والخوذ والأحذية السوداء والسمراء المدنية يظهر هنا وهناك اللون الأخضر الخاص بالحرس الوطنى والخيط الذى يربط الجميع هو أن كل واحد لديه نوع من السلاح مع مخلاة تحوى الذخيرة أو قنابل يدوية تتدلى من أحزمتهم وملامحهم كانت قد

تغيرت بسبب من الدخان والبارود فى ساحة القتال لكنهم مع ذلك لم يفقدوا رشاقة الشباب والعنفوان.

هنا عرفت أثناء انسحاب اللواء من هانوى أن عصابات (هونج هـا) قـد استغلت الفرصة بنجاح، وقائد المجموعة (نقويين نقوك ناى) كان قد حـافظ علـى الاتصال بين اللواء والقيادة الأمامية خلال الشهرين الأخيرين، ومجموعة أرشـدت اللواء فى الخروج من هانوى عند الحصار ولم يكن لديهم العديد مـن القـوارب إلى الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم ١٨ فبراير مازالوا ينقلون المقاتلين عبر النهر، وشكر لسُحب ذلك الصباح.

بحلول الظهر غادر اللواء مرفأ (لونج تو) وبمجرد أن عرف الفرنـسيون أن قواتنا انسحبت من المنطقة (١) كلّفوا قواتهم أن تسرع وراء (الفيت منه) وقد أمر (نقوين نقو ثاى) قواته إطلاق النار بمجرد وصول العدو ساحة نهر (ثـام خـا) وذلك من أجل جذب انتباههم وتأمين سلامة انسحاب اللواء، وقد توزعت الوحدة كلها بحيث تواجـه الفرنسيين وقتل منها ثمانية من عددها البالغ عشرة مقاتلين بمـا فيهم قائد المجموعة (نقوين نقو ناى) وكـان عمره ثماني عشرة سنـة، ومنـذ ٥٠ سنة ماضية كان النهر الأحمر يسمى (نهى ها) قد شهد هروب قوات (تون سـى نقهى) التى غرق منها الآلاف حتى أن أجسادهم سدّت مجرى النهر، ولقـد شـهد النهر الأحمر شبه ذلك الاستعمال مع الانسحاب النهائى للواء العاصمة فى منتـصف فترة حصار مكثّف مما يثبت شجاعتهم المتظرفة التنظيمية والنظام بحيث تحقق التنسيق ومساعدة الناس مالكى العقارات على ضفاف النهر الأحمر لينسحبوا فى ظـل مثـل تلك الظروف.

ومن جانبى نقلت إلى اللواء تعليمات الجد (هو) وتحدّثت اليهم نيابـة عـن وزارة الدفاع والقيادة العليا ومنحتهم العلم المطّرز بحروف ذهبية تقول (الى لـواء

العاصمة إحياء لهذا اليوم السعيد، وبصوت واحد كل ضباط ورجال اللواء أعلنوا (نقسم أن العاصمة سوف تحقق النصر على العدو).

(٨)

فى (دا نانج) وبناء على الاتفاقية البرلمانية الموقعة يوم ٦ مارس ١٩٤٦ سمح للفرنسيين بإبقاء كتيبة واحدة، وفى ٩ ديسمبر أنزلوا بشكل غير قانونى كتيبة الجحفل الثالث عشر الأجنبى والتى ضاعفت القوة الفرنسية فى (دا مامج) بحيث صارت تتكون من ١٨٠٠ رجل وكذلك استغلوا قوة النيران فى الحرب من السفن المرابطة فى الميناء، ونحن لدينا كتيبتان فقط فى المنطقة (٥) ووصلنا أمر إطلاق النار متأخرا ولم يكن لدينا الوقت الكافى للاستعداد وقد هاجمونا أولا، وقاتلت قواتنا بشكل ضعيف وكان عليها أن تنسحب من المدينة بعد ثلاثة أيام من القتال وكان كل سكان مركز (هو فانج ودين بان ودوى كويين وداى لوك) مع القوات المسلحة قد أقاموا خطا دفاعيا متماسكا حول المدينة وبقطع الاتصال بين (دا نانج وهيو) تمكن الجنود وأفراد الميليشيا باستمرار من دخول المدينة ومضايقة وتخريب تحصينات الفرنسيين واستغرق الفرنسيون مدة شهر كامل لتهدئة المدينة من الداخل وأن يقوموا بعمليات مسح فى شبه جزيرة (سون ترو) وقد منحت القوات المسلحة فى (دا نانج) علم الدفاع الوفى فى المنطقة (٥) وفى (هيو) كان هناك ٧٥٠ جندى فرنسى من لواء المشاة الاستعمارى الحادى والعشرون والسادس المدرّع، وفى جانبنا المنطقة الرابعة بها كتيبتان وعدد ١٠٠٠ من ميليشيا الدفاع الذاتى وكانوا من حيث العدد ما فيه الكفاية ولكن تسليحهم كان ضعيفا وكان الفرنسيون قد تجمعوا فى المدينة واعتمدوا على وقاية المبانى فى الدفاع، وقواتنا حاصرت منطقة تجمع الفرنسيين وقامت بعدة هجمات غير ناجحة ورد الفرنسيون تساندهم بالدبابات

والعربات المصفحة محاولين اختراق حصارنا لكنهم ردوا على أعقابهم بصمود قواتنا فى حصارها المحكم وبالتالى كان عليهم أن يترلوا التموين والدواء والذخائر من الجو.

فى أول مؤتمر عسكرى يوم ١٢ يناير ١٩٤٧ أمرت القيادة العليا منطقة الحرب (٤) أن تحطّم وتبيد الفرنسيين خطوة بخطوة وكانوا قد أمروا بأن لا ينشروا قواتنا فى معارك حاسمة وإنما عليهم أن ينسحبوا من المدينة للمحافظة على القوة ولم تقبل القيادة العليا مقترحا بطلب تعزيزات ومقاتلين يتحدوا الموت من مراكزهم للقضاء على الفرنسيين قبل أن تصلهم أى تعزيزات، ولتنفيذ تعليمات الوزارة كان على لواء (ثيرا ثين) أن يعدل مواقع قواته على أن يبقى كتيبتان فقط تستمر فى محاصرة (هوى) أما الوحدات الباقية فتسحب خارج المدينة، ومن منتصف يناير ١٩٤٧ عبأ الفرنسيون عدد كبير من القوات فى محاولة كسر حصار (هوى) لكننا أوقفنا الخصم عبر الطرق السريعة (١- ٩) ولقد ثبت أن معركة (داو ماو) كانت مؤثرة بشكل خاص.

فى ٤ فبراير من أجل أن يحرروا (هيو) أحضر الفرنسيون الجيوش من كل اتجاه، الذين هبطوا بالمظلات والذين ترجلوا على شاطئ البحر بالطائرات والمدفعية، وفى ظهيرة يوم ٨ فبراير استلمنا تقرير المنطقة (٤) الذى يقول إن المقدمة فى (هيو) كسرت وأن الجنود لم يتمكنوا من البقاء، والضباط لم يتمكنوا من السيطرة على رجالهم والمواصلات بين الوحدات قطعت والناس فقدوا الثقة، ولم نتمكن إلا بعد بعض الوقت كى نجعل الحالة تستقر فى (ينه ترى ثيين) وقد لعب (الجنرال الفيتنامى(نقويين تشى ثنه) وعدد من أعضاء الحزب دورا هاما فى استرجاع الوضع لعدم تحطم جبهة (هيو) وكان الجيش وشعب (هيو) قد أوقفوا الفرنسيين عند الخليج فى العاصمة القديمة لمدة ٥٠ يوما وليلة تقريبا فى قتال بطولى ولو كان بمقدورنا أن نسحب قواتنا خارجا فى الوقت المناسب لكان يمكن اعتبار معركة (هيو) أنجح عملية خلال هذه الفترة من الحرب، وقد وصف المؤرخون الذين كتبوا

عن حرب الهند الصينية تلك المعركة فى (هيو) على أنها هامة، وكتب مؤرخ فرنسى قائلا: إن (هيو) كانت قد حوصرت لمدة ٤٦ يوما وليلة وأن رجال المظلات والبحرية الفرنسيون قاتلوا بنشاط لمدة ١٨ يوما وليلة ليحرروا هذه المدينة.

فى (نام دينه) الفوج (٣٤) فى منطقة (٢) مع ١٠٠٠ من ميليشيا الدفاع الذاتى حاصر كتيبتان من الفوج السادس الفرنسى الاستعمارى، كما أن ثلاث موجات من هجوم قواتنا خلال الأيام العشرة الأولى سببت للعدو خسائر كبيرة ولقد دافع الفرنسيون بثبات عن مصنع الخيوط ومعسكر كارو وإن كانت معنوياتهم منخفضة، وفى أول يناير أبلغنا أن الفرنسيين يعدّون لنقل قوات من (هاى فونج) بحرا لتعزيز قواهم فى (نام دينه) ولهذا أمرت قيادتنا العليا المنطقة (٢) أن تنشر قوات لمواجهتهم عند مصب (با لات) وفى نفس الوقت أمرت المنطقة (٣) أن تنسق القتال فى الضفة الشمالية من النهر.

فى مساء يوم ٧ يناير وصلنا تقرير يقول: إنه منذ يومين قتلت قوات (نام دينه) ٥٠ مظليا فرنسيا وخلال اليوم الفائت أحدثت خسائر كبيرة فى القوات الفرنسية التى نزلت على طول نهر (داو) مما اضطر القوات الفرنسية الباقية أن تلجأ إلى ساحة المصنع وكان هذا أول مرة تحقق فيه قواتنا نصرا على المظليين والبحارة والمشاة الفرنسيين فى وقت واحد وقد طلبت فورا إرسال رجل إلى المنطقة (٢) لإبلاغنا عن العمليات.

فى ٩ يناير وصل إلى مكتب هيئة الأركان العامة فى (تروك سون وترونج شينه) رئيس هيئة أركان المنطقة (٢) ومبعوث من الوزارة واستمعت إلى تقاريرهما حيث خلصنا إلى عدد من النتائج تقول: إن قواتنا المزوّدة بالبنادق لا يمكنها أن تمنع تحرك قوات العدو على نهر واسع كالنهر الأحمر فى حين أننا قادرون على قتالهم عندما ينزلون على الأرض، وحينئذ، أدركنا أننا يجب أن نجد طرق لإيقاف القوارب

الفرنسية على النهر فهل يمكننا أن نستعمل تجارب أسلافنا بأن نغرس الحراب ونبنى الخنادق على النهر ؟ وفى (نام دينه) كان على قواتنا وشعبنا أن يواجهوا المظليين الفرنسيين لأول مرة، والمظليون لا يكونوا أقوياء عندما يلامسوا الأرض ولهذا فإن جنودنا بل وحتى أى رجل عجوز بسيف فلاح يمكنه أن يقتل العدو فى هذا الوقت، وحدث أن بعض المظليين اصطدموا بأشجار فمزقت بطوهم، فإذا ما زرعنا العديد من الحراب فى الأماكن التى سيهبطون بها نخلق لهم مشكلة عظيمة.

بعد فترة وجيزة فقط، بدأت حركة من أجل عمل الخنادق حول الأنهار وغرس الحراب ضد المظليين، ونرى أنه من الواضح أن الفرنسيين سوف يقومون بإعادة احتلال ((نام دينه) وعزل المربع الشمالى الشرقى وهكذا أخذنا المبادرة بإعداد خطة للتعامل مع هذه الحالة، وقد أوكلت القيادة العليا منطقة (٢) بنشر قوات على طول الطريق السريع (١) وسيقوم الفوج (٣٤) على النهر الأحمر وهو الذى يحاصر (نام دينه) بإبقاء جزء من قواته فى المدينة عندما يحل الوقت المناسب أما الجزء الأكبر فسوف ينسحب بلا أدنى تأخير وينتشر حول النهر الأحمر وفى مقاطعة (هاى نام ونام دينه) فقد أمرت المنطقة (٣) أن يقوم منها فوجا بالهجوم وتهديد جنوب غرب (هاى فونج) بحيث يدفع المقاتلين الفرنسيين إلى الخلف من الذين يهاجمون (فا لاى) وفى نفس الوقت فإن حرب عصابات عند الطريق السريع (٥) ستتضاعف.

فى ٥ مارس تقدمت القوات الفرنسية مع ٢٠٠ عربة مصفحة إلى (نام دينه) على طول النهر الأحمر ولم تسير هذه المرة عبر الطريق السريع (١) بسبب أنه مدمر كثيرا، وهنا استمر الفوج (٣٤) فى وضع الكمائن ومهاجمة العدو موقعا خسائر فى العدو ومدمرا أربعة من العربات المصفحة، وفى مساء ١١ مارس أبلغنا بأن كتيبة من اللواء (٣٤) كانت قادرة على الانسحاب من (نام دينه، وفى هذه المدينة كانت

قواتنا وشعبنا قد حاصرت الفرنسيين لمدة ٨٣ يوما وليلة وكانت هذه أطول مـــدة حصار لأى مدينة وقد استخدمت القوات المسلحة بنجاح تاكتيكات (حصار القلعة وتدمير التحصينات) وقتل المئات من القوات الفرنسية بينما هى تحافظ على قدراتها، وعلى ضوء اقتراح القيادة العليا منح الجد (هو) اللواء (٣٤) فى منطقة (٢) لقب (لواء النصر الحتمى).

فى هذا الوقت، نحن أيضا فتحنا جبهة القتال فى (تاى تين) فى اتجاه الغـــرب، وكانت (لاوس) قد أعلنت استقلالها فى أغسطس ١٩٤٥ ومنذ ذلك الوقت صار الجيش الفيتنامى اللاوسى المشترك يقاتلان كتفا لكتف ضد الإمبرياليين الفرنـــسيين الذين أرادوا أن يستعيدوا حكمهم فى الهند الصينية، ولقد احتل الفرنسيون نـــصف مساحة لاوس وكانت حكومة استقلال لاوس برئاسة (فيدسارات) تعيش فى المنفى (بأراضى ثاى) وكانت جبهة (تاى تين) قد فتحت من أجل القضاء على التهديد الفرنسى القادم من الجزء الغربى فى فيتنام وإنجاز مهامنا الدولية فى مـــساعدة تحريـــر شعب لاوس ولذلك تم تعيين كل من (هيون سام و لا هين ماى) الأول قائدا عاما والثانى مندوب سياسى فى الجبهة.

القيادة العليا أدمجت ثلاث كتائب من (ها ناى) المنـــاطق (٢ – ٣) بحيـــث تكون القوات الداخلية فى الجبهة وأن تكون (سام نام) ساحة لعملياتنـــا وكـــذلك المنطقة (٤) بعثت كتيبة من (ثانه هوى) الى (ساميوا) وكتيبة من (أنقيه آن) إلى (خان هوانج) وفى رسالتى إلى القوات قبل مغادرتها نصحت الضباط والجنـــود أن يقفوا متضامنون متساوون متعاونون عندما يعملون مع شعب لاوس وأن يحلـــوا اى مشكلة تواجه حركة تحريرهم، إن التحالف والتضامن بين فيتنام ولاوس منذ زمـــن طويل كان قويا.

كان ظهور قواتنا فى جبهة القتال الغربية مفاجئا للفرنسيين، وقد احتلينا بسرعة نهر (ما) ومنطقة (سام تو) واندفعنا عميقا فى (ساميوا) ولقد عززت قواتنا سياستنا حرفيا وكانت حينئذ مثار ترحيب وتأييد من كل قلب من جانب شعب لاوس، وفى المعركة أرشد شعب لاوس قواتنا إلى المواقع الفرنسية وزودها بالمؤن والعناية بالجرحى من قواتنا، ولنجدة منطقة (سام نو) وتغيير قواهم فى الشمال الغربى كان على القيادة الفرنسية فى الهند الصينية أن تبعث قوات من (هانوى) إلى (هاو بينه وماك شاو وسون لا) عبر الطريق السريع (٦) وردا على ذلك طلب الرئيس (هوشى منه) من الأمة كلها أن تلتحق بالمقاومة وأن تتلقى التعليمات من القيادة العليا، وكانت جميع جبهات القتال فى فيتنام قد زادت من أنشطتها بالتنسيق مع تلك التى فى الشمال.

خلال شهر يناير ١٩٤٧ فى المنطقة (٧) بعد معركة نهر (فان) والذى عبره سيّرنا قطارا ليلة ٣١ ديسمبر وأقمنا كمائن فى (بان نهام وفونج كان وبا دا) واعترضنا العدو فى (كا باس) وكذلك هاجمنا كتيبة للعدو فى (فو لام) ولقد تم تعطيل مئات من الجنود الفرنسيين عن العمليات، وفى المرتفعات الوسطى تم إيقاف العديد من الحافلات فى كثير من الأماكن، وقد دمر الجيش وجماهير (آن خى) الطرق وخطوط الاتصالات ونصب الكثير من الحراب وجهّز مصائد تضليلية ونظّم معارك القرى.

فى (نام بو) حدثت كثير من المصائد والهجمات نتج عنها عمل جيد وخسائر فى صف العدو، وفى بداية فبراير أصدرت لجنة الحزب الإقليمية فى(نام بو) أوامر للتعجيل بحرب العصابات ضد العدو فى كل الجبهات، وقد تطور النضال السياسى فى المدن والبلدات كما استمرت القوات المسلحة بتطوير عملياتها، وفى منتصف فبراير شنت لجنة الحزب فى المنطقة (١) هجوما عاما وعمليات مضايقة وتخريب،

واستمرت المعارك والحمــلات فى كل مكان فيه التطور الاقتصادى وأمــام العــدو كانت الطرق تخّرب والجسور تدمّر والمواقع اللوجستية كانت تحرق والخنادق كانت تبنى على الأنهار، وفى شرق (نام بو) مزارع المطاط حرقت وفى ســايجون أحــرق العمال طاحونة فرز الأرز ومصنع المطاط مانعين الفرنسيين من سلب الأرز والمــواد الخام التى يصدرونها، ولقد واجه الفرنسيون الكثير من الصعوبات فى نقــل قــواتهم وضمان تحركها.

فى جنوب فيتنام مختلف جبهات القتال تم تنسيقها فى وقت مناســب ووضــع مؤثر باستثناء كتيبتين من لواء الفوج الأجنبى الثالث عشر الذى كان قد أرسل مــن المرتفعات المركزية إلى (دا نانج) للمــشاركة فى معركــة (هيــو) ولم يــستطع الفرنسيون إرسال اى وحدات عسكرية من (نام بو) أو من الوسط الجنوبى البعيد من فيتنام إلى الشمال، وقد لاحظ الجنرال (سالان) نائب قائــد قــوات الحملــة الفرنسية فى (نام بو) أن الجنرال (نيو) تحت قيادته ٢١ كتيبة مشاة وتسعة كتائب عربات مدرعة مع ٢٥ ألف من الجنود الأوربيين، وثلاثة آلاف من الجنود الأفارقــة وعشرة آلاف من الفلاحين المحليين، ومع ذلك، فإن هذه القوة كانت أبعد مــن أن تكون كافية؛ ذلك أنها كانت منهكة.

(٩)

كتب أحد المؤرخين الغربيين يقول: إن الحملة العسكرية الفرنسية فى فيتنــام كانت دائما تبحث عن معارك مباشرة وأخيرا وجدوا هذا النوع مــن المعــارك فى (ديان ديان فو) والواقع أن الفرنسيين منذ البداية يريدون مثل هذه الحرب فى المدن وفى السهول، ونحن للمرة الثالثة فى العاصمة القديمة (ثانج لونج) قاتلنا الفرنسيون، وبالمقارنة مع ٦٠ سنة ماضية، فإن الحرب هذه المرة قد بدأت فى (سايجون وهانوى)

وعلى الرغم من أن معداتنا لا تظهر فوارق كبيرة فى ذلك الوقت عكس هذه المرة لأن العدو أقوى منا كثيرا، والقوات الفرنسية فى هانوى لم تكن قيادتها بقلّة من الضباط الصغار ولكن الجنرال له خبرة واسعة فى الحرب العالمية الثانية، ومن جانبنا فإن القائد الأعلى فى جبهة هانوى كان (فونج ثيرا فو) وهو عامل فى السكك الحديدية قبل ثورة أغسطس ولم يكن قد تدرّب فى مدرسة الضباط القادة.

وفيما عدا مدينة (هاى دونج) فى أغلب المدن حيث حدث القتال كان جيشنا وشعبنا قادرا على إبقاء الفرنسيين محشورين فى مواقعهم لمدة حوالى شهرين، وفقط فى (هوى) كانت خسائرنا ملحوظة خلال الأيام الأخيرة من القتال أى عندما تسلم الفرنسيون تعزيزات كبيرة ونحن لم نتمكن من الانسحاب فى الوقت المناسب أما فى المواقع الأخرى فإن الفرنسيين كانوا يخسرون كثيرا بينما كانت قواتنا تتألف القتال وتزداد فى العدد، وفى بداية المعركة بهانوى كان لدينا خمس كتائب من الحرس الوطنى فقط وبعد ستون يوما من القتال صار لدينا فوجان، فوج العاصمة وفوج (ثانج لونج) ما عدا كتيبة واحدة نقلت إلى الجبهة الغربية.

عندما نبدأ الاستعداد للمعارك نقلق كثيرا بسبب ضعفنا التعبوى؛ حيث كانت قواتنا شبيهة بجيش التمرد ولو حدثت مواجهة بيننا وبين قوات الحملة الفرنسية وجها لوجه لكان يمكن أن ننكسر بعد ساعات من القتال، ولهذا فنحن اخترعنا طريقة تاكتيكية جديدة وهى جمع بين معارك المواجهة ومعارك العصابات ولم تكن هذه تكرارا لتاكتيك الخنادق الذى استعمل فى قتال الشوارع؛ حيث كنا نقيم الحواجز ونحفر الخنادق لتعطيل حركة دبابات وعربات العدو المدرعة وبحيث نقلل التدمير الذى تحدثه قنابله ومدافعه ووسائله الحربية الأخرى، وعكس حرب المواجهة أو الحواجز الثابتة فإن قواتنا لم تحاول إيقاف العدو فى مواقع محددة، فقد استعملنا مجموعات صغيرة من المقاتلين تمثلت الأهمية البالغة فى سرعة حركتهم وفى الرّؤية والنشاط وتحاشينا المعارك الكبيرة وبدلا من ذلك قمنا بسلسلة من المعارك الصغيرة

المعدّة بشكل جيد وكانت قيادة الجبهة المتقدمة تنصح بعدم القيام بمعارك كبيرة بدون أهداف واضحة وخطط دقق فيها جيدا، وخلال مدة ٦٠ يوما من القتال قام الفرنسيون بثلاثون هجمة بينما قامت قواتنا بأكثر من مائة هجمة خطط لها بأن تعترض العدو فى نفس الوقت وقد عوّلنا على مبادرة كل فرد مستخدما التصويب الدقيق على أساس هدف واحد وهو تدمير العدو والمحافظة على قواتنا.

وصار رجال الميليشيا ومقاتلى الفيت منه عصب حرب كل الشعب ولقد حوّل الشعب كل الشوارع إلى متاهات واكتشف طرقه الخاصة فى القتال ذلك أن الطفل أو الطفلة تستطيع ويستطيع قتل المرتزق الفرنسى، وبعد وقت قصير فقط فإن الناس قد انضموا إلى جنودنا وصاروا هم أنفسهم مقاتلين.

على الرغم من تفوّقها الكبير فى المعدات فإن القيادة الفرنسية كانت محرجة لبعض الوقت الطويل غير عارفة إلى أين توجه قوتها، ولم تكن الصعوبة أمام الفرنسيين فى الحواجز التى أقمناها فى المنطقة الداخلية (١) أو فى الأطراف فقد كان عدوهم الأساسى يتمثل فى تعدد المجموعات الصغيرة من المقاتلين الذين يظهرون ويختفون فى كل مكان من المدينة يطلقون نيران بنادقهم من هذا الجانب أو يقذفون قنابلهم اليدوية التى تنفجر منفردة هنا وهناك وتصيب بدقة، وأنشطة هذه المجموعات أيضا جعلت العدو يعتقد أننا أبقينا قواتنا الأساسية فى المدينة وهم ينتظرون المعركة بشكل أوسع.

كان أحد المراسلين الصحفيين من الوكالة الفرنسية للأنباء موجودا فى هانوى فى ذلك الوقت وقد وصف المعركة هناك كما يلى (لقد رأيت كيف يموت الفرنسيون بنيران الجنود الفيتناميين فى الجبهة الأمامية من هانوى أو فى معارك غريبة فى قلب المدينة فى زاوية أو شارع أو يقتلون بواسطة وابل من إطلاقات بندقية نصف أوتوماتيكية من زاوية جانبية فى هذه الحرب الغريبة ([٨]) والواحد منهم يموت

[٨] – ملاحظة من الناشر

بسهولة فى أى مكان، وأى وقت ولا أحد يمكن أن يعرف، فى وحـــدة اســـتقرت فى كاتدرالية (نوترى دام) لتمنع الهجوم من شارع (هانج بونج) قال لى الملازم القائد إن ٣٥ من رجاله كانوا قد قتلوا وحيثما تحصنوا فإن الفرنسيين دائما يحتلون الطابق الثانى ويتركون الطوابق الأسفل غير مأهولة بل إنهم حتى يحرقون البيت المجاور خوفا من هجمات الفيت مينه المفاجئة، وفى الليل فإن جنود الفيـــت مينـــه يتـــسللون إلى الشوارع دون ضوضاء والفرنسيون بلا رؤية يقذفون القنابل اليدويـــة إلى الأســـفل لكن الفيت مينه يهاجمون باستمرار وبشجاعة وهم يطلقون صيحات حرب مرعبـــة، فى الفجر يختفون مثل الدخان وفى وقت النهار هم يبحثون عن مخابئ آمنة ويوجهون أسلحتهم إلى مواقع العدو ويحدث إطلاق النار حتى فى وقت النهار ليس فقط علـــى أماكن فى خط حرب واضح ولكن أيضا على أماكن يعتقد الفرنسيون أنهم طـــردوا منها كل الفيت منه، وكنت قد عبرت من منطقة وبعد ساعة واحدة رأيت أن جنودا فرنسيين يقتلون هناك.

نحن أطلقنا على قتالنا فى هانوى اسم (حرب العصابات فى الجبهة) والواقع أن المصطلح يظهر كأنه لم يكن ملائما؛ إذ هو يجمع بين تاكتيكين مختلفين تماما، وعموما فإن العصابات تعنى أن تتحرك وتهاجم وتتنقل.

خاصية هذه الحرب التنقل، وحرب الجبهات تعتمد على الخنادق والتحصينات وخاصيتها استعمال معارك ميدان ثابتة، والحقيقة أن الفيت منّه دمجـــوا الخاصـــيتين وبذلك خلقوا شكل جديد فى حروب شعبنا، وهذه استؤصلت من فكـــرة الحـــرب الشعبية، من حرب عصابات طريقة هوشى مّنه ومن حروب سايجون وهاى فـــونج وأيضا من فكرة حروب أجدادنا القائلة باستخدام قوات ضعيفة فى التغلـــب علـــى قوات قوية ومجموعات صغيرة فى مواجهة قوات كبيرة.

استراتيجيتنا فى المبادرة يمكن إرجاعها إلى الإدراك المبكر من جانب حزبنا التى تقول إن الفرنسيين سوف يهاجموننا حتما ومن هنا فإن المؤكد أننا سوف نقاتلـــهم،

وحينئذ يكون لدينا وقت محدد لكى نستعد، وإعلان الحرب فى ظهـــيرة يـــوم ١٩ ديسمبر ١٩٤٦ كان يمثل نظرة واضحة جريئة وقرار مسؤول اتخذه الجد (هـــو) واللجنة المركزية الدائمة، وهذا القرار يضلل الفرنسيين ويسبب لهم تغييرا فى خطتهم الأصلية التى كانت قائمة على الهجوم والتدمير السريع لقواتنـــا والـــسيطرة علـــى العاصمة لتنفيذ خطة دفاعية أكثر واقعية تعتمد على وصول تعزيزات ثم القيام بهجوم مضاد كبير، ولقد اعتقد بعض الناس أن معارك ١٩ ديسمبر يجب أن تكون دفاعيـــة أو فى شكل هجوم مفاجئ، ومن وجهة نظرى أن هذا ليس مناسبا، والقتال فى بداية الحرب، على أى حال، كيفما يكون عنيف أو كبير فى المقياس يظل مركـــزا علـــى إخفاء قوتنا الحقيقية وانتباهنا الواقعى إلى إبقاء الفرنسيون فى نفس المكـــان لـــبعض الوقت وإحداث أكبر خسائر فيهم وبذلك نعطى شعبنا الوقت الكـــافى اســـتعدادا للمعركة، ومع الوقت الذى يكتشف فيه العدو هدفنا نكون قد أنجزنا غرضنا ونكون على استعداد لحرب طويلة، إن إنجازنا يتمثل فى حرب كل الشعب ضد عدو أقـــوى منا عدة مرات وهو عمليا موجود فى العاصمة والمدن الكبيرة الأخرى.

إن العنصر الهام فى مواجهتنا العامة للفرنسيين كان معنويات وقـــوة ووطنيـــة شعبنا، لقد كانوا نفس الشعب ولكن نفسياهم تغيرت بشدة منذ ثورة أغسطس، إن مواطنى الجمهورية الشعبية الفيتنامية كانوا مختلفين كثيرا عن النـــاس المتواضـــعين فى (أنّام) على عهد سلالة (نقويين ١٨٠٢ – ١٩٤٥) والذى كان متطابقـــا مـــع سلالة (لى ١٤٢٨ – ١٧٨٩) وكان غاضبا من قمع الفلاحين والأعمال الانتقامية القاسية ضد جنرالات (تاى سون) بالرغم من مآثرهم فى طرد الغازى الأجنبى.

إن الروح العسكرية لشعبنا قد انتعشت، إن شبابنا الـــذين أقـــسموا علـــى استعدادهم للموت بدلاً من ترديد كلمات (سات ثات أى أقتل المنغولى بسلاحه) إنهم على استعداد أن يضربوا دبابات العدو بالقنابل من أيديهم، وبعـــض الأطفـــال الذين يتبّعون مثال (تران كو تون) بقوا فى هانوى بلا إذن من آبائهم وقاتلوا ضـــد

قسوة وتهوّر مرتزقة فرنسا، والشابات الصغيرات سلكن خطوات (أخوات تـــرون ودامى ترو) فى مقاتلة الغزاة عندما يأتون إلى بلادنا ومن ضمن النساء اللواتى بقـــين فى هانوى كنّ راهبات، وكانت هناك نسوة بقين للقتال بجانب أحبائهن.

حرب العصابات فى الجبهة كانت أول اختراعنا فى فن شن حروب الشعب فى المدن، من ضمن الأساليب الأخرى، وهذا الأسلوب له محدوديتـــه مـــع الأخـــذ فى الاعتبار التفاوتات بين جنودنا والجنود الفرنسيون فنحن لا نستطيع إطالة القتـــال فى المدن ولقد حان الوقت بحيث نتحول إلى تاكتيكات جديدة ونبدأ حـــرب مقاومـــة طويلة الأجل.

***

الفصل الثاني

العودة إلى (تان تراو..)

(١)

فى بداية الشهور الأولى من سنة ١٩٤٧ كان أعضاء الحكومة المركزية مازالوا يتحركون فى حيز ٢٠ كيلومترا من هانوى وذلك من أجل توجيه جبهة القتال الرئيسية بشكل ملائم، وقبل انفجار الحرب الوطنية أعطى الجد (هو) (تران دانج نيه) مسؤولية تجهيز قواعد فى أماكن يمكن أن تستقر فيها الحكومة بجنوب غرب هانوى، ولقد غادر الجد (هو) منطقة (فان بوك) إلى (ثانه هوى) وهى قرية بالقرب من نهر (داى) بجانب (ناقا با ثا) وغرب (با لا بونج دو – وطريق فان دينه) وقد عاش فى كهف صغير بالنهار يعمل فيه على ضوء ينبعث من خلال نافذة صغيرة قلما يخرج منه، وفى الغسق يذهب بهدوء خلف سياج خيزران القرية؛ حيث يزور عددا من أعضاء اللجنة المركزية وإجراءاته الوقائية لم تكن غير ضرورية، وأخيرا كنا قد علمنا أن الفرنسيين خططوا لإنزال مظليين على مقر إقامته التى اعتقدوا أنها كانت فى (ترام باقودا) وما حدث فى ليلة ١٩ ديسمبر هز فرنسا، والجنرال أرجينليو كان فى ذلك الوقت بباريس ومن ضمن دائرة الصقور فى فرنسا رفع صرخة بكائية قائلا إن الفيت منّه قد غدروا بنا وأن قوات الحملة الفرنسية صارت ضحية لخطة طويلة مدبّرة من الفيت منّه، وكان رئيس الوزراء الفرنسى

الجديد (ليون بلوم) قد شكل منذ ثلاثة أيام وزارتــه وفى ١٦ ديــسمبر أرســل (ماريوس ميوتيت) وزير ممتلكات فرنسا الخارجية إلى الهند الصينية بمهمة خاصــة تتمثل فى البحث عن اتفاق ما مع الرئيس (هوشى منّه) بأى ثمن، عنــدما صــارت القضية مزمنة؛ حيث إنه عندما غادر الوزير (موتيت) فرنسا كانت الحــرب قــد انفجرت، وكان (ليوم بلوم) عضوا قديما فى الحزب الاشتراكى وهو لا يوافق علــى الاستعمار ومن محبى السلام وبالتالى كان قد أحرج بالتطورات فى الهند الصينية، وفى ٢٣ ديسمبر قال للمجلس الوطنى إن النظام الاستعمارى القديم الذى كان يستهدف استغلال الأرض وجهد الناس فى المستعمرات صار ملغيا ومن الضرورى أن نتصرف بإخلاص وصدق بحيث نفيد فى عملنا غير المنتهى، أى أن نخلق فيتنام حرة فى اتحــاد الهند الصينية الحرة الذى يرتبط بالاتحاد الفرنسى، ولكن قبل كل شىء نحن يجب أن نستعيد النظام بحيث نخلق القواعد الضرورية لإنجاز الاتفاقيات، وفى اليــوم الــسابق لتكليف (ليكلارك) من طرف (بلوم) بمهمة رحلة بحث فى الهند الصينية كمبعوث خاص لرئيس الوزراء الفرنسى غادر (ليكلارك) فى يــوم ٢٥ ديسمبرفرنــسا إلى فيتنام، وفى يوم ٢٩ ديسمبر أذاع صوت فيتنام رسالة الرئيس (هوشــى منّــه إلى رئيس الوزراء (بلوم) طالبا عودة القوات الفرنسية إلى المواقع التى كانت فيها قبل يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٤٦ وحفظ وقف إطلاق النار، كما أعرب عن سروره بزيــارة (موتيت) للهند الصينية، وبعد عدة أيام أعرب عن استعداده للقاء (موتيــت) فى هانوى ورغبته فى لقاء (ليكلارك) مبعوث رئيس الوزراء الخاص، وجاء فى رســالته (لموتيت) ما يلى (أنا سعيد أن أعلم أنك جئت إلى هانوى وهانينا لك لأنــك فى نفس الوقت صديق قديم لى وكممثل لفرنسا الجديدة ومبعوث سلام فأنــا بــشكل جدى سأكون سعيدا جدا لمقابلتك من أجل أن أعرب عن رغبتنا الصادقة فى السلام والتعاون وأن أقدم مقترحاتنا لإعادة العلاقات الطيبة بين أمتينــا) وقــدم الــرئيس (هوشى منّه) الرسالة لقناصل الولايات المتحدة الأمريكية والصين فى هانوى ورغــم

أنه قدمه إلى واشنطون وبعدها إلى باريس، وبعد أن عاد (موتيت) إلى فرنسا استلم رئيس الوزراء (بلوم) رسالة الجد (هوشى منّه) فى ١٧ ديسمبر بعد أن انفجرت العداوات فى كل فيتنام؛ ذلك أن (فالى وبينون) كانا قد عطلا تقديم مراسلتنا الدبلوماسية إلى السلطات الفرنسية من أجل أبطالها.

ليكلارك لم يتمكن من مقابلة الجد (هو) إذ إن أمر الاتصالات مع حكومتنا كان مناطا بالسيد (موتيت) وبمجرد أن وصل (موتيت) سايجون نصحه كل من (أرجينليو وفالوى وبينون) بعدم الاتصال فعاد إلى فرنسا برسالته، وكان من الممكن له فقط بعد استعادة النظام بالقوة فيما يتصل بالوضع السياسى أن يبحث، والسيد (ليكلارك) مقتنع بتقديراته السابقة القائلة أن إعادة احتلال الهند الصينية بالقوة سوف يحتاج إلى ٥٣٠,٠٠٠ ألف من القوات لكن الحل السياسى الدائم فى النهاية يجب أن يحصل مع الشعب الفيتنامى البالغ عدده ٢٤ مليون نسمة، وفى الوقت الحاضر، فإنه من أجل أن نقوم بعملية عسكرية خلال شتاء (١٩٤٧ - ١٩٤٨) سنحتاج إلى حملة قوات من ٣٥٠,٠٠٠ ألف جندى وهذا كما كان يعتقد سوف يخلق موقفا قويا للتفاوض، ويظهر أن كلاً من (ليكلارك وموتيت) يشاركانه فى نفس هذه النظرة، وكذلك أدرك (ليكلارك) أن حلا فى الهند الصينية كان فى غاية الصعوبة فى ظل الظروف القائمة ولقد رفض مرتين طلب الحكومة الفرنسية أن يعود إلى الهند الصينية ويستمر فى عمله.

بقت حكومة (بلوم) فى الحكم لمدة شهر واحد فقط وقد أرادت دوائر الصقور فى فرنسا الحرب فى الهند الصينية بحيث تقوم فرنسا بمطالبهم دون عقبات، وكان على الجد (هو) أن يغيّر مكان إقامتة مرارا فقد انتقل كثيرا من مكان إلى آخر وكان يرئس جلسات مجلس الوزراء ويستمع إلى التقارير والملاحظات من وزير الاقتصاد ووزير الخارجية كما يناقش مشاكل الحرب والمقاومة وعادة ما يستمر الاجتماع إلى الساعة الرابعة والنصف من صباح اليوم التالى.

خلال هذه الفترة كان الجد (هو) واللجنة المركزية والحكومة يوجّهون القتال مباشرة فى هانوى وكذلك تعبئة البلاد كلها لظروف الحرب، ولقد كانت البداية الأولى للحرب نجاحا عظيما وكان أعضاء القيادة وقواعد المعدات قد نقلت إلى أماكن آمنة فى سرّية، كما أن الجد (هو) أولى عناية خاصة بتخزين الأرز والملح اللذين لا غنى عنهما ضرورهما للناس، وقد أوكل واجب نقل ٢٠،٠٠٠ ألف طن ملح من (فان لى) بمنطقة (نام دينه) إلى (فيت باك للسيد نقيين لونج بانج) رغم الحصار الشديد على المناطق الساحلية منذ بداية الحملة على الحدود فى ١٩٥٠ وكان مازال لدينا ٤٠ طنا من الملح لنبعثا إلى (كو بانج) كذلك كان الجد(هو) قد أولى عناية خاصة لإخلاء السكان ففى ٣١ ديسمبر ١٩٤٦ تكوّنت لجنة رئيسية من أجل الإخلاء كما قرر أن أى مقاطعة أو مركز أو قرية لابد أن تكوّن لجنة إخلاء ومحطات لاستقبال الذين يتم إخلاؤهم وتجهيز أماكن لهم ونقل حاجياهم ومساعدهم فى الإقامة بالمناطق الزراعية المنتجة، وفى رسالته لأولئك الذين يتم أخلاءهم يوم ١٧ فبراير ١٩٤٧ كتب يقول: لإن تخلى فذلك أيضا لكى تشارك فى المقاومة وكذلك يجب القيام بالإنتاج، كما طلب من السكان الذين بمناطق المؤخرة أن يساعدوا بعضهم؛ ذلك أن الشعب الواحد يجب أن يحس الواحد بألم الآخر.

وعلى الرغم من أن الجد (هو) مشغول جدا فقد كان يخصص وقتًا لزيارة كثير من الأماكن، وفى بداية فبراير حضر مؤتمرا خاصا بمساعدة المهجّرين فى (نينه بينه) ومن ١٨ إلى ٢٠ فبراير ذهب إلى (ثانه هوى) ومثل أجدادنا كان يخص هذه المنطقة باهتمام كبير فى النضال ضد الغزو الأجنبى، ويرى أن (ثانه هوى) و (نقهى) كقاعدتين ثانيتين للمقاومة فى الشمال، وفى برقية للمقاطعة قبل أن يغادر طلب أن يعقد مؤتمر للمسؤولين وممثلى المقاطعة وممثلين عن كل الأعراق والأقليات والأديان وملاك الأرض والتجار، وفى حديث له ظهر يوم ٢٠ فبراير فى (رونج ثونج – مركز دونج سون) أعرب عن أمله أن (ثونج هو) ستكون المقاطعة الرمز

فى المقاومة الوطنية، وفى بناء المجال الاقتصادى قال: من أجل أن نزيد فى الإنتاج لابد لنا أن نستخدم قابليات جهود الناس والعمل بالمصادر كلها لصالح الشعب ويجب أن نؤكد أن الفقير يتوفر له ما يأكل، إن أولئك الذين يتوفر لديهم الكثير من الطعام يصيرون سعداء وأغنياء وأولئك السعداء الذين هم أغنياء يصيرون أكثر غنى، وأن كل إنسان يستطيع أن يقرأ ويكتب وأن كل شخص يرتقى بالتضامن والوطنية.

فى اليوم الثانى كتب إلىّ (فو كى) سكرتير الجد (هو) يقول إن الجد (هو) يريد تاريخ فيتنام وكان من الصعب الحصول على مثل هذا الكتاب؛ حيث إن الناس تركوا هانوى وليس معهم إلا القليل على أكتافهم وبعد ذاك علمت أن (فو كى) قد وجد كتاب مختصر تاريخ فيتنام من تأليف (ترانج ترونج كيم) وكان الجد (هو) قد ركّز على الفقرات المتعلقة بالانتفاضات والنضال ضد الغزو الخارجى وخصوصا الحرب ضد منغولي (ياوان) وتمرد (لام سون) وقال لسكرتيره (فو كى) أن يطلب من (ترونج تشينه) ومنى أن نقرأ تلك الفقرات.

(٢)

فى يناير ١٩٤٧ صعّد الفرنسيون أنشطتهم العسكرية فى الكثير من ميادين القتال محاولين احتلال المدن المحاصرة وتوسيع الأراضى التى يحتلونها، ومع منتصف فبراير برزت ظاهرة جديدة أى تقسيم جبهات الحرب، وبمجرد أن قسمت جبهة (هوى) تبعتها جبهة (سون لا) وكان فوج (سون لا) بعد قتال الفرنسيين لعدة شهور أجبر أخيرا على الخروج من الإقليم الشمالى الغربى وكان عليه أن ينسحب إلى (لاى دونج) فى مقاطعة (بو ثو) فى الجبهة الشمالية وفوج (تين يين) كان عليه أن يترك أرض الجبهة فى مقاطعة (هاى نينه) وينسحب إلى أبعد من (باك قيانج) كانت مناطق واسعة ومواقع ذات أهمية استراتيجية وكثافة سكانية قد

أصبحت ضمن المناطق التى احتلها العدو، وتقسيم جبهات القتال مثلت فى الواقــع أوضاع مختلفة من تلك الإنسحابات التى قامت بها قوات الثورة وكان لها الكثير من الآثار السلبية؛ ذلك أن الأتصال بين العديد من الوحدات قد قطع، والروح المعنوية متردية بين كل من الضباط والجنود فبعض الضباط هربوا وبعــض الجنـــود تركـــوا وحداتهم والشعب صار حائرا وصار يعتقد أن العدو قوى جدا والظاهرة سوف لـــن توقف ما لم تتخذ إجراءات سريعة.

الفكرة الأساسية التى توجه المقاومة كان قد عبّر عنها الرئيس (هوشى مّنــه) فى مقالة بعنوان (العمليات الملحّة التى يجب أن تتخذ الآن) وقد نشرت فى يــوم ٥ نوفمبر ١٩٤٦ ولقد أدرك أن الفرنسيين سوف يقاتلوننا إلى النهاية؛ إذ إن فــشلهم فى فيتنام سوف يهدم كل مكتسباتهم الإمبرالية، وتوّقع أنهم سيرســلون تعزيــزات ضخمة، طائرات ودبابات ليزرعوا بذور التدمير فى فيتنام وأن يرعبوا بقسوة الشعب الفيتنامى ولكنه مع ذلك كان يعرف أن قواتهم محدودة وقال: إننـــا إذا واجهنـــاهم بشكل حازم خلال بداية الحرب ونسعى إلى أن ندخلهم فى برد الشتاء فسوف نقابل الربيع وتكون حرب مقاومتنا مرتبطة بالبناء الوطنى يصنع مقاومـــة دائمـــة بكـــل الشعب، لقد كان من المهم أن نغرس الثقة والتصميم ويمكن أن ننسحب من المـــدن ولكننا سوف نحافظ على كل المناطق الريفية.

لقد أكدت سنة المقاومة فى (نام بو) أن الفرنسيين، رغم قـــوهم الهائلـــة لا يمكنهم تدمير قواتنا المسلحة وشعبنا فى (نام بو) وكذلك صح أن حرب العصابات يمكن أن تشن فى المناطق الريفية، وعلى السهول وحتى فى المدن إذا ما اعتمدنا علـــى الشعب، أهل الجبال وأهل البحار مقاتلون أشداء، ثم إن الجبال والغابـــات مثلـــت وسائل إخفاء فعالة للمقاتلين فى حرب العصابات وذلك هو السبب فى تعليمات يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٤٦ التى أصدرتها اللجنة المركزية المتعلقة بالمقاومة التى يقوم بها كل الشعب والتطبيق الصارم لشعار تاكتيك حرب العصابات، وبالنسبة لقواتنا الرئيسية

فقد كانت نظّمت على أساس مستوى الفوج أو الكتيبة، ومع ذلك، فإنه بالنسبة لما لدينا من معدات لم تكن القوات قادرة على الانتشار فى كل خطوط المواجهة بحيث تتصدى وتراقب تقدم العدو، حينئذ فإن التعليمات لقواتنا أُمرت أن تتبع بشدة حرب العصابات المتحركة.

عقد أول مؤتمر عسكرى فى منتصف يناير ١٩٤٧ مركز (شتونج ماى) بمحافظة (ها دونج) استنتج أن الفرنسيين يدرسون ترتيبات هجوم مضاد يصمّم من أجل أن يبتلع بلادنا كلها، ولهذا ومن أجل أن تستعيد المبادرة فى مختلف الجبهات كان على قواتنا أن تغيّر تاكتيكاتها بحيث تعتمد حرب العصابات المتحركة كعنصر رئيسى فى استراتيجيتها، وحرب العاصابات المتحركة فى الواقع ليست حرب عصابات بسبب أن القوات المشاركة تكون نسبيا كبيرة، ولكنها كذلك ليست حربا تقليدية متحركة إما بسبب أنها لا تحتوى على وحدات مقاتلة كبيرة حيث إن ساحة العمليات ليست واسعة وأن نوع القتال يكون مختلفا يتضمن إقامة حصار ويهاجم من الخلف فى عمليات مباغتة ويضع كمائن ثم جمع كل هذه العمليات فى الحرب، وحرب العصابات لابد أن تتطور لتكوّن حرب متحركة وأن النوعين من التاكتيك يختلفان فى المستوى والحجم ولهذا فإن حرب العصابات الفيتنامية تقع فى الوسط من تطور هذه الأساليب.

بعد المؤتمر تبادلت وجهات النظر مع هيئة الأركان العامة وأمرت قواتنا أن تبدأ أسلوب حرب العصابات المتحركة، وفى ١ فبراير ١٩٤٧ أرسل أمر القيادة العامة الى كل الوحدات العسكرية؛ حيث إن تقديراتها تقول إن العدو كان دائما يتنقل وقادرا على تركيز قواته لمهاجمتنا من كل جانب وقواتنا بالمقارنة فى أغلب الأحيان تنتشر فى جبهة القتال وهى مفتقدة قابلية الحركة ولهذا فهى مجبرة على البقاء فى موقع سلبى وبالتالى تفتقد إلى الكثير من الفرص لهزيمة الفرنسيين، وقد وصفت الأوامر أسباب هذا الوضع على النحو التالى الاتصال بين القوات غير

جيد، عمل الاستكشاف والاستخبار لم يكن مؤثرا، المعلومات لم تكن دقيقة أو واضحة، التضاريس وطرق المواصلات بين كل وحدة ومنطقة عمليات لم تكن معروفة جيدا، قواتنا لم تعتد على الحركة، وطرق تاكتيكاها لم تكن مرنة، ولقد تم اقتراح إجراءات صارمة للتغلب على كل واحدة من هذه العقبات وقد أمرت القوات على خطوط القتال بتغيير مواقعها مرارا وأن تمتنع عن القيام بشن هجمات خاطفة وأن تعمل بأساليب مرنة وعلى أن تكون جاهزة للتعامل مع أى تطورات فى جبهة القتال، وأمرت قوات المؤخرة أن تغير أماكن حامياها مرارا وأن تكون متحركة.

من ١٤ فبراير إلى ١٦ عقد مؤتمرا لمندوبى المناطق والألوية السياسيين وكسكرتير للجنة الحزب العسكرية شاركت فى رئاسة المؤتمر مع (فان ثين دونج) وكان هذا أول مؤتمر وطنى عن دور الجيش السياسى، وفى المؤتمر قدمت تقريرا عن الوضع العسكرى استراتيجيا وتاكتيكيا وواجب العمل السياسى فى الجيش وقد قرر المؤتمر أن حرب المقاومة قد وصلت إلى مرحلة هامة، مرحلة المحاكمة الصعبة، واعتبر أن العمل السياسى هاما لتمكين الجيش من تحقيق النصر والمساهمة فى نجاح حرب التحرير الوطنى.

ولقد حدد المؤتمر خطوط عشرة فى واجب العمل السياسى، والهدف الأساسى فيها كان تعزيز روح المقاتلين وثقتهم فى انتصار حرب المقاومة أما الواجبات الأخرى فهى ضرورة تقوية رغبة الأفراد فى القتال أثناء اللحظات الخطرة وزيادة الدراسة الفنية والتاكتيكية والتدريبية، والتنفيذ الدقيق للمبدأ التوجيهى لاستراتيجية قواتنا وتعزيز الإحساس بالمسؤولية والمحافظة على التماسك الداخلى فى الجيش والتضامن مع الشعب وتعبئة معنويات الشعب وتنفيذ برنامج الإزعاج الموّجه ضد العدو.

ناقش المؤتمر السؤال الهام المتعلق بالعمل السياسى، وخصوصا لأولئك الذين مختصّون، داعما ومصححا العناصر السياسية داخل الجيش، ومبيّنا الواجبات والمسئوليات المتعلقة بالمندوبين السياسيين فى كل منطقة ومن مستوى الفوج إلى الفصيل واعتبر الكتيبة هى المستوى الرئيسى للعمل السياسى، كذلك حدد المؤتمر أحد عشر انضباطا وعشرة أقسام شرف على الضباط والرجال يتذرونها قلبيا وقراءها عاليا تحت الراية الوطنية كلما جمعت القوات فى طابور الحضور، ولقد أثبت هذه الإجراءات قوة فعاليتها فى تثقيف الجيش وتقوية العلاقات بين الجيش والشعب خلال فترة الحرب، والمعايير التى استعملت فى قيّم نجاح العمل السياسى كانت تتمثل فى النجاحات التى حققها الجنود والترحيب بهم من قبل الشعب أينما ذهبوا.

فى ٢ مارس أنا شخصيا شاهدت أول عملية على مستوى واسع قامت بها القوات الفرنسية، بدأت من هانوى حيث فتحت دباباهم وعرباهم المصفحة الطريق لمشاة قواهم لتتقدم فى شُعبتين، من جنوب غرب هانوى إلى (ها دونج وماى لينه وتروك سون وترام باقودا وسون لو وكوك كاى وثاى باقودا) ومن (شيم) على طول النهر الأحمر وخنادق نهر داى نزولا إلى جسر (فونج) للهجوم على مقاطعة (دان فونج) وقد قالت إذاعتهم علنا أن العملية كانت تستهدف القبض على الأعضاء القياديين للفيت مينه الذين اكتشفتهم فى المنطقة.

وكان الكثير من القيادات الرئيسية فى المراكز الجنوبية الغربية من هانوى فى منطقة التقدم الفرنسى، وبعض الكتائب أقيمت للتو من أجل الدفاع عن قيادات الحكومة وفوج العاصمة الذى كان قد سحب من المنطقة الداخلية فى هانوى وتمركز فى مواقع على طول الخنادق أو خلف أسيجة خيزران القرية جاهزا لمقاتلة العدو إذا ما جاء.

لقد كنت قلقا من حقيقة أن الحواجز التى كانت قد أقيمت بجهد مرهق من الناس على الخنادق قد لا تمنع تقدم الدبابات والعربات المصفحة الفرنسية وكانت

قرقعة جنازير الدبابات تسمع فى كل المنطقة من فوق الخنادق، ومواسير مدافعها الطويلة يمكنها بسهولة أن تمطر بقنابلها القرى الواقعة تحتها، ومنذ بداية الحرب كان تدمير الدبابات والعربات المصفحة التى يستخدمها العدو قد أبرز أمامنا سؤالا معقّدا ولم يكن بمستطاعنا أن نترك مقاتلينا يستمرون فى الاندفاع نحو دبابات العدو مسلحين بقنابل الانفجاع الثلاثى فقط ، وفى آخر يناير أبلغنا أن (تران داى أنقهويا) قد صنّعت لتوها سلاح البازوكا فى مركز (أنق هوى) ولهذا أرسلت على الفور (ثان ماى) رئيس سكرتارية الوزارة إلى إدارة التسليح وعند عودته أحضر معه اثنان من البازوكا مع عشر مقذوفات وهذه سلمت على الفور للجنود على جبهة (هانوى) وبقلق شديد انتظرت سماع نتائج استخدامها جميعا فى القتال.

وعند ظهيرة يوم ٢ من مارس دمر جنودنا دباباتين للعدو فى منطقة (سون لو) بسلاح البازوكا الجديد عندما كانت تتقدم وكانت تلك أول مرة تدمر فيها البازوكا الفيتنامية دبابات فرنسية وهذا الإستخدام ملأ عقول الجنود بالحماس، وفى نفس ظهيرة ذلك اليوم ذهبت إلى (فين نوى) لإبلاغ الجد (هو) عن الحرب وأن أطلب منه تغيير مكان إقامته، وفى تلك الليلة غادر الجد (هو) منطقة (فين نوى) يرافقه (تران دانج نينه) كما كانت اللجنة المركزية قد قررت سابقا، وفى صباح يوم الثالث من مارس وصل الجد (هو) منطقة (يون تاى) وكان هناك الكثير من الناس المغادرين ولم يكن فى مقدور السائق أن يحرك العربة ولهذا اقترح (تران دانج نينه) استخدام عربة عادية ولم يكن لأحد أن يتعرف على الرجل العجوز فى تلك العربة العادية؛ إذ كان يلف رأسه بفطاء وهو الرئيس (هوشى منّه) وفى المساء كان الجد (هو) قد عبر نهر (دا) إلى الجانب الآخر من النهر، وفى (ترون ها) قابل (هيونج فان ثاى) الذى كان فى طريق عودته من رئاسة القيادة العليا ولقد قدم (هيونج فان ثاى) عربته للجد (هو) بحيث يستمر فى رحلته.

بقى الجد (هو) فى (كو تيت) قرب شلالات (با تريو) لبعض الوقت والرجال الذين صحبوه وهو عادة ما يطلق عليهم أسماء مختلفة للحفاظ على السرّية وإن كان هذه المرة أضاف إلى تلك الأسماء تعبير الأخوة، وبمزحة قال: أنتم شعارى الحى، وعبر كل مراحل المقاومة ضد الفرنسيين كانت مجموعة مساعديه القريبة جدا هى نفسها وهى فقط، أما أنا فقد بقيت فى (توك تان – مركز كووك أوى) لعدة أيام، أكدت العملية الفرنسية فى هانوى بكل وضوح أن قواتنا لم تكن بما يلزم من قوة كافية لمقاومة الهجمة الفرنسية ولقد ألتزمت قواتنا بمواقعها منتظرة وصول العدو وكانت فى الحقيقة عاجزة جدا لمواجهة عملية العدو فى القوة والسرعة وهكذا فقد أحاط الفرنسيون بقواتنا ثم هاجمونا من الخلف الشىء الذى خلق لنا صعوبات وأدى إلى خرق جبهتنا، وقد أدركت أنه من الضرورى إحداث تغيير مدوّى فى أفكار ضباطنا بحيث يمكنهم الرد فى المناسبة المواتية طبقا للحالة المتغيّرة، وفى ٦ مارس كتبت أمرا يقول، ضرورة التحول إلى حرب العصابات المتحركة، وكان هذا هو الأمر الثانى حول نفس الموضوع خلال خمسة أسابيع حيث كان الأول بتوقيع رئيس هيئة الأركان العامة وكان قد أرسل إلى كل وحدة، والأمر الثانى جاء من القيادة العليا ويتضمن عبارات أكثر إلحاحا، وكأنه رسالة خاصة وجهت إلى قادة كل منطقة وفوج، وشدد هذا الأمر على القول أن تاكتيك حرب العصابات المتحركة يجب أن يطبّق بجرأة أى أن القوات يجب أن تركّز قوتها المتحركة، وأن حركة القوات يجب أن تكون سريعة وسريّة فى حالة الهجوم فى الأماكن حيث يكون العدو ضعيفا نسبيا أو أنه لم يحصّن مواقعه بعد، وبعد الهجوم فإن القوات لابد أن تسحب فورا من أجل أن تعد للهجوم على مواقع أخرى، ونحن لا ننوى ترك الأرض بأى حال من الأحوال، وأن القوات الأساسية سوف تركّز بحيث يمكنها شن هجوم على مستوى كبير وبعض الفصائل ستنسق مع الميليشيا من أجل تنظيم مجموعات لتدمير الدبابات ولتوقف الإنشاءات فى بناء الحواجز وتدمير الطرق ووضع العوائق على الخنادق،

وكان هذا الأمر قد شدد على أهمية عمل تاكتيكات حرب العصابات المتحركة باستمرار، وخلال شهر مارس لم تكن هناك اختراقات حربية أخرى، وفى بداية مرحلة حرب المقاومة الوطنية كان من الطبيعى أن تقيم القوات جبهات قتال والفرنسيون الذين تركّزوا بداية فى المدن صاروا ينتشرون للسيطرة على مساحات أكبر وتوسيع مناطق احتلالهم وكانت قواتنا فى هذا الوقت منظّمة على شكل أفواج وفى كل مرة يواجهون فيها العدو كانوا ملزمين بالدفاع عن الأرض والناس، ولهذا فإنه من الطبيعى أن تتكّون جبهات وعلى الرغم من الشجاعة فإن قواتنا ببنادقها والقليل من ذخائرها وقنابلها اليدوية المصنوعة محليا وسيوفها لم تكن فى الوضع الذى يمكنها من منع تقدم الدبابات الفرنسية وقد اخترقت جبهاتنا بسبب أن مدافعينا لم يعرفوا الوضع الحقيقى وبالتالى يغيّروا أساليب قتالهم.

فى شهر مارس بدأت قواتنا تقوم بأسلوب حرب العصابات التى أثبتت تأثيرا فى (نام دينه وهاى فونج) ومع ذلك فقد واجهنا خسائر فى (ها دونج) فى حين أن قيادة جبهة الحرب فى (هانوى) حاولت تحقيق بعض النصر بعد أن أجبرت على الانسحاب من المنطقة الداخلية (١) فى ليلة ٢٠ مارس وفى نفس الوقت عندما بدأ الهجوم على مدينة (هاى فونج) بواسطة عشرة كتائب من حرسنا الوطنى فى المنطقة (٣) استخدمت جبهة هانوى قوات مختلطة فى حجم فوج واحد لتقوم بهجوم على مدينة (هاى دونج) التى كانت قد احتلت حديثا بواسطة القوات الفرنسية كنا مصممين على الفوز فى المعركة وكان أغلب المقاتلين من قواتنا ضباطا قادة أفواج وكتائب وفصائل يتقدمون المعركة وقد تمت مهاجمة الفرنسيين على حين غرّة وحدث أن أغلبهم أخذوا أسلحتهم وهم فى لباس النوم، ومع ذلك اعتمادا على تحصيناتهم وكثافة نيران أسلحتهم نجحوا فى كبح هجومنا ولهذا فقد كان على قواتنا أن تنسحب مع انبلاج الفجر وكانت خسائرنا مساوية لخسائر الفرنسيين ولكن كانت خسائرنا فى الضباط كبيرة كذلك خسرنا حوالى مائة بندقية من مختلف الأعيرة وكنا

قد خططنا بشكل غير دقيق لتدمير العدو بالكامل فى المدينة فى حين كانت الظروف مواتية فقط لهجوم مفاجئ معتدل يركّز على تدمير جزء من العدو ثم الانسحاب السريع ذلك أن الشجاعة لا يمكن وحدها أن تأتى بالنصر، ولقد شعرت بأننا على ضوء ما لدينا من معدات وقدرات حالية لا يمكننا مواجهة الفرنسيين فى معارك على مستوى الأفواج، فى حين أن كتيبة من لواء العاصمة قاتلت بشكل جيد ضد الفرنسيين فى مناطق (كاو دام وتشونج مى وها دونج) وقد انتهت المعركة فى مدينة (ها دونج) من قتال المرحلة الأولى لصالح قواتنا وللشعب فى جبهة قتال هانوى.

(٣)

وكنت قد غادرت جبهة قتال هانوى بعد أسبوع من مغادرة الجد (هو) ومنذ بداية الحرب هناك فإن أعضاء اللجنة المركزية فى الحزب والحكومة والجبهة الوطنية أقاموا فى قرى تقع جنوب غرب هانوى، وكانت محطة إذاعة صوت فيتنام تبث يوميا من منطقة تقع على بعد ١٠ كيلومترات من العاصمة، وهذا التحرك جعل العدو يعتقد أننا سوف نستمر فى التنقل إلى الجنوب الغربى حيث الحدود والعدد السكانى الكبير وهى مناطق لم تزل غير محتلة من جانب الفرنسيين،ولهذا فقد وجه الفرنسيون فى بداية مارس هجومهم إلى هذه المناطق، والواقع أننا انتقلنا إلى الشمال الغربى وقامت وحداتنا الدفاعية بتطويق أماكن أقسامنا الإدارية وكان أحسن دفاع فى هذا الوقت سرّيا ذلك أن قواتنا لم تكن قوية بما فيه الكفاية لإيقاف الدبابات والعربات المصفحة الفرنسية ناهيك عن قصف الطائرات والمدفعية.

نظّم (تران دانج نينه) فرق للارتفاع بوعى الجماهير عن حرب المقاومة وتثقيفهم عن لزوم السرّية وتحقيق الأمن ومساعدة السلطات المحلية بشأن تنظيم

الجماهير والميليشيات، ولقد اتجه الكثير من المهجّرين إلى الشمال الغربي وبعض الأسر من موظفى الخدمة العامة وكانت المقاومة الشعبية قد وحّدت الناس من مختلف الطبقات الاجتماعية ولم يكن مع المهجّرين غير حاجيات قليلة؛ لأنهم لا يعرفون إلى أين تنتهى وجهتهم ولكنهم أينما ذهبوا كانوا يجدون العناية وكان باب كل بيت مفتوحا لهم ويرحب بهم كما لو أنهم أفراد من نفس العائلة، وعلى طريق (سون تراى – ترونج ها) قابلت السيدة (ثون تات ثونج) فى عربة زوجها، وكانت تعمل مدرسة فى الكلية الطبية بهانوى وكثيرين من المدرسين الآخرين والمثقفين الذين التحقوا بالمقاومة وكانوا محترمين من جانب الاستعماريين الفرنسيين (٩) حيث إن أغلبية المثقفين بما فى ذلك علماء مشاهير وفنانين وحتى عدد من القيادات الدينية قد ساروا فى طريق المقاومة.

ومبكرا فى سنة ١٩٤٠ كانت المقالات التى تسخر من الفرنسيين قد بدأت تظهر فى صحافة هانوى وهى تقول أن اليابانيين لو غزوا الهند الصينية فإن الفرنسيين سوف ينسحبوا عميقا فى المنطقة الداخلية كما فعل الصينيون ملخّصين هذا الأسلوب الذى كان قد استخدم بواسطة (كوتوزوف – *) فى مقاومة جيش نابليون فى روسيا وأن (كلاوزيويتز) لو استنتج أن يطبقه فى بلده فلن يكون هناك فضاء فى فيتنام، وعلى أى حال هى ليست بلدا واسعا، ولقد ظهر الفرنسيون فى كل موقع بالبلاد، واستخدامهم للمعدات العسكرية ضيّق المسافات، على أن أغلب وحداتنا تمسك بالعدو على الرغم من كل ذلك وتستمر فى القتال، وأعضاء الحزب والحكومة وسلطات المقاطعات والمناطق فقط هى التى انسحبت إلى مناطق القواعد، ولكن حتى القواعد البعيدة كانت تفصلها عن العدو مسيرة يوم فقط بالمواصلات الميكانيكية أو نصف ساعة باستعمال القوات المنقولة جوا، فى هذه الحرب، ليس لنا

---

٩ – هؤلاء جميعا درسوا وتثقفوا فى فرنسا – المؤلف..

مناطق خلفية آمنة، وبالتالى فإن انسحاباتنا فى الحقيقة إنما هى نضال ضد خصمنا، وبعد أكثر من سنة من القتال ضد الفرنسيين فى (نام بو) تعلمنا على أى حال، أنه ليس القواعد الكبيرة فقط فى مناطق المقاومة تستطيع أن تقف بقوة وإنما أولئك الذين فى محاذاة (سايجون وكو لون).

بعد أن غادر أعضاء الحزب والحكومة وقيادة الجيش جبهة هانوى فى ٢١ مارس قامت القيادة الفرنسية بعملية واسعة ضد المنطقة التى تمركزت بها قواتنا وقد وصلوا كل مكان على أمل أسر قيادات المقاومة وقد بدأوا من كل إتجاه حيث تقدمت وحدة من القوات المميكنة البرية إلى (فان دينه) واندفعت داخل ((ها دونج) وسارت كتيبتان من قوات المشاة وأسطول من البوارج الحربية عبر النهر الأحمر لتنزل فى أرض (فو لاى) ومنها تقدموا إلى مناطق أخرى وكانت كتيبة مشاة أخرى قد تقدمت إلى (نينه بينه) مستخدمة البوارج الحربية ولقد حرّكوا فى العملية ٥٠٠٠ من القوات الأرضية وعدد كبير من الدبابات والبوارج الحربية والطائرات حيث كانت القيادة الفرنسية تعتقد أن قيادة المقاومة كانت تتجه إلى الجنوب الغربى ولم تكن لهم معرفة بأننا منذ وقت طويل اخترنا الشمال الغربى، وكان الجد (هو) عائدا إلى (تانج ترو) وكنا ننقل العاصمة الشىء الذى نادرا ما حدث فى تاريخ الحروب بعد ثلاثة شهور من القتال فى هانوى متحملين الخسائر الكبيرة، وهكذا انتهى الفرنسيون إلى احتلال شوارع ميّتة فلم يكن هناك أناس ولا كهرباء أو ماء جار؛ فكل أعضاء الإدارة والمصانع والمستشفيات والمدارس وكل ما يصنع الحياة فى العاصمة كان قد اختفى , وكان الجنرال (سالان) نفسه اضطر إلى أن يعترف قائلا إن هانوى صارت فراغ مطلق.

(٤)

صارت مدينة (ثو) الواقعة على نهر (ثوو) العاصمة المصغّرة بها قاعات شاى وموسيقى ومسارح تقدم فيها عروض فرق مسرحية ونساء بملابس مسربلة على طريقة سيدات هانوى، وبالطبع كانت هناك أغانى الحرب وهذه تحوى شعارات على الحيطان فى فرنسا أو ألمانيا تستهدف تهييج قوات العدو وحراب خيزران تغرس حول المناطق الريفية لإعاقة المظليين، إن الظرف المتحرك فى المدينة يظهر أن كثير من الناس لم يعرفوا بعد المحنة القادمة من الحرب، ولذلك فإن الحكومة أصدرت أمرا بالحذر وسرعان ما انتهى الأمر، وخلال إقامتى فى (ثيو تيو) شعرت بأنه من الواجب عقد مؤتمر عسكرى لبحث الوضع بعد ثلاثة شهور من القتال ولوضع سياسات جديدة وكانت الخطوط الحديدية من (ثيو تيو) إلى (لو كاى) ماتزال تعمل وقررت أن أبحث الاستعدادات التى أعدت فى المقاطعة الشمالية الغربية قبل أن يصل المندوبون للمؤتمر، وتحت الفرنسيون كانت (لو كو) واحدة من المقاطعات العسكرية الخمس فى فيتنام التى يسيطر عليها الجيش الفرنسى وكنت أعرف أنه إما قريبا أو بعيدا سوف تجد القوات الفرنسية طريقها فى العودة إلى هذا المكان الهام، وقد سافرت إلى (لاو كاى) رفقة (بانج قيانج) قائد المنطقة العاشرة، وكانت (لاو كاى) آخر مدينة تحرر من سيطرة الموالين للجنرال (تشان كاى تشيك) زعيم الحزب الوطنى الفيتنامى، وكان الناس المحليون قد اعتادوا على النضال مع جيش فى المدينة والجبال وكان كل واحد مشغولا بالإعداد للحرب، وبعد بضعة شهور (لاو كاى) صارت أعظم موقع مؤلم فى الشمال الغربى فى جبهة القتال للفرنسيين.

عدت أنا من (لاوكاى) إلى (ثين كين) فى مقاطعة (فو ثو) وهى التى كانت مقرا للمؤتمر العسكرى الثانى وقد أحضرت معى فرع من زهرة الشاطئ كهدية للجد (هو) وفى هذه الشهور انشغل الفرنسيون فى حرب ميكانيكية

متحركة وبعد أن حددوا هدفهم أرسلوا قوات مميكنة من كل الاتجاهات على الطرق بطول خنادق النهر أو عبر حقول الأرز الجافة التى كانت دفاعاها ضعيفة من جانبنا وكانت عدّة شعب ركّزت على هدفهم فى مناطق الشواطئ أو فى أماكن حيثما توفرت طرق نهرية وهم كانوا دائما يستخدمون الطرق المائية لقواهم البرية وعموما فلقد هاجموا مستخدمين القوات البرية والدبابات والعربات المصفحة، من الأمام تساندهم الطائرات والمدفعية ثم فجأة أرسلوا قوات من خلفنا أو من جوانبنا من البرمائيات أو القاذفات المميكنة ودفعونا فى الوسط من الجانبين وكانوا قد استخدموا هذا الأسلوب على الطريق السريع رقم (٥) وفى (هيو) معتمدين على تفوقهم المطلق فى القوات البرية المميكنة والدبابات والعربات المصفحة ليخترقوا دفاعاتنا ويعرقلوا ويبعثروا قواتنا، وكانت الهجومات الفرنسية دائما تتضمن المحاصرة والهجمات المطوّلة وكذلك الهجوم من الخلف، وبجانب العمليات الكبيرة فى بعض الأماكن فإن الفرنسيين أيضا بذكاء استخدموا أسلوب حرب العصابات وفى (سون لا) استخدموا أعداد صغيرة من ١٠ إلى ١٢ جنديا يتجمعون فى مكان واحد خلال النهار وفى مكان آخر خلال الليل ثم يقومون بهجوم مفاجئ على قواتنا من الخلف أو من الأجنحة، وفى (هيو) غيرت بعض القوات الفرنسية مواقعها عدة مرات فى ليلة واحدة وكانوا يتركون إضاءات خافتة فى المكان الذى لا توجد به قوات وبمجرد أن يتنكّروا كمدنيين يهاجموا جنودنا، وكانت الدفاعات الفرنسية تعدّه بشكل جيد جدا حال وصولهم فى أى مكان ويقومون فورا ببناء دفاعاهم ويحفرون الخنادق ويكدّسون أكياس الرمل حيث تتموضع قوة نيراهم وأقاموا حواجز الأسلاك الشائكة التى ثبّتوا عليها أجساما تصدر أصواتا مثل صدى رنين العلب الفارغة عندما تتصادم وزرعوا حراب مدبّبة لمنع الهجوم المفاجئ، لقد كانت قوة نيراهم كبيرة واحتفظوا باحتياطى الذخائر والأطعمة ومياه الشرب توقّعا لحصار طويل بل إنهم استخدموا حتى الكلاب والقرود للحراسة واستعملوا عملاء فيتناميين كجواسيس.

من الواضح أنهم كانوا محترفون جدا، ومن ملاحظة استعدادات الفرنسيين وتاكتيكاتهم اكتشفنا نحن كم كان قصورنا وضعفنا فنحن لدينا جيش نظّم حديثا بلا تدريب وسلاح كافى وقادة خبراء، والواقع أن أى جيش ثورى لابد أن يمر بمثل فترة عدم النضج هذه، ولقد قررنا أن أحسن مدرسة فى الوقت الحاضر كانت تتمثل فى ميدان القتال وقد درسنا القتال وكان عدوّنا هو معلمنا يساعدنا على التغلب على قصورنا، وفى المؤتمر العسكرى كانت الترتيبات لمواجهة تاكتيك العدو قد نوقشت بحرارة وقررنا أننا نحتاج لأساليب الهجوم النشط على خصمنا فى كل الأوضاع، وفى النهاية، عرفنا أننا يجب أن نفهم الفرنسين وأن نرسم خطط قتال مناسبة وغير مغامرة كثيرا ولم يكن هدفنا فقط أن نطحن قواهم ولكن أن نقوم ببعض المعارك الكبيرة وأن نقبض على سجناء حرب ونحصل على أسلحة وبذلك فقط يمكننا أن نبنى جيشنا وقوتنا، وناقشنا كيفية تنظيم مناطق قواعدنا قبل أن نفجر المقاومة الشاملة فى الريف وكان هذا السؤال قد طرح على مستوى المراكز الرئيسية والمقاطعات وحدسنا الحاجة إلى مناطق قد تكون صالحة للقواعد فور أن تتهدد المدن والبلدات، وُبحث سؤال: ما هو إحتياجنا لإقامة مثل تلك القواعد ؟ والسؤال الهام حول التضاريس ووضع الناس كان يناقش باستمرار، والتجارب الماضية فى بلادنا وفى أماكن أخرى يشير إلى أن المناطق الجبلية هى الأنسب لهكذا غرض، وسؤال يقول ماذا عن السهول ؟ وكان الجواب أن سهولنا ليست واسعة ذلك أن كل جانب من ديلتا النهر الأحمر كان وسعها عدة مئات من الكيلومترات أخذا فى الاعتبار الاستخدام السابق لتلك المساحة بواسطة العدو، فهل يحتمل إقامة قواعد هناك ؟.

فى ٥ نوفمبر ١٩٤٥ بعد أن توسعت الحرب فى (نام يو) كتبت موضوعا فى الجريدة كان نصه، أن حرب العصابات فى الجبال والغابات تعتمد على التضاريس فى التقدم أو الانسحاب، وفى السهول ليس هناك جبال ولا غابات ولكن هناك جبال وبحار من الناس وهكذا فإنه لو كان كل الناس بنفس المناقب فإن وحدة

الفدائيين يمكن أن يختفى أفرادها بين الناس ويعملون بسرّية مطلقة، ويمكنهم أن يظهروا أو يختفوا بطريقة سحرية كما لو كانوا فى الجبال والغابات، وبلا جبال فإن الفدائيون يمكنهم إقامة العوائق بتكديس الأتربة ووضع جذور الأشجار وإقامة الخنادق على الأنهار لإعاقة هجمات العدو، وبالإجماع قرر المؤتمر أنه يمكن بناء القواعد فى السهول إذا ما حصلنا على تأييد الشعب، ولقد أثبت هذا الجيش والشعب فى مقاطعات ديلتا (ميكونج) وكان من الضرورى لنا أن ننشئ قواعد مقاومة فى كل من الجبال والسهول؛ حيث إننا عندما نقيم قواعد فى كلا المنطقتين نعطى بذلك نفس الأهمية لثلاثة أمور، سياسية وعسكرية واقتصادية، كما أن اهتماما أُعطى لمشاكل القيادة والمواصلات طالما أن الهجمات الفرنسية يمكن أن تتجه إلى أى قاعدة وأن أى منطقة ومقاطعة يجب أن تجهّز ثلاثة قواعد إحتياطية، واحتاج الأمر إلى مجموعات تحت الأرض من المقاتلين ليستمروا فى المقاومة إذا ما سقطت القواعد فى يد العدو، وفى السهول كان هذا أكثر احتمالا؛ ولذلك أعطينا عناية خاصة للمجموعات والقواعد الاحتياطية، وبالنسبة للأساليب قرر المؤتمر أنه بعد ثلاثة شهور من القتال بجيش ضعيف فقط فإننا قد اكتسبنا الخبرة عبر الحديد والدماء وكانت انتصاراتنا وإخفاقاتنا مع استمرار العمليات الفرنسية تمثل دروسا ثمينة لنا سوف نستمر أن نتعلم من القتال الحقيقى فى الميادين ومن مراقبة عدونا فى أسلوبه وتاكتيكاته ومناواته.

(٥)

فى أول أبريل ١٩٤٧ كانت عاصمتنا قد نقلت إلى (فييت باك) كذلك كانت قيادات المناطق والمقاطعات قد نقلت إلى قواعد المقاومة وأن أكثر من ٤٠,٠٠٠ طن من الآلات والمعدات نقلت أيضا إلى أماكن آمنة فى (بينه ثرى

ثيين) فى الشمال وفى (باك بو) الثلثين من المصانع والماكينات تقريبا نقلت فى نفس الوقت حيث إننا بهذه المعدات أنشأنا ٥٧ مصنع للأسلحة العربية، كذلك فإن آلات الطباعة للجرائد وأوراق العملة والمدارس والمستشفيات نقلت إلى أماكن آمنة وقد استمرت إذاعة صوت فيتنام فى إرسالها؛ ذلك أن صوت المقاومة لا يمكن إسكاته وقد قسمّت المحطة الى جزءين كل جزء يمكن أن يحل محل الثانى عند الضرورة..

(فييت باك) هى منطقة وعرة من الجبال والغابات وتحوى عدة مراكز وكان الجد (هو) قد كلّف كل من (فان فان دونج) وعدة أعضاء آخرين بواجب دعم القاعدة هناك، وفى أواخر أكتوبر ١٩٤٦ وبعد عودته مباشرة من فرنسا بعث (نقويين لونج بانج) إلى (فييت باك) من أجل المزيد من الاستعدادات وتحويل هذه المقاطعة إلى قاعدة مقاومة كما أرسل عدد من العمال والفنيين إلى هناك لهذا الغرض، وقد اختيرت مراكز مقاطعات (كوانج وثاى نقويين وباك كان) بأن تكون مناطق آمنة وقررت القيادة العامة أين يجب أن تكون فروع اللجنة المركزية والحكومة والقيادة العليا ومختلف المنظمات الجماهيرية، وفى البداية أقام الجد (هو) واللجنة المركزية الدائمة بمركز (كو تشو) ولم يرجع فورا إلى (تان تراو) عاصمة ثورة أغسطس ١٩٤٥ التى تقع فى مركز (سون دونج) على الجانب الآخر من سلسلة الجبال.

وكانت تلك المراكز التى أختيرت لتكون مناطق آمنة أساسا اعتبرت على أنها بعيدة ومعزولة وذات مناخ غير صحى، والآن فإن العديد من الفروع الرسمية فى الحكومة ووحدات الجيش والأسر المهجّرة من هانوى تعيش هناك جعلت تلك المراكز أحسن وألطف وكانت كثير من أسماء تلك المناطق غير معروفة للعديد من الناس والمناطق التى لم تكن لها أسماء عرفت الآن بأسماء جديدة، فمثلا إذا فتح محل شراب بواسطة رجل عجوز فإن المكان سريعا ما يسمى (محل الرجل العجوز) ولقد

كتب الجد (هو) إلى سكان الأراضى العالية مشيدا بتقاليدهم ووطنيتهم ومشاركاتهم النشطة فى المقاومة وطلب منهم مساعدة الجيش وأن يجتهدوا لزيادة إنتاج الأرز والذرة والبطاطس كما أصدر عددا من النصائح تستهدف تذكير الرسميين والجنود بما يجب عمله وما يجب تحاشيه وذلك من أجل كسب ثقة الشعب وإعجابه بهم.

من بداية مارس ١٩٤٧ كتب (ترونج تشينه) سلسلة من المقالات فى مجلة (سو ثاث) وهى الناطقة باسم الحزب الشيوعى الفيتنامى يشرح بها سياستنا فى المقاومة الوطنية بالتفصيل وتوجيه الناس إلى حرب المقاومة الشعبية وكانت تلك المقالات بعناوين (ضد من نحن نقاتل ؟ وخصائص حرب مقاومتنا، ونوع الحرب ضد المستعمر الفرنسى، وثلاث مراحل من الحرب الدائمة، والمقارنة بين الحسنات والسيئات، وهذه المقالات فيما بعد جمعت فى كتاب بعنوان مقاومتنا حتما ستنتصر، وكانت هذه المقالات مساهمة فى منظمة التعليم وتشجيعا للجيش والشعب اللذين قررا أن تؤدى حرب المقاومة إلى النصر النهائى، وفرا بعد أن وصلت اللجنة المركزية الدائمة إلى قاعدة (فيت باك) فى ٣ أبريل ١٩٤٧ عقد المؤتمر الثانى للكوادر واستمر لمدة أربعة أيام وقد بحث كل المشائل السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية المتعلقة بحرب المقاومة وناقش سبل تحقيق سياسة مقاومة دائمة تتضمن القتال والإعمار الوطنى، وسياسيا طلب المؤترون ضرورة تكاتف وتوسيع الجبهة الوطنية ضد النظام الاستعمارى الفرنسى وتنظيم التجمعات الجماهيرية الجديدة وكسب تأييد الكاثوليك والأقليات العرقية، واقتصاديا قرر المؤتمرون أن فيتنام لا يمكنها أن تتحول من الوضع الدفاعى إلى عملية هجومية مثل روسيا، بل على العكس، فهى يجب أن تمر بمرحلة صعبة وطويلة من القتال وفى نفس الوقت أن نكافح من أجل تقوية قواتنا وأن نزودها بالمعدات الأحسن وبذلك نغير وضعنا الضعيف إلى وضع قوى بحيث نقضى على تفوق العدو فى المعدات والتقنية، ونحن

نظن أن حرب المقاومـة الطويلة سوف تتضمن ثلاث مراحل، فى المرحلـة الأولى: سوف يستعمل العدو قوات مميكنة ليقوم بعمليات هجوم سريعة وواسعة من أجل أن يوّسع مناطق احتلاله ونحن سوف ننتقم من الفرنسيين بإبطاء تقـدمهم وفى نفـس الوقت نحافظ على قوتنا متحاشين المعارك الضارة مع سحب أجزاء من قواتنا عنـدما يقتضى الأمر.

فى المرحلة الثانية: مستعملين أساليب مثلما تكون إرهابية (التغيير الجـذرى) وحالات الحصار والفرنسيون سوف يحاولون تكـوين حكومـة عميلـة وإقناعهـا بالاستسلام ونحن سوف نستمر فى تدعيم قواتنا وتوسيع حالـة الحـرب الفدائيـة المتحركة ولابـد أن تكون الأمة كلها مشتركة حتى فى مناطق العـدو المحتلـة وفى المدن الكبيرة ونحن من خلال التوسع الكبير لحالة الحرب الفدائية يمكننا أن نتحـول إلى الهجوم.

المرحلة الثالثة: سوف تبدأ عندما يكون العدو يضعف وقواتنا تكون نـضجت أكثر، حينئذ يكون الظرف الشخصى والموضوعى ناضجين لنا بحيث نركّـز قواتنـا ونستعمل حالة حرب متحركة تتضمن حرب فدائية ومعارك مروّج لها، والهجمـات سوف تسود فى كل الجبهات ونحن سننهك العدو ونستعيد المناطق الـتى فقـدناها واستولى عليها الفرنسيون.

نظرة إلى حرب المقاومة التى تشمل ثلاث مراحل تطـابق مبـدأ التـوازن فى القوات بين الجانبين فهلا ساعدت جيشنا وشعبنا ليعرفا الواجب التاكتيكى فى كـل منها ومن أجل أن يقوما بالجهد البالغ لضمان النصر وهى كذلك سـاعدت علـى تفادى نفاذ الصبر، وأقيمـت خططنا على أساس الظروف القائمة بين شعبنا وبـين الفرنسيين كقوة إمبريالية أضعف كثيرا بعد الحرب العالمية الثانية ولم نحدس المشاريع التى تحت أيدى الأمبرياليين الأمريكيين الذين عمقوا تدريجيا تدخلاتهم فى حرب الهند

الصينية وبالتالى حلوا محل الفرنسيين عندما خسر أخيرا هؤلاء الحرب، وكانت تحليلاتنا صحيحة للمرحلة الأولية فى حرب المقاومة ولكن التطورات خلال الفترة اللاحقة كانت أكثر تعقيدا.

فى المؤتمر أعدنا التأكيد على أن تاكتيكنا الأساسى كان حالة الحرب الفدائية المتحركة وأكدنا على أن حركة الميليشيا والفدائيون يجب أن تستمر وأن الشعب كله لابد أن يزود بالسلاح وكل القرى يجب أن تقام على أساس حرب المقاومة وأن جزء من قواتنا لابد أن يحول إلى رجال ميليشيا فدائية (خصوصا أولئك الذين فى المناطق الواقعة تحت السيطرة الفرنسية المؤقتة) وكان موضوع القواعد قد أبرز مرة أخرى وبحث بحرارة وانتهى المؤتمر إلى أن فيتنام لا يمكن أن يكون لها قواعد كبيرة أو ثابتة كما هو الحال فى الصين وتلك التى فى فيتنام يمكن أن تهاجم أو تحاصر، وعلى أى حال فإن فيتنام لديها جبهة وطنية متحدة وشعبها يتمتع بنظام ديموقراطى واسع وبالتالى فإنه سوف يضحى بكل شىء دفاعا عنه، وفيتنام يمكنها شن حرب مقاومة وهى بالتأكيد ستنتصر بجعل ميادين قتال فى كل مكان يأتى إليه العدو، وبمقاتلتهم حتى فى ساحاتهم الخلفية وبتنظيم قواعد فى كل من الجبال والسهول.

واقتصاديا دافع المؤتمر عن تعبئة المثقفون والفنانون من أجل المشاركة فى المقاومة من خلال التعليم المستهدف وخلق علم وطنى وثقافة شعبية، وبعد خمسة أشهر من انتشار المقاومة الشعبية فى الريف أعدت القيادة العامة خطة عامة لشن الحرب وبناء الوطن وكذلك حددت الشروط الأساسية التى يجب اتخاذها لتحقيق النصر، وفى مايو ١٩٤٧ عقدت القيادة العامة أول مؤتمر للميليشيا فى (فييت باك) وبعد انفجار المقاومة فى كل مكان قرر العم (هو) واللجنة المركزية الدائمة أن قيادة موّحدة لجميع القوات أصبحت ضرورة، وفى ١٢ فبراير ١٩٤٧ أنشئت وحدة ميليشيا تحت القيادة العليا لمساعدتها فى قيادة ورئاسة قوات الميليشيا والدفاع الذاتى وقد عين (كوت داى تين ولى ليم) الأول قائد والثانى نائب القائد لتلك

الوجدة، وفى نفس الشهر أصدرت وزارة الدفاع تعميما يدخل كل المواطنين من سن ١٨ إلى ٤٥ فى قوات الميليشيا والدفاع الذاتى، والتعميم يتضمن كـــذلك رجـــال الميليشيا فى القرى والحرس الشخصى فى المصانع والمكاتـــب والـــشوارع وكـــذلك حددت واجبات الميليشيا والفدائيين.

فى مارس غيّرت الحكومة اسم القيادة العامة للجيش الوطنى إلى القيـــادة العامـــة للجيش الوطنى والدفاع الذاتى والميليشيا وقادة الميليشيا وضعوا تحت تـــصرف لجـــان المقاومة فى كل مقاطعة ومركز وكومنة، وخلال الشهر التالى قررت اللجنة المركزية أن كل قرية وناحية تعيّن كادر إنقاذ وطنى يتولى مسؤولية تطـــوير الميلـــشيا،من أجنحـــة القوات المسلحة هناك مختلف وحدات الإنقاذ الوطنى الفيتناميـــة فى كـــل حـــى، أمـــا وحدات الحرس الخاص والميليشيا فقد دمجت بالقوات المسلحة التابعة للدولـــة وهـــى تحت سلطة القيادة العليا ولهذا فإن القوات الموحدة بلغ عددها أكثر من مليون رجـــل خلال صيف ١٩٤٧ وعقد مؤتمر الميليشيا الوطنية من أجل توحيد قيادها وتحديـــد دور استراتيجيتها بوضوح فى المقاومة وبهذه المناسبة أرسل الجد (هـــو) رســـالة إلى جميـــع رجال الميليشيا تنص فى جزء منها: أن الحرس الخاص والفدائيين هم قوات الأمة كلـــها إنهم يشكلون قوة منيعة وهم الحائط الحديدى للأرض الأم، ومع ذلك، فإنه مهما كـــان العدو قاسيا أو عنيفا سوف يتحطم بمجرد أن يهاجم هذه القوة وهذا الحائط.

وفى تلخيص الستة أشهر الأولى من المقاومة استنتجت القيادة العليا أنه فقـــط بتسليح كل الشعب وتوحيد قدرات كل المقاتلين فى الجيش والميليـــشيا والحـــرس الشخصى ووحدات الفدائيين فى كل مكان يمكن للقرى أن تصبح قلاعا وأن العدو يشل ويحاصر ويهاجم على غير توقع ويدفع إلى الهزيمة المريرة، كما أن القرى المقاومة يشار إليها على أنها قري مقاتلة ظهرت فى البداية معارضة لليابانيين وهـــى طِـــوّرت بشكل جيد فى (نام بو) بعد ٦ مارس ١٩٤٦ مكوّنة قواعـــد مقاومـــة وقامـــت المقاطعات والمراكز الواقعة خلف العدو فى (نام بو) ربطت بشكل كتبادل قواعـــد

على انتداد غثنين إلى ثلاثة مراكز أو خمسة إلى ستة كومونـــات وســِكّت اللجنـــة المركزية شعار (كل قرية تكوّن قلعة) ولقد تطوّرت قرى المقاومة جنبا إلى جنب مع تحسين وضع الميليشيات، وتم بناء آلاف قرى المقاومة وأشاد مؤتمر الكوادر الرئيسية سنة ١٩٤٧ بحماس جماهير الريف وانضمامها للميليشيات وتنظيم القرى المقاومـــة ومساعدة القوات فى عملياتها وتعطيل تقدم العدو وهلم جرا، ولقد كانت فى الواقع حركة ثورة الفلاحين.

بعد نصف سنة من انفجار المقاومة كان لنا مبادئ أساسية ونوع من المنَظمات التى تعكس الروح والفكرة التى كانت خلف النموذج الجديد من حالـــة الحـــرب، وهى الشعب.

(٦)

فى فرنسا حل (باول رامادير) محل (ليون بلوم) كرئيس للحكومة، وفى ١٣ مارس ١٩٤٧ أبلغ الجمعية الوطنية الفرنسية قائلا: إن مشكلة الهند الصينية لا تحل بالقوة وعيّن مندوب سامى جديد ليحل محل (أرجيلير) الذى اســتدعى بـــسبب استياقه الواضح للحرب و (فوللى) مع ذلك بقى قائدا عامـــا لقـــوات الحملـــة الفرنسية، وفى ١٩ مارس تبنى الحزب الشيوعى الفرنسى قرارا حول حرب الهنـــد الصينية وأكدت اللجنة المركزية ضرورة وضع نهاية للعمليـــات الحربيـــة فى الهنـــد الصينية واستئناف المباحثات مع الحكومة الفيتنامية ووافق الرئيس (هوشـــى منّـــه) على ضوء قرار ٦ مارس ١٩٤٧ على التفاوض مع ضرورة احترام استقلال ووحدة الجمهورية الديموقراطية الفيتانامية فى إطار الاتحاد الهندى الصينى والاتحاد الفرنسى.

فى ٢١ مارس ومن قاعدة (فييت باك) أذاَع الرئيس (هوشى مّنه) بيانا من صوت فيتنام قال فيه: نعلن بجدية أن الشعب الفيتنامى يرغب فقـــط فى الاســـتقلال

والوحدة ضمن الاتحاد الفرنسى، ونحن سنحترم المصالح الاقتصادية والثقافية الفرنسية فى فيتنام إذا ما أعلنت الحكومة الفرنسية رسميا واعترفت جديا باستقلال ووحدة فيتنام مع ضمان تنفيذ الحقائق السياسية؛ حيث إن بقية كل المشاكل يمكن أن تحل بيسر، وإذا لم تولى الحكومة الفرنسية اهتماما لتطلعاتنا المخلصة فى السلام واستمرت فى الحرب فسوف تفقد كل شيء ولا تحصل على أى شيء.

فى أول أبريل جاء (بوليرت) الذى حل محل (أورجيليو) إلى (سايجون) وفى ١٩ بعث الجد (هو) رسالة سلام إلى الشعب الفرنسى والحكومة الفرنسية يقول: فيتنام تناضل من أجل استقلالها ووحدتها، وفرنسا كما قال رئيس الوزراء الفرنسى (رامادير) لا تعارض استقلال ووحدة فيتنام، وإطالة الحرب لاتزيد إلا الكراهية وتؤدى إلى الكثير من الضحايا البشر، وتعيين مندوب سامى جديد يظهر أنه يعكس انتباه الحكومة الفرنسية فى تغيير خط سياستها تجاه فيتنام وتستقر على طريق جديد تستحقه فرنسا، وللتعبير عن الرغبة المخلصة فى السلام والصداقة مع الشعب الفرنسى تقترح الحكومة الفيتنامية أن تقوم الحكومة الفرنسية فورا بإيقاف الأعمال العدوانية وأن تبدأ المباحثات من أجل حل سلمى للصراع.

بمجرد أن بدأت المقاومة الوطنية لم يعد هناك أى اتصال بين فيتنام وفرنسا، وبين وقت وآخر يلتقى ممثلينا مع قناصل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وممثلى الصليب الأحمر أساسا لحل مسألة أسرى الحرب الفرنسيون، وفى أول مايو قابل (هونج مينه قيان– ([10]) القنصل البريطانى بالقرب من جسر (دوونج) وبعد دقائق قليلة سأل الأخير، هل تعرف السيد (باول موس) الذى قابلك فى هانوى وقابل الرئيس هوشى مينه قبل يوم ١٩ ديسمبر ١٩٤٦ ؟

نعم هذا صحيح.

[10] – هو أحد المثقفين الذين انضموا إلى المقاومة وصار فيما بعد وزيرا للثقافة فى جمهورية فيتنام الديموقراطية – المرلف .

السيد باول موس يرغب فى مقابلتك وقد جاء ورائى إلى جسر (دوينج) على بعد حوالى كيلومتر من هنا وهو ينتظر هناك فإذا وافقت على مقابلته سيحضر على الفور.

وما هو الغرض من المقابلة، هل تعرف ؟

إنها مسألة فى غاية الأهمية، إنه يلح فى مقابلتك، إنه الآن مساعد مقرّب جدا ومستشار للمندوب السامى (بولارت).

لا بأس، بلّغ السيد (باول موس) أننى أرغب فى مقابلته،

وبعد فترة وجيزة جاء السيد (باول موس) وبعد التحية قال: لدى موضوع هام وسرى وعاجل، فأنا أود أن أقابل الرئيس (هوشى منه) وأنا مكلّف بأن أبلغ الرئيس (هوشى منه) شخصيا رسالة من المندوب السامى (بولارت) وإذا كان ممكنا فأنا على استعداد أن أتبعك الآن وفورا،

مع أسفى فإنه لا يمكننى أن أقوم بهذا الأمر على هذه الطريقة ولهذا فسوف أبلغ الرئيس وأعطيك الرد وأرجو إبلاغى عن كيفية إيصال الرد إليك وعلى أى طريقة سرية.

أشكرك وأرجو إبلاغى عن طريق الراديو.

اتفق (باول موس) مع هونج مينه قيام) على ترتيب وسيلة اتصالهم.

وافق الجد (هو) على مقابلة (باول موس) الذى كان فى الهند الصينية منذ سنة ١٩٣٠ كأستاذ لعلم الآثار القديمة وهو عرف اللغة الصينية كتابة وكلاما والفيتنامية بطلاقة، وبعد ٦ مارس ١٩٤٦ عاد إلى هانوى كمستشار سياسى (لليكلير) وفى منتصف مايو ١٩٤٧ كان (باول موس) قد قابل رجلا من جانبنا على جسر (ديونج) وهكذا تبع الأستاذ الرجل بحماس وسارا فى طريق مظلم يؤدى إلى مدينة (ثاى نيقيين) وفى مساء ١٢ مايو قابل الجد (هو باول موس) وكما

وصف المقابلة (هيونج مينه قيام) فقد كانت رسول (بولاريت) ومندهشا عندما رأى الرئيس (هوشى منّه) تحت ضوء لمبة منيرة وهو يجلس فى بيت قديم فى وسط مدينة مهدّمة، وكان الجد (هو) كالعادة دائما بسيطا وودودا كما لو أنه يستقبل ضيوفا فى قاعة استقبال حكومية فى شارع (نجو كيوين) بهانوى.

سيدى الرئيس: قال (باول موس) أشكرك لاستقبالى بحيث يمكننى أن أقوم بالواجب الذى كلفّنى به المندوب السامى بأن أنقل إليك رسالة.

طلب منه الجد (هو) الرسالة لكن (باول موس) استمر يقول: إن رئيسى، ولسبب غير مناسب لمناقشة الرسالة فى الجواب على عرض حكومتكم إيقاف إطلاق النار لا يتوفر كتابة وقد حفظت محتواها ولهذا ارجو السماح لى لترديدها كلمة بكلمة.

الرئيس: أنا مستمع اليك.

تكلم باول موس بإطالة، من أجل إيقاف إطلاق النار فإن المندوب السامى فى الهند الصينية يشير إلى أربعة شروط سيدى الرئيس، أولا: إن القوات الفيتنامية يجب أن تسلم أسلحتها لفرنسا، ثانيا: إن القوات الفرنسية يجب أن تكون حرة فى تنقلاتها بالأراضى الفيتنامية، ثالثا: إن الحكومة الفيتنامية عليها أن تعيد إلى فرنسا كل الناس المعتقلين، رابعا: على الحكومة الفيتنامية أن تعيد إلى فرنسا كل الأجانب الذين عبروا إلى داخل الأراضى فى الجانب الفيتنامي.

تحولت ملامح الجد (هو) غاضبة لكن نغمة صوته بقيت هادئة، وقال: سيد (موس) أنا أعرف أنك قاتلت ضد فاشية هتلر مع الشعب الفرنسى، وذلك شىء جيد.

السيد (موس): هذا صحيح سيدى الرئيس.

أجيبنى إذن، لو كنت فى مكانى كيف يكون رد فعلك علـــى رســالة الــسيد (بولاريت) ؟ فهل ستقبل الشروط ؟

ظهر على السيد (موس) الحرج.

استمر الجد (هو) لقد قيل لى إن السيد بولاريت أيضا شارك فى المقاومة ضد هتلر وقام بالكثير من الأعمال الجيدة، وفيما يتعلق بالشروط الخاصة بإيقاف إطلاق النار، أى معانى تحوى، إنها تعنى أنه يريد منا الاستسلام ! سيد (موس) هل تعتقـد أننا نستطيع أن نستسلم ؟ وفيما يتعلق بالأجانب الذين يقاتلون فى صفوف الــشعب الفيتنامى ضد الاستعمار، إن الشعب الحقير هو فقط الذى يقبل مثل تلك الشروط، وقد نظر الجد (هو) مباشرة فى عينى (موس) وهذا بقى صامتا، ثم أومأ وقال: أنا أعرف سيادة الرئيس، أنا أعرف سيادة الرئيس.

ولم يعد هناك من سبب فى الإشارة إلى هذه الرسالة، وقد تحدث الجد (هـــو) عن موقف الحكومة والشعب الفيتنامى فى حب السلام والعلاقات الطيبة من فرنسا، مع الشعب الفرنسى ولكن الحكومة والشعب الفيتنامى قـــرروا أن يـــدافعوا عـــن استقلال ووحدة البلاد، وقد اعترف (باول موس) أن هذه أمور مـــشروعة وأنـــه سوف يبلغها بالكامل مع وجهة نظر الرئيس إلى (بولاريت).

وقبل أن يغادر (باول موس) يظهر أنه تأثر ولهذا تمنى الـــصحة للـــرئيس، ثم سأل: سيدى الرئيس حينئذ فإن الحرب ستستمر ؟

الرئيس: نحن نريد السلام ولكن ليس بأى ثمن، أى أنه لابد أن يكون ســـلاما مع الاستقلال والحرية.

سيدى الرئيس لك الشجاعة الجيدة.

الرئيس ـــ بالتأكيد أنا دائما لدى ما يكفى من الشجاعة.

أحضر أحد المساعدين مشروبا فأفرغ السيد باول موس كأسه واختفى فى الظلام.

بعد خمس سنوات انتقد السيد (باول موس) فى كتابه المعنون (حرب فيتنام من وجهة نظر اجتماعية) فحوى الرسالة التى كان عليه أن يبلغها للرئيس (هوشى منّه) فى مدينة (ثاى نوقيين) وبعد ثلاثة عشر يوما من مقابلة (باول موس) ومع رسالة طويلة موجهة إلى الشعب الفرنسى كتب الجد (هو) إلى شعبنا يقول: من أجل الإنسانية والسلام والعلاقات الطيّبة مع الشعب الفرنسى اقترحت حكومتنا على الحكومة الفرنسية طريقة لإنهاء الحرب على ضوء تطلعنا إلى الاستقلال والوحدة وعلى الرغم من هذا فإن رجال العسكرية الفرنسية الاستعمارية تعوّدت بشكل قاسى لا إنسانى وقح أن يظهروا وقاحتهم لقواتنا وشعبنا فاقترحوا شروطا مهينة متغطرسة حيث إنهم أصرّوا على استسلامنا، ولقد أكدنا أننا لن نقبل ضياع أرضنا، وحينئذ ونيابة عن الحكومة أنا أنادي عليكم بأن تفعلوا كل ما بإمكانكم فى المقاومة ومساعدة قواتنا فى مقاتلة المعتدين وأنا آمر الجيش والميليشيا وجنود الدفاع الذاتى إلى مقاتلة العدو بشكل حازم والقضاء عليه، كل مواطن يجب أن يكون مقاتلا، وكل قرية يجب أن تكون خندق قتال، إننا يجب أن نتقبل التضحيات وأن نقاتل لإبادة العسكرية الاستعمارية وأن نستعيد وحدتنا واستقلالنا.

لقد كان هذا آخر آتصال بين الجد (هو) ومندوب الجانب الآخر أثناء حرب المقاومة ضد الفرنسيين.



الجنرال فو نوقويين جياب يزور القوات المنسحبة

من هانوى فى ٢٢ فبراير ١٩٤٧..



تران داى أنقهيا يقدم السلاح الجديد نوع س ك ز ٣٠

مع قذائفه للجنرال جياب

***

الفصل الثالث

صيف هادئ

(١)

فى الصيف هدأت جبهات القتال إلى حد ما وإن على طول الطريق السريع (٥) قام الفرنسيون بعمليات تمشيط صغيرة مركّزين على دفع الفدائيين إلى خلف القرى بعيدا عن الطرق جاعلين ممرا آمنا لعملياتهم العسكرية وحركاتهم، وفى منتصف مايو هبطت كتيبة فرنسية من المظليين فى مدينة (بو ثو) وخلال اليوم الثانى جاءت سفن العدو الحربية بعدة مئات الجنود من هانوى إلى بلدة ((فييت ترى) وكانت المدينتان (فييت ترى وفو ثو) قد دمرتا للتو بالكامل ولم يكن هناك رجل واحد بهما وبعد عدة أيام فقط انسحبت هذه الوحدات من المقاتلين، وفى يونيو تقدمت قوات مشاة فرنسية بالتنسيق مع المظليين إلى (كو بو) لكنها لم تبق هناك طويلا، كانت هذه العمليات استطلاعية، فقد انسحب الفرنسيون من وسط فى (هوى كوان) وقاموا بمعارك صغيرة فى (بينه ثرى تين) وكذلك هاجموا (فو دا وآن كو) لكنهم انسحبوا عندما واجهتهم قواتنا، وفى المنطقة (٦) قاموا ببعض العمليات الهجومية الصغيرة فى (كونج سون) وظاهرة الحرب الموسمية بدأت فى الشمال، والصيف هو فصل الأمطار والأنهار تكون مياهها مرتفعة تعطل العمليات الكبيرة التى تستخدم القوات المميكنة، وفى الجانب الآخر كان الفرنسيون قد أصيبوا

بخسائر كبيرة أرهقوا فى قتالهم بالمدن والهجمات الكثيرة ولقد احتاجوا وقتا للراحة والدعم بينما ينتظرون التعزيزات.

قواتنا ايضا أحتاجت بعض الوقت لتنظيم صفوفها وقتالهم وكان لابد أن تستكمل وأن تتدرب من أجل أن تشن عدة معارك ولهذا فإن الفرنسيين سوف لن يكون لديهم الكثير من الوقت بحيث يستعدوا لهجمات مستقبلية، فى شمال فيتنام كانت قوات المناطق (٢– ٣ – ١٢) تقوم بكمائن ضد العدو وقد دمرت عددا من عرباقم المصفحة وقامت مرتان بهجمات مفاجئة داخل مدينة (عاى دونج) وقوات المنطقة (٥) وضعت العديد من الكمائن فى (هاى فون) وكسرت تحصينات الفرنسيين فى هجومهم على (بو فونج) كما أن قوات المنطقة (٦) كانت قد دخلت مدينة (فان ثيت) ثلاث مرات كما كانت القوات والشعب فى (نام بو) واستجابة لقرار ٢٨ فبراير ١٩٤٧ الذى أصدرته لجنة الحزب قاتلوا على طول فترة الصيف لتعطيل عمليات الفرنسيين ولتدمير خطوط المواصلات وتخريب قواعد الاقتصاد الفرنسى.

عموما كانت أنشطة الصيف رائعة فى (نام بو) وفى مناطق (٣ – ٥) ذلك أن المعارك فى (نام بو) كانت مؤثرة جدا، ومع ذلك فإن أنشطة الصيف كانت محدودة بسبب أن قواتنا فى أماكن كثيرة ماتزال غير فاهمة كيف تقاتل وأن الكوادر لم تكن متدربة جيدا وهكذا فإن قوقم الحقيقية معدومة، وكان هناك سؤال يقول: كيف يمكن أن تدار المعارك ؟ وكان علينا أن نجيب على هذا السؤال قبل انتهاء الفصل الممطر، ففى الشهور الأولى عندما أوكل إلىّ الجد (هو) واجب تنظيم قوات التحرير الفيتنامية كنت فى أغلب الأحيان أتساءل ما هو الشيء الذى يدفع المقاتلون إلى النهوض والتقدم إلى الأمام فى مواجهة نيران عدو تصم الآذان ؟ وبعد مواجهة القتال أدركت أنها الشجاعة التى تنجم عن القناعة بالقدرة على الانتصار، وفى جميع جبهات القتال كان جيشنا وشعبنا قد أظهرا كياسة عظيمة ولكن كانت هناك

أحداث أيضا جعلتنا نفكر، أن عددا من الضباط والرجال الذين اكتسبوا خبرة قتالية والذين مروا بتدريب تركوا رفاقهم بسبب الخوف وهربوا من ميـــادين القتـــال وفى نفس الوقت فإن المقاتلين فى فوج المدينة العاصمة أعظمهم كانوا من العاصمة هانوى (هانويين) وهم الذين استخدموا السلاح وقاتلوا لأول مرة وقد أُمروا بالبقـــاء فى هانوى المحاصرة ويستمروا فى القتال بعد أن كانوا قد أمروا بـــأن ينـــسحبوا منـــها وكانت النقطة الحاسمة هى عندما يكون المقاتل لديه وسيلة مؤثرة فى الهجـــوم علـــى العدو وحماية نفسه تزداد لديه الشجاعة، والقائد لا يمكن أن يطلب من جنـــوده أن يكونوا شجعانا أو يعتمد فقط على كياستهم دون أن يجد طرق مؤثرة لتحقيق النصر بأقل الخسائر، وكانت هذه هى الطريقة التى تغذى وتعزز شجاعة القوات.إن عملية القيادة بكل وضوح هى عملية اكتشاف وخلق أكثر الطرق كفاءة فى مقاتلة العدو.

عندما كنت أكتب لجريدة (صوت الشعب) لم أقصد أبدا أن ألتحق بالجيش وكنت أتابع القتال الشجاع الذى يقوم به الجيش الأحمر الصينى وقرأت الكثير مـــن الوثائق عن الزعيم (ماوتسى تونج وزهو دى) وخلال سنواتى كصحفى فى هانوى من سنة ١٩٣٥ إلى١٩٤٠ كتبت عن الجيش الثامن وعن الجيش الصاعد الجديـــد وعن منطقة الحدود فى (تان كى سات) فى عمود بعنوان (تعليقات عـــن الوضـــع العالمى) كذلك ألّفت كتابا بعنوان (من أجل معرفة الوضع العسكرى فى الـــصين) حوى العديد من الخرائط وكتبت هذا الكتاب معتقدا أن شعبنا يـــستطيع أن يطبّـــق خبرة قتال الثورة الصينية، ومن ضمن الوثائق التى حملتها معى عندما غادرت هانوى كانت الترجمة الفرنسية عن كتاب الحرب) للمترجم (دينـــيس ناقيـــل) ويتنـــاول الكتاب بطريقة تفصيلية كثير من العمليات عن طبيعة الحـــروب والاســـتراتيجيات والتاكتيكات العسكرية ولما اقتربنا من حافة انفجار الحرب خصصت الكـــثير مـــن العناية لهذا الكتاب قبل ذلك، ولقد اعتقدت أن (كلاوسويتز) كان يتحدث عـــن حروب فى القرن الماضى واختلفت معه حول أن حالة حرب فدائية يمكن أن تـــشن فقط فى بلاد واسعة مثل روسيا.

أثناء راحة المساء حيث كنت جالسا بالقرب من مكان المدفأة فى البيت على مقعد مستطيل كان أمام سكرتيرى أو زوجتى يقرأ أو تقرأ من كتاب بصوت عالى شعرت فى بعض الوقت كأنما المؤلف كان يجلس أمامى يعلق على الأحداث الجارية وأن (كلاوسيبوتز) قد أدرك جيدا تقلّب الحرب، ولذلك فقد قارن الحرب بحزب مقامر؛ لأنها تحوى الكثير من العوامل العشوائية ولقد أحببت بشكل خاص فصل قصير نسبيا فى الكتاب فى ما أسماه المؤلف (الحرب الصغيرة) وهذا يتفق تماما مع ما قاله أجدادنا عن طريقة استخدام قوة ضعيفة لمقاتلة قوة كبيرة واستعمال قتال المدى القصير لتحقيق النصر على حملة العدو الطويلة، وكلاوسيويتز كتب يقول: إن الحرب الصغيرة تتميّز بواقع أن الوحدات الصغيرة يمكنها التحرك إلى أى مكان وأنها يمكن أن تموّن نفسها وتبقى مكانها سرا وتتنقل بسرعة وتنسحب حتى فى الأماكن التى ليس بها طرق وهلم جرا، فهل ما نقوم به نحن فيه بعض السمات والتناسب مع ما يسمى الحرب الصغيرة ؟

(٢)

قبل ثورة أغسطس ١٩٤٥ كان الجد (هو) قد امتنع عن الموافقة عدة مرات حول العمل الذى طبق على انفراد فى مختلف الأماكن؛ إذ إنه لا يلتقى مع معايير الحرب الفدائية المتحركة حيث إنه من وجهة نظره سيؤدى ذلك إلى الفشل بسبب أن العدو سوف يكون قادرا على تركيز قواته للقمع وأن الثورة سوف تنجح عندما تكون قوة الأمة كلها معبأة وأن الفرصة قد حانت، ولقد قام بكل جهده من أجل أن يتحاشى الحرب إذ إن الوضع العالمى كان غير مواتى بالنسبة لنا؛ حيث إن الاتحاد السوفيتى كان مشغولا بتطبيب جراح حربه وتهدئة الوضع الداخلى فى أوربا الشرقية ومواجهة الحرب الباردة، وفى الصين من يناير ١٩٤٦ قام (تشان كاى

تشيك) بتعبئة الملايين من الجنود لمهاجمة المناطق المحررة وأن الجيش الأحمر كان قد أجبر على الانسحاب من (يان آن – [11]) وأن الوحدات الفدائية الكبيرة تعرضت لقمع عنيف وأن المقاومة الفيتنامية سوف تكون معزولة ومحاصرة من طرف القوى المضادة للشيوعية ولن تحصل على الدعم الدولى المادى والمعنوى، ومع ذلك فإنه لا شيء يمكن أن يساعدنا على تحاشي الحرب، وخلال الصيف كانت لدينا جبال من الأعمال التى يجب أن نقوم بها.

إن حكومة المقاومة عليها أن تقيم القواعد لاكتفاء اقتصادى فى ظل الحرب، ذلك أن الركود الاقتصادى سيكون مستحيلا، ثم إن الطعام واللباس لابد من ضمانه للناس ولقواتنا المسلحة، وقامت الحكومة بتخفيض إيجارات الأرض بنسبة ٢٥%ووزعت الأرض الفضاء على الفلاحين الفقراء مما قرّبهم من النظام الجديد وفى ظل شعار جميع الناس يجب أن يرتفعوا بالإنتاج، صار إنتاج الطعام التزاما، وقد عولج موضوع نقص الأيدى العاملة بسبب تعبئة الشباب فى الجيش والمليشيات بتنظيم العمل التبادلى والخدمة فى شكل نوبات، ولقد وفّرت وزارة الدفاع جزءا من جنودنا للعمل الإنتاجى المباشر ونظّمت أول مجموعة من المزارع الحكومية كما أن الجنود أينما كانوا ينتجون الطعام على نطاق ضيق، وصار الدفاع عن المزارع حاجة ملحّة ذلك أن الفرنسيين يدمّرون المحاصيل والأدوات الزراعية ويسلبون الطعام كما يقتلون المواشى ليحرموا الفيتناميين من تجهيزاهم الغذائية وكان جيشنا وميليشياتنا مسؤولون بمقاتلة العدو ومساعدة الناس على الحصاد وإخفاء المنتوج، ولقد كتب الجد (هو) إلى المواطنين يذكّرهم بضرورة الحفاظ على الخنادق قائلا: إننا يجب أن نعمل ما فى وسعنا لمنع الفيضانات بالضبط كما نفعل فى مواجهة الغزاة الأجانب.

إن كل قرية سوف تمرّغ إذا ما كان هناك فيضانات.

[11] – قاعدة الثورة للجيش الأحمر الصينى – المؤلف

ولمنع ذلك، فإن الزوج والزوجة يجب أن يشاركا فى المساعى.

فى سنة ١٩٤٧ زيد ١,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعب من التراب إلى الخنادق لتقويتها وعندما تحولت المناطق إلى ساحات فإن هكتارات زراعة الأرز قد نقصت ولكن الأرز لاحتياج البلاد بصورة عامة لم ينقص كثيرا مقارنة بالسنة الماضية وكانت الهكتارات قد زرعت بمنتجات بديلة حيث زادت بشكل ملحوظ، ولقد شجعت الحكومة تطوير الصناعات اليدوية وصناعة القطن وأعطى اهتماما خاصا لصناعة الأسلحة واستغلال المواد الخام وكان المبدأ الأساسى فى تطوير الصناعة والصناعات اليدوية على مستوى صغير فى مختلف المنظمات واستخدام المعدات الأولية مع مجموعة الآلات يعتمد عل الناس والمواد الخام؛ ذلك أن المواد متاحة فى النواحى حيث الاستقلال فى النواحى والانتاج للاكتفاء الذاتى.

فى بداية يناير قمنا بتنظيم ٢٠٠ قاعدة للزراعة والصناعات اليدوية وصناعة القطن استخدمنا فيها ٤٠,٠٠٠ مهجر وكذلك نظمنا مزارع صغيرة ومجمعات صناعية صممت على أساس قاعدة عمل طويل الأجل، ولقد أمرت القيادة العليا بناء ترسانة ونظام مصانع لإنتاج وإصلاح الأسلحة، وكانت هناك صناعة أسلحة الميليشيات وأولئك الذين يعملون الأمن العام وأولئك الذين ينتمون إلى الاتحادات التجارية فى المناطق والمقاطعات وقد أصلح المهندسون والعمال الكثير من المعدات العاطلة كما طوّروا أو اكتشفوا معدات مناسبة مستغلين مواد خام فى إنتاج البارود والقنابل والقذائف كما بحثوا عن الأسلحة الفرنسية واليابانية الغارقة فى النهر خلال الحرب فى النصف الثانى من سنة ١٩٤٧ بالمنطقة الشمالية الخامسة، لقد أنتجت مصانع أسلحتنا ١٠١،٣٣١ طنا من الأسلحة مختلفة الأنواع وفى (نام بو) كانت قاعدة صناعة الأسلحة قد أنشئت خلال السنة الماضية وبدأت فى الإنتاج فى ظروف غاية فى الصعوبة.

الجد (هو) ربط أهمية عظيمة فى جعل المؤخرة قاعدة صلبة المغـــزى والمـــادة للجبهة ولقد شجع الشعب على أن يعتبروا الجنود كأطفالهم وعلى ضـــوء مبادرتـــه أطلت حركة بين الشعب من أجل تنظيم جمعية أمّهات مقاتلة تقوم بـــصنع ملابـــس الشتاء للمقاتلين وأن تعد قدورا من الأرز للمقاتلين وقام الجد (هو) نفسه بإعـــداد قدر من الأرز، وقررت الحكومة أن يوم ٢٧ من يوليو ســيكون يــوم العجـــزة فى الحرب وبذلك فإن شعبنا يمكنه أن يعرب عن امتنانه الإنسانى وحبه لجنودنا الجرحى، وكما كتب الجد (هو) فى رسالته للشعب الذى التقاه فى تجمع مقاطعـــة (داى ثـــير نقويين) وصارت العناية بعجزة الحرب حركة شعبية والجنود الذين يأتون من جبهة هانوى إلى فييت باك كانوا يرحب بهم فى لهفة بين العائلات ويقبلون كما لو كـــانوا أبناء تلك العائلات وقد تزوجت منهم عدة فتيات، وكانت المودّة والمساعدة الشعبية فى مناطق المؤخرة بالنسبة لجنودنا ليس فقط تشجيعا عظيما لأولئك الـــذين كـــانوا يقاتلون فى الجبهة وإنما أيضا للشباب الذين يلتحقون بالجيش، وكان مجمـــوع كـــل الذين التحقوا بالحرس الوطنى فى بداية الحرب ٨٥،٠٠٠ رجل وبحلول سنة ١٩٤٧ قفز العدد إلى ١٢٠,٠٠٠ رجل.

وفى ٢٦ أغسطس أقامت الحكومة قسما مستقلا تحت القيادة العليا، وبالرغم من أن عدد قواتنا قد ازداد بشكل ملحوظ فإن كمية معداتها لم تتقدم جوهريـــا إلى جانب إنتاج مدفع البازوكا والمورتار والقنابل اليدوية المضادة للدبابات وأن البنادق القديمة ماتزال مستعملة مع القليل من الذخيرة وكان هناك حوالى ٥٥،٠٠٠ قطعـــة سلاح خفيف لدى الجيش كله وأغلبه بنادق قديمة من مختلف الطرز وأغلب ملابس الجنود كانت تلك التى جاءوا بها من بيوتهم وهناك وحدات كثيرة حتى بعد تكوينها لم تسلم الملابس التى يقدمها الجيش كما أن جنودنا ينتعلون أحذية مطاطية اشتروها بأموالهم وصنعوا قبعاتهم بأنفسهم وأن قنانيهم وطاسات مياههم كانت مصنوعة مـــن الخيزران وكانت أكياسهم وحقائب قنابلهم اليدوية مصنوعة من الخيزران الهنـــدى

ومن (فييت باك) إلى المناطق (٤-٥) إلى (نام بو) فإن الجيش كان قادرا فقط على توفير جزء من احتياجات الجيش للمعدات.

فى أغسطس فتحت القيادة العليا دورة تدريبية جديدة لكوادر الجيش من نصف الوسط بكاميونة (لا بانج) مركز (داى تير مقاطعة ثاى نيوقين) وحضر حفل الافتتاح الجد (هو) وقد وجه بعض التعليمات إلى المشاركين فقال: كونك قائدا فإنك مسؤولا فيما يتعلق بالنظام المتصل بالمقاتلين والشعب وحتى العدو، والقائد لابد أن يحب جنوده ويعتنى بهم فى وقت الراحة ووقت القتال، فإذا لم يجد الجنود أرزا ليأكلوه ولا ملابس جيدة ليرتدوها ولا مكان للنوم فإن القائد لا يجب أن يأكل نصيبه ولا يتدفى أو ينام بعمق، وهو لابد أن يدرس السياسة والاستراتيجيات والتاكتيك وفن الإشراف الصناعى من أجل أن يحوز النصر على العدو بأقل الخسائر فى الجنود والمدنيين وتقصير أيام معاناهم.

(٣)

لم يطل الوقت بعد لقاء الجد (هو) و (باول موس) حتى عرفنا ماذا تريد السلطات الفرنسية، فبعد قبول مشروع مارشال كانت فرنسا بالكامل تعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية عندما وصل (رامداير) السلطة فيها بعد رئيس الوزراء (بلوم) مما يعكس الاتجاه الكامل فى الإدارة الفرنسية إلى اليمين، وظهر الجنرال (ديجول) على الساحة السياسية بحركة ليضم الشعب الفرنسى فى النصف الأول من شهر مايو، وكان الشيوعيون الفرنسيون الذين يسيطرون على بعض الوزارات طردوا من الحكومة وقد ذكر (كوستى فلوريت) وزير الدفاع الفرنسى علنا فى اجتماع لجنة الحركة الجمهورية الشعبية فى الهند الصينية قائلا: فرنسا ترفض التفاوض مع حكومة هوشى منه ليس بسبب أحداث ١٩ ديسمبر ١٩٤٦ وإنما بسبب علاقاته مع موسكو.

على أى حال فإن الحكومة الفرنسية لم تستطع أن تتجاهل نضال الحزب الشيوعى الفرنسى كجزء من الحزب الاشتراكى والعناصر التقدمية ضمن الشعب الفرنسى الذى طالب باحترام الدستور الجديد وعارض النموذج القديم من السيطرة الاستعمارية وطالب بأن يسمح للشعب الفيتنامى أن يقرر مصيره السياسى بما فى ذلك مشكلتى الاستقلال والوحدة ضمن الاتحاد الفرنسى، وقد وعد رئيس الوزراء (رامديير) مناقشة الأمر مع الممثلين المعنيين من فيتنام، و تحاشى رئيس الوزراء الفرنسى بكل وضوح من يكونوا أولئك الممثلون المعنيون، ولقد أحرجت برقية السلام التى أرسلها الرئيس هوشى منّه فى ١٩أبريل الحكومة الفرنسية ذلك أن رئيس الوزراء (رامادبير) لم يستطع أن يرفض اقتراح موضوعى ومنطقى كالذى أرسلته الحكومة الفيتنامية المتمثل فى طلب وقف العمليات العسكرية فورا وهو الذى لا تريده السلطات الفرنسية القائمة فى الهند الصينية بكل وضوح حيث إن عملية قوة (ماسو) المدرعة سيطرت البوارج الحربية الفرنسية على ميدان عمليات (باك بو) خلال الأشهر القليلة الماضية قد أعطت (فالوى) تخيلا أن نصرا عسكريا على الأبواب، وأن إيقاف إطلاق النار سيعطى الجانب الفيتنامي فرصة لتعزيز وضعه العسكرى وما يريده (فالوى) الآن هو أن تقوم قواته بهجوم كبير وخاطف بالتطابق مع مشروع سياسى لإنهاء حرب الهند الصينية.

كان المندوب السامى الفرنسى (بولاريت) قد أرسل (باول موس) لمقابلة الجد (هو) كفعل مضاد لكن الشروط التى جاء بها لم تكن مقبولة وهى مقترحات قدمت شفويا ووعد (باول موس) أن يبعث النص الرسمى خلال أيام قليلة فيما بعد، لكننا لم نستلمها أبدا، وفى ١٤ مايو أرسل (بولاريت) إلى هانوى ثلاثة أعضاء من فئة المعارضة البرلمانية فى مجلس الشعب الفيتنامى(أعضاء من وفد يتكون من ٧٠ رجلا أدخلتهم قوات الجنرال (تشان كاى تشيك) فى المجلس الوطنى بلا انتخاب) وهم الذين وقفوا مع الفرنسيين وقد اقترحوا الآن أن فرنسا يمكنها أن تتفاوض فقط

مع الامبراطور السابق (بو داى) وقد ائتمنته بواجب تشكيل حكومة وطنية تتكون من رجال مؤهلين رفيعى المستوى فى عيون الشعب ([12]) يوم ٢٠ فى سايقون كـــان (نقويين فان تام) نيابة عن الجبهة الوطنية الموحّدة مدح (فينه ثوى) قـــائلا: إنـــه وطنى متحمس يقف على رأس الحزب وهاجم حكومتنا على اعتبار أنها تتبع سياســـة طائفية استبدادية، وفى ٢٤ مايو جاء (بولاريت) إلى (هوى) وقد استقبل المندوب السامى أقندى عضو بإدارة (هوى) وردد نفس النغمة، وفى (سايجون) بواســـطة قائد الفرقة الموسيقية (ديدير ميشيل) استقبل المستشار الـــسياسى (لبولاريـــت) والسيمفونية كانت تصدح وبعض الناس يصرخون قائلين: الامبراطور السابق (بـــو داى) الممثل الجديد بفيتنام للتفاوض مع فرنسا وآخرون عارضوا بأعلى الـــصوت توحيد (نام كى) مطالبين (نام كى —نام كى) يجب أن تطرد نهائيا من فيتنام.

فى ٥ يوليو ذكر (فينه ثوى) فى أحد المقابلات بهونج كونج قائلا: إذا كـــان الشعب الفيتنامى يثق بى سوف أكون سعيدا أن أرجع إلى الهند الصينية وأنا لا أؤيد ولا أعارض الفيت مينه وأنا لا أنتمى إلى أى حزب، وهذا لا يعنى على أى حال أن (بولايريت) لا يواجه معارضة فى أكثر من مكان، ففى سايجون كان وفدا برئاســـة (نقيويي فان تاى) قد ذهب إلى مكتب المندوب السامى ببيان موقّع مـــن طـــرف ٣٠٠ مثقف يطالبون بضرورة أن تبدأ المباحثات مع حكومة (هوشى منه) ولقـــد رددت صحافة (ساى جون) عدة مرات نفس المطالب، وفى بداية أغسطس كتـــب كل من (ليون بلوم وكلاود بوردر) فى الصحف مـــصرّين علـــى (بولاريـــت) الاستمرار فى المباحثات مع الرئيس (هوشى منه)، وكتب (بلوم) منذ أيام قليلـــة ماضية يقول: لقد استلمت رسالة خاصة من السيد (هوشى منـــه) وهـــو مـــازال الرئيس الشرعى والذى يستحق أن يكون ممثلا للشعب الفيتنامى وفى اللحظة المناسبة

[12] – الامبراطور (با دوى) كان فى هذا الوقت متنازلا عن الحكم – المؤلف.

أعطانا الدليل الذى لا خلاف عليه فى تعقله ووطنيته والتأكيد على أن هنالك ضـــوء فى الهند الصينية وهذا الضوء لابد أن يكون فجرا ثم ضوء نهار.

فى ١٥ سبتمبر أصدرت اللجنة الدائمة للحزب التعليمات عن (ماذا قـــال (بولاريت) وماذا يجب أن نعمل) فقالت: إن الجيش والشعب فى فيتنام يـــدركان بوضوح أنه بدون استعمال العنف لتدمير المشروع العدوانى الفرنسى الاســـتعمارى فسوف يكون من المستحيل ضمان الاستقلال والوحدة، إن الطرق قـــد اتـــضحت ولهذا فنحن يجب أن نثق فى قوتنا لنحصل على الحرية والاستقلال ونحـــن يجـــب أن نقاتل إلى النهاية؛ لأنه ليس من الممكن لأناس مثل (بولاريت) الـــذين يفرضـــون الشروط علينا بدلا من شعبنا القوى المتماسك، ونضال شعبنا بالإضافة إلى الـــشعب الفرنسى الذى سيرغم الرجعية الاستعمارية الفرنسية على أن تستجيب.

وخلال هذا الوقت حاول (بولاريت) نيابة عن الحكومة الفرنسية إيجاد حل سياسى فى فيتنام، وقد أصدر الجد (هو) عدة بيانـــات وفى كلماتـــه الموضـــوعية والصادقة والثابتة عرض إنهاء الصراع كما كتب أحد المؤرخين قائلا: فى هذا الوقت دفع حكومة (رامادير) إلى الحائط، وكانت الحكومة الفرنسية قد أظهرت تصميمها على إبقاء سيطرتها على شبة جزيرة الهنـــد الـــصينية وبـــالتوازى مـــع منـــاورات (بولاريت) السياسية استمرت التعزيزات ترسل إلى الهند الصينية.

ذهبت إلى (باك كان وكان بانج) فى منتصف أغسطس وفى الأيام الأولى من عمل الحكومة المحلية كنت وزيرا للشئون المحلية وفى الحزب كنـــت مـــسؤولا عـــن الشؤون العسكرية وكذلك سكرتير لجنة الحزب وكان (لى فان هين) نائبا لسكرتير اللجنة، وكسكرتيرا للجنة الحزب فى الحكومة أرسلنى الجد (هو) واللجنة الدائمـــة فى الحزب إلى المناطق والمقاطعات للتعامل مع المشاكل التى تهـــم الحـــزب والإدارة، وخلال هذه الرحلة كان علىّ أن أقوم ببعض التصريحات فى إذاعة صوت فيتنام نيابة عن الحكومة بمناسبة العيد الثانى لليوم الوطنى وكانت المحطة الرئيسية والاحتياطيـــة

كلتاهما تقعان بالقرب من (باك كان) وبينما كنت أتحدث عبر مكبر الصوت كان ديكا يصرخ بصوت عالى وعرفت أن هذا الصراخ قد بث إلى كل مكان، ولقد تناسب العيد الوطنى مع انبلاج فجر حرب المقاومة كما مزح أحد العاملين بالإذاعة، وقد شعرت بالثقة أثناء العودة من (باك بانج) بسبب استعدادات الشتاء وفصل الأمطار بالجبهة الشمالية ولم أعرف فى ذلك الوقت ما هى المفاجآت التى سيأتى بها الفصل الجاف فى (باك كان) وحدث أنه من بداية يناير إلى أواخر سبتمبر عقدت القيادة العامة مؤتمرين عسكريين ناجحين، ذلك أنه فى الحرب الفرنسية عقد المؤتمرات، فى الواقع هو دورات تدريب للقادة وهى عادة تستمر من يوم إلى ثلاثة أيام وقلما تكون أطول من ذلك وفى كل مرة كانت مشاكل جديدة تناقش يحس المشاركون بالسعادة؛ حيث إن المشاكل التى تخصهم قد نوقشت وحلّت، كذلك هم يشعرون بالمزيد من الإدراك، وفى المؤتمر العسكرى الثانى عرفنا أن فهمنا العسكرى كان ضئيلا وقررنا أن نتعلم أكثر من خلال عمليات عدونا ولكن لو تعلمنا كل أساليب عدونا فسوف لن نكون قادرين على تطبيقها لأنها ستأخذ منا الكثير من الوقت بحيث نحصل على الأسلحة والمعدات والقدرات القتالية كجيش محترف وقد تعلمنا شىء واحد هو أن نجد أسلوبنا فى القتال ولهذا اكتشفنا طرقا للتعامل مع أساليب فرنسية محددة ولكن مع ذلك مازال علينا أن نلمس المسائل الأساسية وأن نحدد المبادئ التى يمكن أن تقود عمليات ضباطنا وتساعدهم فى تطبيق الاستراتيجيات والتكاتيك، وفى مؤتمر ثالث خلال منتصف يناير تطوّرت المبادئ التاكتيكية لقواتنا المسلحة حيث اعتمد المؤتمر بالإجماع أحد عشر مبدأ:

المبدأ الأول: الإبقاء على المبادرة بحزم، لقد أثبتت تجاربنا السابقة فى ميادين القتال أنه حتى بعدم توازن المقارنة فى القوة فإن نتائج القتال تكون لصالحنا إذا ما حافظنا على المبادرة ذلك أن التردد عادة ما تستتبعه الخسائر وبالتالى عرفنا أننا يجب أن نحتفظ بالمبادرة فى الدفاع وكذلك فى الانسحاب وحتى إذا لم يتحقق النصر فإنه

على الأقل سيجعل خسائرنا فى الحد الأدنى وقد ذكـر القـرار أننـا اسـتراتيجيا وتاكتيكيا لابد أن نحتفظ بالمبادرة وأن جزءا من قواتنا يجب أن يركّز على مواجهـة عمليات العدو غالبا من خلال خطط قتالية سابقة عنت إفـساد خططهـم وإنجـاز أهدافنا، ولابد لى أن أضيف أن الثلاثين سنة اللاحقة فى حرب المقاومة قد تـضمنت ضمان وإبقاء مبادرات استراتيجية وتاكتيكية بيننا وبين عدونا؛ ذلك أن النصر لابد أن يكون فى جانب الذى يحافظ على المبادرة والقيام بذلك عكـس فكـرة وروح الهجوم التى تتميز بالقتال ضد العدو، وهذا هو المبدأ الأول الـذى يوجـه أفكـار وأعمال كوادرنا عندما ينفذون استراتيجيات وتاكتيكات المعركة وتلـك بالتـالى سيطرة على كل العمليات التالية ويمكن أن يقال أن هذا هو المبدأ الأساس فى الفـن العسكرى الفيتنامى خلال حربى المقاومة.

المبدأ الثانى: أن نعرف قواتنا وتلك التى لدى العدو، وفى القتـال اكتـشف قادتنا نقطتان ضعيفتان، فهم لم يعرفوا بوضوع روح وقـدرات قـواهم أو فعاليـة السلاح المتوفر لديهم ولا هم عرفوا عدوهم، وهذا الضعف لابد أن يصحح حـالا، وغير ذلك فإنه ليس هناك من منطق فى استعمال القوة العسكرية.

وكما قال أجدادنا منذ زمن بعيد، اعرف نفسك واعرف خـصمك، ثم إن قتال المائة معركة تكون فيها منتصرا، وهذه الآن أكثر أهمية بسبب التناقض العظـيم فى القوة بين الفرنسيين وبيننا، وهو تناقض لم يحدث من قبل فى تاريخ النضال ضـد غزو أجنبى.

والمبدأ الثالث: أعرف كيف تستخدم القوة الاحتياطية، من أجل أن تحـافظ على المبادرة فى ساحة القتال ومن الأهمية أن تكون لديه قوة احتياطيـة وأن تعـرف كيف تستخدمها، وينص القرار على أن يكون لدى كل وحدة قوة احتياطية، وكل منطقة لابد أن تكون لها قوتها الأساسية أى احتياطى المنطقة من القوة، وأن القيـادة

العليا لابد أن يكون لها قوتها الاحتياطية تحت قيادتها المباشرة وهذا يعنى أنها القوة الاحتياطية للبلاد بأكملها.

المبدأ الرابع: أن تعرف كيف تركز القوات عند الضرورة وأن تحركها بسرعة.

المبدأ الخامس: أن تبقى قدرة القوة سرية من أجل أن تضلل العدو.

المبدأ السادس: أن تهجم على المكان حيث لا يتوقع العدو وأن تستفيد من نقاط ضعفه.

المبدأ السابع: أن تنسق الاستراتيجيات مع التاكتيك.

المبدأ الثامن: أن تنسّق العمليات بين القوات، الفدائيين والميليشيات.

المبدأ التاسع: أن تعلّق أهمية أكبر على المعارك الإنهاكية.

المبدأ العاشر: أن تعد خطط واضحة وواقعية.

المبدا الحادى عشر: أن تبقى متقدما كما تقدم العدو وإن أمكن أسبقه.

إن عدم التكافؤ البالغ بيننا وبين الفرنسيين فى الخبرة والمعدات لا يسمح لنا بارتكاب الخطأ أو مخالفة هذه المبادئ الأساسية، وبنظرة إلى الوراء يمكننا أن نرى أن تلك المبادئ الرئيسية التى تمت صياغتها أثناء الشهور الأولى من المقاومة الوطنية كانت قد اتبعت بثبات خلال مرحلتى حروب المقاومة، وكان المؤتمر العسكرى الرابع قد عقد من يوم ٢٧ سبتمبر إلى يوم ٢٩ منه مع قدوم فصل الصيف وتوقع حدوث الهجوم الكبير فى أى لحظة، وكان الواجب الصعب أمام المؤتمر يتمثل فى تقدير نوع مشروع الهجوم الذى سيستعمله الفرنسيون وأن يقرر كيف تكون المواجهة فى الرد، وكنا نريد أن نمنعهم من شن هجوم سريع وتحقيق نصر خاطف، ولقد أعطينا منذ البداية أهمية خاصة للعمل الاستخبارى ولكن ليس لدينا خبرة ولا منظمة حقيقية لذلك وبالتالى لم نستطع استكشاف خطط العدو ولهذا فإن المصدر

الرئيسى لمعلوماتنا كانت الصحف الفرنسية والإذاعة الفرنسية وتلك التى تأتى من مصادر البلدان الغربية ومن خلال هذه المصادر عرفنا أنشطة الساسة والجنرالات الفرنسيون وتحركات قوات الحملة الفرنسية فى مختلف ساحات القتال، ففى سبتمبر عرفنا أن فرنسا أعدت ٢٠,٠٠٠ رجل إضافى بما فيهم مظليين وجنود من شمال أفريقيا وقد خلف الجنرال (سالان زميله ديفيس) فى قيادة القوات الفرنسية بشمال الهندالصينية وكان هذا موجودا فى الهند الصينية منذ أيام الاستعمار ولهذا فهو يخبر منطقة الجبال الشمالية فى فيتنام بشكل جيد، وكنت قد أبلغت أن (سالان) كثيرا ما قام بجولات تفتيشية فى الحدود الشمالية والشمالية الشرقية والوسط بواسطة الطائرة، وزيادة على ذلك فإن قوات المظليين والأفارقة الشماليين وعملائهم الفيتناميين جميعا قد دربوا على شن حروب الغابات.

وكنت قد أبلغت المؤتمرين عن الوضع فى مختلف جبهات الحرب، وعن وضع قواتنا مقارنة بالقوات الفرنسية والأنشطة الحربية المتوقعة من العدو ثم قدمت ملاحظاتى وهكذا قرر المؤتمرون فورا أنه خلال الخريف والشتاء القادمين فإن الفرنسيين سوف يكافحون من أجل القبض على عناصرنا القيادية فى المقاومة وأن يحطموا القوة الرئيسية فى الفيت مينه وأن يدمروا قواعدنا بحيث يخلقوا الظروف المناسبة لولادة حكومة خائنة، وحينئذ فإن حربهم من أجل الاحتلال ستتحول تدريجيا الى حرب تجعل الفيتناميون يحاربون الفيتناميين وأن (باك بو) تكون ساحة الحرب الرئيسية وفى وسط فيتنام فإنهم يمكن أن يقسموا الجبهة إلى عدة أقسام بحيث يقوموا بعملية تفتيش شاملة وفى (نامو بو) سوف تشن عملية تفتيش كبرى.

وبالنسبة لسؤال إلى أين سيوجه العدو هجومه الرئيسى؟ فقد انقسمت آراؤنا فالهجوم ربما سيحدث فى منطقة السهول أو ضد منطقة (فييت باك) أو المنطقة (٤) قال البعض: إن الفرنسيين سوف يهاجمون منطقة السهول لأن وضع السكان هناك كثيفا والغذاء وفير وأن السهول تحيط بهانوى وأن استخدام القوات الميكنة

تكون كبيرة، بحيث ينتج عن ذلك حالة مناسبة من أجل خلق إدارة عميلة، وآخرون اعتقدوا أن (فييت باك) سوف تهاجم ذلك أن الفرنسيين؛ إذ ربما رغبوا مهاجمة عناصر قيادة المقاومة مباشرة وتجمّع قواتنا الرئيسية طالما أنهم يرغبون فى تحقيق نهاية عاجلة للحرب، بينما آخرون يظنون أن المنطقة (٤) سوف تهاجم لأنها أكبر منطقة محررة لدينا وهذا سوف يمكّن الفرنسيين من توسيع منطقة احتلالهم وأن يوصلوا الشمال بوسط البلاد وكثيرون اعتقدوا أنهم بالهجوم على السهول أو المنطقة (٤) سوف يقابلون بمقاومة ضئيلة عكس الحال فى ما إذا هاجموا (فييت باك) التى تتركز بها قواتنا الرئيسية والتضاريس جبلية وكثيفة الغابات.

ومع نهاية مناقشاتنا رأت الأغلبية أن الفرنسيين سوف يهاجمون السهول أولا وسوف يهاجمون (فييت باك) إذا ما تشجعوا على المخاطرة، ففى فييت باك هناك القليل من البلدات التى لم تدمر كحالة (باك كان) ذلك أن المدينة كانت بعيدة جدا وتقع فى منخفض كبير عبر أراشينا بين الجبال والغابات، ثم تحوّل المؤتمرون إلى ما هى الإجراءات التى يجب أن تتخذ لمواجهة العدو فى هجمته الجديدة.

وعلى ضوء قوتنا النسبية يمكننا أن نشتبك فى معركة فاصلة مع قوة العدو الرئيسية ولابد أن نفسد خطتهم الرامية إلى القضاء على قوتنا الرئيسية وقد رأينا أن نحفظ قوتنا الأساسية بحيث ندمر العدو بالتدريج وندافع عن قواعدنا ولكن ليس بأى ثمن ومن خلال التنسيق العملياتى بين المناطق والبلاد ككل، وبهذا العمل نفسد رغبتهم فى إنشاء إدارة عميلة، ومن أجل تاكتيكات القتال أعرب المؤتمرون بشكل حازم على الحرب الفدائية وعلى استخدام القوات على مستوى الكتيبة فى كل عمليات حروب الساحات المحلية وأن نركز قوتنا الرئيسية على الحرب المتحركة وأن هذه القوات يجب أن تتحاشى اعتماد مواقع المواجهة فى الدفاع وأن تبقى خلف العدو وأن تتركز أو تتفرق بسرعة ولا يجب أن نترك قواتنا

تتعرض للإبادة بحيث نحافظ عليها دائما ولا نحاول أن نتمسك بالأرض على أســاس أى ثمن، ولقد أجاب المؤتمرون على سؤال يقول: بماذا يمكن تحقيق النصر فى المعركة القادمة؟ وقال البعض:

(إذا ما نجحنا فى تحمل هجمات العدو الشتوية وحافظنا على أكبر قدر مــن قواتنا فسوف نكسب المعركة ذلك أن قتل وتدمير قوات العدو سوف يزيــد فقــط مقدار نصرنا.

بعد المؤتمر العسكرى الرابع خططت لزيارة (توين كوانج وتشيم هاى) قبل حلول فصل الصيف ولكن خلال المؤتمر أشار سكرتير المنطقة (١٢) نقويينج هانج إلى معاركنا بالمناطق المحتلة فى الجزء الجنوبى (بباك نيه) ولقد اهتممت بهذا وعليــه قررت زيارة المنطقة الثانية عشر أولا وكانت وقتذاك ساحة حــرب المنطقــة (١٢) تتكون من (لانج سون وباك قيانج وباك نينه وهاى نينه وهون قاى وكوينج يــين) وكذلك مقاطعات (دونج ترو وتشى لينه) ولقد كانت هذه فترة أول رجوعى إلى منطقة أرض الوسط منذ انتقلت إلى (فييت باك) ولاحظت ظاهرة غريبة تمثلــت فى وحدة مستقلة من القوة الإقليمية الرئيسية فى (باك مينه) باقية دائمــا فى المنطقــة المحتلة من قبل العدو، وهذه الوحدة كانت أساسا تتكون من مائة رجل من الحــرس الذاتى فى (نقوك ثوى) وكثيرين منهم كانوا عمالا فى مصنع السكة الحديد (بقيــا لام) وكانوا قد أقسموا أن يقاتلوا حتى الموت بعــد ليلــة ١٩ ديــسمبر وزودت المقاطعة هذه الوحدة بفصيل إضافى من الحرس الذاتى فى (باك نينه) وحوالى مائــة فدائى أختيروا من مختلف الكومونات وهذه الوحدة نظّمت إلى خمسة فصائل بما فيها واحدة من الحرس الذاتى المسيحى بقرية (آى مو) وفصيل من النساء يسمى فصيل (ترونج تراك) ولقد نسقت تلك الوحدة عملياها مع القوة الرئيسية فى (باك بو) وعندما شن العدو هجومه الكبير أمر قائد الوحدة قواته بالانسحاب لكــن ضــابط الاتصالات الذى ينقل التعليمات كان قد جرح الشىء الذى جعل الوحدة تنقطــع

صلتها بقيادتها وكانت قد حوصرت من كل جانب حتى أن القيادة قد اعتقدت أنها دمرت ولكن بعد بعض الوقت تأكد أنها ماتزال فى موقعها تقاتل بشراسة وعلى الرغم من أنها أمرت مرة أخرى بالانسحاب لكن ضباطها وجنودها طلبوا الاستمرار فى القتال وهكذا أقنعوا قائدهم الأعلى بأنه من المستحيل على الفرنسيين أن يدمروهم وكانت الميليشيات والمواطنون المقيمون بقرب المركز إلى الجنوب من (باك نينه) طالبوا بالإجماع سلطات المقاطعة أن توافق على بقاء الوحدة فى المنطقة التى تقع تحت سيطرة العدو واعدين بمساعدة أولئك الرجال، وهكذا تمكنت الوحدة من البقاء والعيش بفضل مساعدة وتأييد السكان ولقد اعتمد مقاتلونا على المحاربين فى القرية بعدئذ توزع تجمعهم إلى فصائل بحيث يمكنهم مقاتلة العدو وقد عرف الفرنسيون أن جزءا من قواتنا باقية وبالتالى صاروا يبحثون عنها محاولين بكل الطرق القضاء عليها أو إخراجها من المنطقة، وعلى أى حال فإنهم لم يتمكنوا من ذلك، وخلال تفكيك هذه الكتيبة فإن حركة الفدائيين لم تتحقق فقط ولكن توسعت، وأن الجنود الفرنسيون الذين يتنقلون فى مجموعات صغيرة تم القضاء عليهم كما أن الإدارة الفرنسية فى العديد من الكومونات كانت خائفة من الفيت مينه والعديد من العناصر الشريرة قتلت وهناك القليل من الناس الذين عملوا فى الإدارة الفرنسية صاروا بوجهين فهم يعملون لدى العدو ولكنهم فى الحقيقة يطيعون أوامر وتعليمات الفيت مينه، والشكر لهذه الكتيبة؛ إذ إنها مكّنت للقوة الرئيسة فى المقاطعة بدخول ومغادرة المنطقة المحتلة وأن تقوم بكمائن وهجمات مفاجئة بعيدا خلف العدو.

وحتى قبل تمرد أغسطس سنة ١٩٤٥ فإن (باك نيه) نظمت قتال القرى وقد وجد اليابانيون والحرس الوطنى أنه من الصعب عليهم أن يدهموا هذه القرى، وبعد ١٩ ديسمبر ١٩٤٦ تطورت كثيرا مقاومة القرى وكانت قرى (دينه بانج وتو هى ولانج قيانج) فى طليعة تلك القرى وكان فى كل قرية ساحة قتالية مليئة بالأنفاق والعوائق والتحصينات والألغام والحراب ومصائد الغفلة وتقوم الميليشيات

والحرس الذاتى بمراقبة الداخلين والخارجين من الأجانب بدقة على الرغم من أن هذه ساحات قتال معزولة فإن قواتنا عادة ما تقع فى وسط معارك إلا أنها تعتمد على الأنفاق والعوائق وبالتالى يمكنها تعطيل تقدم العدو، وكنت قد ناقشت المزيد من تطوير تطوع الكومونات المستقلة واصفا تجربة الكتيبة المستقلة فى (باك نينه) وكذلك أشرت إلى دمج مقاومة القرى مع لجان المناطق والقيادات.

(٤)

القتال فى جنوب (باك مينه) كان مثل فتح صفحة فى كتاب جديد خلال النضال ضد اليابانيين فى (كو باك لونج) أدركت أن الفصيل كان الحجم المناسب لعمل المناوشة العسكرية وأن مستوى الكتيبة يكون فيه القوة الكافية للبقاء وللقيام بالنشاط العسكرى الكافى فى منطقة سيطرة عسكرية وقررت أن أسمح لقوة من حجم الكتيبة أن تبقى فى مؤخرة العدو ولقد ثبت أن هذا القرار كان صائبا، ومن أجل القيام بحرب فدائية واسعة فإن الدور الذى تقوم به الكتيبة كان لا غنى عنه، وفى طريق عودتى تساءلت عن ما يلزم أن تكون عليه وحدة من قوة أساسية تكون مؤثرة جدا إذا ما هاجم الفرنسيون (فيت باك) وهكذا رأينا تنظيم قوة من وحدتين أساسيتين بحيث يقوم كل قطاع باختيار الفصائل الجيدة والأسلحة المناسبة ويقدمها إلى القيادة العليا لكن الحرب انفجرت وتوسّعت سريعا جدا وكان من الضرورى إرسال المقاتلين إلى الجنوب فى حين كانت الوحدات العسكرية الأخرى منشغلة فى حروب مناطقها ولم تكن الظروف مناسبة لتركيز قوات احتياطينا الاستراتيجى بحيث نرد هجمات العدو الواسعة.

فى منتصف أغسطس وافقت الحكومة على قرار تكوين لواء مستقل يكون تحت تصرف القيادة العليا وكان رئيس هيئة الأركان (هيونج فان ثاى) يتوقع أن

يكون قائد اللواء حسب ترتيبات أعدها القيادة العليا، وبينما كان التفكير فى الجو المتحرك المحيط بقرار تكوين اللواء كانت الصورة بالنسبة للمتطوعين الذين يعيشون خلف خطوط العدو فى جنوب (باك نينه) صارت واضحة وكنت على ظهر حصان أتسلق منحدرا عبر طريق ضيق تعلوه مجموعات الخيزران الخضراء أشرقت رائعة تحت شمس الخريف الصفراء بينما هبوب الرياح أتت بالبرد من (ثاى نقويين) ولقد شعرت بالراحة التامة، ومازلت على ظهر الحصان حيث أبرقت فكرة بذهنى مثل شعاع برق ينير أفكارى، وفى تلك اللحظة أدركت أنه من أجل ثبات تقدم حرب المقاومة لم نستطع بعد تركيز قواتنا فى وحدات ونعد لمعارك على نطاق واسع وعلى العكس فنحن يجب أن نمر بعمليات المدى البعيد فى تدريب قواتنا من الفصيل إلى الأعلى وقد برزت فى ذهنى أحداث الماضى واحدة تلو الأخرى.

تحطيم ساحة قتال (هيو)، فشل الهجوم على مستوى اللواء على مدينة (ها دونج) وكتيبة المتطوعين فى (باك نينه) خلف العدو، وهلم جرا، كل هذه الأحداث أكدت أن ما نحتاج أن نقوم به الآن هو أن يوزّع جزء من قواتنا فى وحدات تعمل على أساس حرب فدائية عميقا خلف العدو وقواتنا الرئيسية يجب أن تدّرب بحيث تحارب على مستوى الكتيبة قبل أن تذهب إلى التدريب على مستوى المعارك الشاملة.

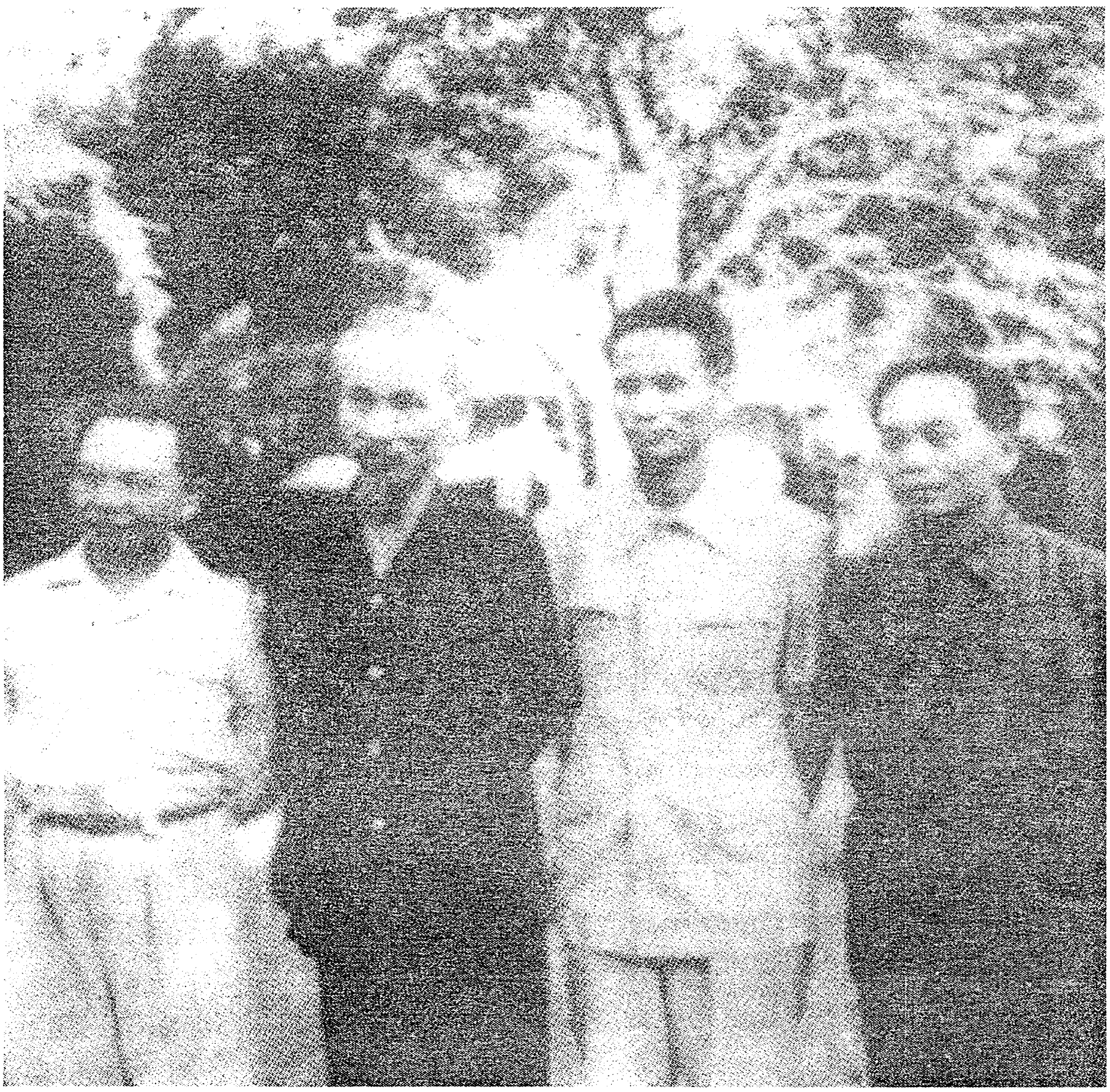
ومن مدينة (ثاى نقويين) قررت أن أستمر إلى (تشو تشو) حيث كان يعيش الجد (هو) لكن مقر إقامته كان قد نقل إلى (ديم ماك) وبعد تناول الغذاء جلسنا قرب مدفأة البيت على مقاعد أبلغته عن المؤتمر العسكرى الرابع وعن زيارتى للمنطقة (١٢) وقلت إن العدو يعد لهجوم على مستوى كبير للقضاء على قواتنا الرئيسية وتحقيق نهاية سريعة للحرب وأن قواتنا على حالتها الآن فى المعدات والخبرة ليس فى قدرتها القتال وهى فى تمركز، واقترحت على الجد (هو) وعلى اللجنة الدائمة أن نؤخر إلى بعض الوقت بحث موضوع تنظيم الوحدات على مستوى اللواء

وأن نستعد للمقاومة بكل الناس فى كل الحالات وإن كانت حرب الفدائيين خلف مواقع العدو ليست قوية بعد وأشعر بأنه من الضرورى أن نبعث جزء من قواتنا الرئيسية إلى المحليات خلف خطوط العدو وأن نوزعها إلى وحدات من أجل تطوير حالة الحرب الفدائية وأن قواتنا الرئيسية فى الوسط ومستوى المناطق يجب أن يحصر على مستوى الفصائل؛ ذلك أن الفصيل ليس صغير جدا وأن الفرنسيون يعتبرون الفصيل وحدة صغيرة من المقاتلين ذلك أن المعارك على مستوى الفصيل مناسبة لأسلوب حرب الفدائيين المتحركة ولقد اقترحت صيغة ثابتة أى وحدات مستقلة من الفصائل تحت المبدأ الإرشادى الذى قدمه الجد (هو) بحيث تكوّن الميليشيا مصدرا لإعادة ملء قوتنا الرئيسية، بينما تكون حركة المقاومة المحلية قوية تكون قواتنا الرئيسية تعمل فى مكان آخر، وكلما كانت القوة المحلية قوية تكون أكثر تأثيرا لتعزيز القوة الرئيسية وخلال سنتين أو ثلاثة فإن حالة الحرب الفدائية يجب أن تتطور فى كل مكان بالبلاد، وفى تلك النهاية ومن أجل تحقيق النصر يجب أن تكون لدينا قوة رئيسية قوية جدا.

استمع الجد (هو) باهتمام ثم قال: إن فصل جزء من القوة الرئيسية ليقوم بتعزيز حرب الفدائيين ضرورى جدا وسوف لن نرسل فصائل فقط إلى المناطق خلف العدو وإنما أيضاً إلى تلك المناطق حيث يمكن أن يتوسع العداء فى المستقبل، إن صيغة الوحدات المستقلة وتركيز الفصائل مناسبة للوضع الحالى ولهذا فإن عدد الكتائب التى سترسل إلى المحليات سوف يتقرر بواسطة اللجنة الدائمة واللجنة المركزية وحالما يتخذ القرار الجماعى يجب أن ينفذ على الفور.

كانت العائلة المضيفة قد قدمت لنا بعض المرطبات، الجد (هو) كان يدخّن وهو هادئ فى استمرار الحديث، العدو أرسل تعزيزات كبيرة والحرب سوف تتوسع وتكون أكثر شناعة وسوف يعانى منها شعبنا الكثير، وخلال الخريف هذه السنة كانت الاستعدادات قد اكتملت. ولقد أبلغت أن التعليمات أرسلت إلى كل

المحليات التى سوف تواجه سياسة الأرض المحروقة، يجب أن تخفى الأغذية والمعدات، مع إخلاء البيوت والحدائق على أن تدمّر خطوط المواصلات الرئيسية عند وصول العدو، يوجد الآن فى البلاد أكثر من مليون من رجال الميليشيات والفدائيين وكان العدو قد تقوى خلال الصيف وصار جاهزا للقتال.



فى الصورة سنة ١٩٤٩ بفييت باك من اليسار إلى اليمين

ترونج تشينه – هوشى مينه – فان فان دونج – و فو ونقويين جياب

فى الصباح التالى ذهبت إلى مكان (ترونج تشينج) لنقل وجهة نظر الجد (هو) وقد وافق هذا على أنه من المنطقة (٤) وما فوق إلى الشمال فإن ثلث القوة الرئيسية سوف تقسّم إلى كتائب مستقلة وترسل إلى أماكن أخرى بحيث تقوم بالحرب الفدائية، وفى المناطق كل وحدة لابد أن تبقى خلف لواء القيادة ووحدات الكتائب الباقية من القوة الرئيسية ترسل لتقاتل فى أماكن محددة، وهنا ابتسم (ترونج تشينج) وأضاف يمكننا أن نعرف الآن لماذا كان الجنود يرغبون فى شن معركة على نطاق واسع بواسطة الكتائب المستقلة ولهذا فإن الجيش كله يجب أن يقوم بأسلوب الحرب الفدائية.

كان (ترونج تشينج) يتجهز للسفر إلى مدينة (باك كان) ولا أحد كان يعرف ما ينتظره من خطر، عدت إلى مكتبى، ولم يكن لدى الإدارة (٢) أى معلومات عن هجوم العدو، وأخيرا علمنا من خلال قاعدتنا فى (هانوى) فى ذلك الوقت أن القوات الفرنسية بما فيها قوات المظليين كانت تتجمع فى أعداد كبيرة فى (قيا لام) تستعد لقتال واسع ونظرا للخلل فى عمل الاتصالات لم تصلنا هذه المعلومات الهامة فى الوقت المناسب.

وهكذا أعدت القيادة العامة أمرا إلى كل المناطق فى جميع أنحاء البلاد تعلمها عن الكيفية التى يجب أن تواجه بها هجمة الفرنسيين الصيفية ولقد أكد ذلك الأمر أن (باك بو) ستكون ساحة القتال الرئيسيةً وأن الفرنسيين سوف يقومون بحملة مسح إما فى دلتا (باك بو) أو أنهم سوف يهاجمون (فييت باك) وحدد الأمر خططا للمساحتين، لكن الأمر لم يناقش بالتفصيل القرار الجديد الذى وصل إليه الجد (هو) واللجنة المركزية الدائمة حول التنظيم الجديد للجيش ولقد فكرت فى إعداد أمر إلحاقى لتوضيح ذلك القرار ولكن الوقت كان ٤ أكتوبر ١٩٤٧ والوضع كان ضاغطا ولهذا صححت بعض النقاط فى ذلك الأمر ووقعته ثم أرسل.

الفصل الرابع

فييت باك فى خريف وشتاء ١٩٤٧..

(١٠)

فى نهاية الصيف انتقلت رئاسة القيادة العليا إلى (يين ثونج) وهـــى ليـــست بعيدة عن (دام ماك) مكان إقامة الجد (هو) فى ذلك الوقت،ولقد عشنا نحن بـــين السكان المحليين، لم تكن هناك مزارع كثيرة فى هذه المنطقة ولهذا فإن السكان فقراء والبيوت تقع فى تباعد عن بعضها على أرض منبسطة وفى الخلف توجد تلال مغطـــاة بشجر النخيل أو غابات الخيزران وفى المواجهة هناك وعلى حقول صـــغيرة وعلـــى البعد سلسلة جبال (هونج) وهى تمتد إلى (فو مينه) ومن أجل أن نبقى مواقعنـــا سرية كنا ننقل أماكن مكاتبنا مرارا وكنت فى بعض الأحيان أضطر للعمل فى حجرة مليئة بمعدات زراعية للفلاحين.

وكما كان مخططا فى ٦ أكتوبر ذهبت إلى (تويين كوانج وكيم هو) وكنـــت فى (كيم هو) قد أنهيت لتوى تقدير احتياجات المكاتب والمراكز الطبية فى الجبهـــة لرفاقنا المحليين وفجأة استلمت برقية تعلمنى أن الفرنسيين هبطوا بالمظلات على مدينة (باك كان) وقد بدأت حملتهم الصيفية على مدينة فى عمق (فييت بـــاك) وقـــد سيطر القلق قبل أن نستعير بعض الأحصنة من أجل العودة فورا إلى قاعدتنا، وقلت (لنقوين فان هيويين وثون ثاى تونج) إنه طبقا لخبرة أجدادنا إن العدو عندما يـــأتى زاحفا كالماء أو النار فلن يكون هناك شيء يخشى منه.

فى أول أكتوبر قررت القيادة العليا مهام للمناطق فى (باك بـو) اسـتعدادا للهجوم الفرنسى ضد (فييت باك) ولقد توقعت القرارات أن الهجـوم الرئيـسى سوف يستهدف (ثاى نوقيين) عبر (فوك يين ووتويين كوانج وفينه يين وفو ثـو) والهجوم الثانى سيكون فى اتجاه (باك قيانج و ولانج سون) فى الشرق و(هو بينـه وسون لا) فى الغرب، وقد كلفت القوات الرئيسية فى القيادة العليـا والمنـاطق١و ١٠) بواجب قتال الهجوم الرئيسى فى حين أن المناطق الأخـرى سـتقاتل الهجـوم الفرنسى الثانى وفى نفس الوقت علينا نحن أن نرفع من مـستوى نـشاطنا فى كـل ساحات القتال وبشكل خاص على الطريق السريع رقم (٥) وكانت الوحـدات العسكرية تحت القيادة العليا والمناطق فى طريقها لتنفيذ واجباتهـا ولكـن الهجـوم الفرنسى الذى بدأ على (باك كان) لم نكن نتوقعه حيث؛ كان يتمركز عـدد مـن القيادات الحكومية والإدارات فى المدينة والمناطق المحيطة بها بما فى ذلك أعمال الخزانة ووحدة طباعة العملة البنكية والمدرسية والعسكرية فى (تران كووك توان) وأجهزة الإرسال الاحتياطية لإذاعة صوت فيتنام وكذلك عددا من المصانع ومناطق التخزين ولقد كنت قلقا بشكل خاص ذلك أن (ترونج تشينه) وصل لتوّه من أجل جلـسة عمل وكان (هونج فان ثاى) موجودا فى المدينة إضافة إلى أن الطـرق المؤديـة إلى (باك كان) لم تدمر بعد.

فى طريق عودتى قابلت لجنة الحزب ولجنة الشعب فى (تويين كوانج) وطلبت منهم أن ينتهوا من تدمير المدينة والطرق بـلا أدنى تـأخير وأن يراجعـوا الخطـة التاكتيكية الخاصة بنهر (لو) والطريق المؤدية إلى (تويين كـوانج) وزرت (ثانــه لا) لأبلغ (فان ماى وتران دوى هونج) ببحث موضوع نقل مكاتبهم وكيفية نقل أعضاء ومعدات الحكومة.

فى صباح ٨ أكتوبر وصلت منطقة قيادتى كان المكتب متنقلا وعليه الكثير من الوثائق الهامة موضوعة فى صناديق معدنية، ولقد أبلغ رئيس وحدة العمليات أنه فيما

بين الساعة الثامنة والنصف والعاشرة مساء يوم ٧ أكتوبر هبطت وحدات مظلية فرنسية فى مدينة (باك كان) وهى تتكون من ٨٠٠ رجل وفى الساعة ١٤٠٠ هبط حوالى ٢٠٠ مظلى فرنسى على (كو موى) وهى تبعد حوالى عشرين كيلومترا من منطقتنا الأمنية وقامت القيادة العامة بإبلاغ كل المناطق العسكرية والمحافظات ووحدات قواتنا الرئيسية بهذه المعلومات وطلبت من الجميع إبلاغ القيادة العامة عن أى تطورات جديدة على الفور، وكان (تران هيو) المسؤول عن عمل الاستخبارات موجودا لكنه لم يتمكن من توفير أى معلومات جديدة عن العدو، وكان هذا النوع من العمل فى الواقع جديد علينا، كذلك فإن محطة الإذاعة فى الجزء الغربى التى نستمع إليها أيضا لم توفر أخبارا عن الحملة الفرنسية.

أمرت اللجنة المركزية لجنة الحزب بمقاطعة (باك كانز) بأن تقود قواهما فى قتال نشط ضد العدو دفاعا عن أجهزة الحكومة وأن تنقل كل المخازن وأن تقنع المواطنين بتنفيذ سياسة الأرض المحروقة وأبرقت اللجنة المركزية إلى كل المقاطعات لإعلامها عن الحملة العسكرية الفرنسية ضد (فييت باك) وقد أدركت لجنة الحزب فى المركز واللجنة العسكرية أنهما يجب أن تقودا قواهما فى معركة شرسة ضد العدو وأن تقوما بتقسيم قواهما من أجل تضليل الحملة الفرنسية تلك.

فى بداية الليلة الرابعة من ٢٠ سبتمبر قام الفرنسيون بحملة عسكرية عبر كل منطقة الشمال وقد هجمت من جانب (فونج ثو) على (بات خات) ومن (بانه لار) احتلوا (سا با) واستمروا فى اتجاه (لو كاى) متقدمين عبر (موررونج تشين وفان يين) بالتنسيق مع قوات مظلية هبطت فى (ثان يين زخاو كو) واحتلوا (ثوررونج بانج لا) وكانوا يتجهون إلى (نقاسا لو) وصار الآن واضحا أن هذه الأنشطة فى الشمال الغربى الغرض منها تحويل انتباه قواتنا عن الهدف الأساسى حيث كانت (فييت باك) هى الهدف الأساسى من الحملة الفرنسية.

أمرت مكتب رئاسة الأركان أن يبعث الرجال إلى (باك كان) فورا ليجدوا (ترونج تشينج وهوونج فان ثاى) ويجب أن تتركز كل الجهود على مراقبة العدو بحيث يمكن فهم توجهاته وخططه فى الوقت المناسب وكان اللواء الموجود فى (باك كان) والقوة الرئيسية التابعة للقيادة العامة قد أمرت بالدفاع عن أعضاء الحكومة وأن تقوم بالحرب الفدائية وتقاتل العدو الذى يحاول التحرك عبر (باك كان وكو موى) وعبر طرق (باك كان وفو ثونج) وكنت قد اعتمدت الأمر العسكرى الذى ينص على إبادة القوات الفرنسية فى الدفاع عن (فييت باك) وقد طلبت القيادة العليا من الجيش والشعب أن يناضل من أجل إفشال الحملة الفرنسية الشتوية وبعد ذلك غادرت فورا إلى (دييم ماك) ولقد كان الجد (هو) واللجنة المركزية فى غاية القلق؛ حيث لم تتوفر لديهم أخبار عن (ثرونج تشينج) إضافة إلى أن رفاق آخرين مازالوا محصورين فى مدينة (باك كان) أبلغت الجد (هو) عن تطورات ذلك اليوم وعن العمل الذى كان قد أنجز بواسطة القيادة العليا وكذلك عن المعلومات الواردة بشأن القوات الكبيرة من جنود العدو التى شوهدت خلال الظهر على طريق رقم (٤) واعتقدنا أن العدو سيحتل (كان بانج) بحيث يتواصل مع مظلييه فى (باك كان) وإن كان (كاو بانج) قد استعدت ولن تسقط بسهولة كحالة (باك كان) وحدث أن قاعدة (فييت باك) قد تعرضت للتهديد من الشرق والغرب؛ حيث إنه فى الجانب الغربى يمكن للعدو أن يحتل (لاو كاى وها قيانج) وبالتالى يغلق حدودنا الشمالية وأن شعبة من جنود العدو يمكن أن تسلك الطريق رقم (٢) والنهر الواطى بحيث تصل (توين كوانج) على أن الوحدات العسكرية فى المنطقة العاشرة كانت هناك وسوف تقاتل العدو فى تلك الساحة.

سأل الجد (هو) قائلا: كم يمكن للعدو أن يحرك لهذا الهجوم ؟

قلت: طبقا للمعلومات الحالية فإن (فالوى) قد وصلته تعزيزات تقدر بعشرون ألف مقاتل.

رد الجد (هو) قائلا: إن فرنسا ليس لديها القوة الكافية لشن حــرب طويلــة وهى لابد أن تكافح للقيام بهجوم كاسح بحيث تخلق ظروفا للجنــرال (بــولارت) يستعيد فيها (بو داى) ويسلك طريقا لإنهاء الحرب حتى لو استطاع (فــاللوى) تحريك عشرون ألفا من الجنود للحملة آخذا فى الاعتبار تضاريس الجبال الــوعرة والغابات فى (فييت باك) إضافة إلى روح الشعب الثورية لدى مختلــف الإثنيــات والمجموعات هناك ولهذا فإنه ليس هناك من خوف.

بعد ظهيرة يوم ٩ من أكتوبر عاد (هيونج فان ثوى) مــن (بــاك كــان) وعندما كان يخاطب الجنود وكلّية المدرسة العسكرية تم إنزال المظليين الفرنــسيين فى وسط ملعب المدينة وكان ما يتوفر من قواتنا هناك يتكون من كتيبة مجندين جــدد، وعلى الرغم من المفاجأة وقلّة التعوّد على مواجهة المظليين قام هؤلاء بشجاعة دفاعا عن الشعب وأعضاء الحكومة ومساعدقم على إخلاء المدينة، وفى طريق عودتــه زار (هيونج فان ثاى) وحدة إنتاج أسلحتنا ومحطة الأدوية ومحطة الإذاعــة الاحتياطيــة لصوت فيتنام ليشرف على الإخلاء الفورى ولم يعلم بوجود (ترونج تشينه) هناك فى (باك كان) إلا عندما وصل القيادة العليا، تبادلنا وجهات النظــر فى تطــورات المستقبل بعد اتصال (كان بانج بباك كان) وتوقعنا أن يتقدم العدو فى اتجاه الجنوب فى وسط مناطقنا الأمنية وهكذا أمرت بتحريك قوات القيادة العليا فورا المتمركــزة بالأراضى الوسطى إلى الشمال وتخريج طلبة المدرسة العسكرية فى (تــران كــووك توان) بحيث يمكن إرسالهم إلى الوحدات المختلفة والمشاركة فى القتال.

قلت إن الأعداء قد بدأوا هجومهم الواسع بإنزالهم المظليين فى (باك كــان) لغرض القبض على عناصر قيادة المقاومة وأنهم كانوا على خطأ عندما اعتقــدوا أن (باك كان) كانت عاصمتنا السياسية ولقد أحدثوا لنا بعض الخسائر لكنهم لم يحققوا هدفهم وقد فقدوا عنصر المفاجأة فى كل ساحة القتال بمنطقة (فييــت بــاك) وأن واجبنا الرئيسى هو الدفاع عن قيادات حكومتنا بأى ثمن ولهذا فإننا يجب أن نراقب

كل تحركـــات العدو وعلى أساس ذلك نعدل خططنا بحيث نأخـــذ المبـــادرة، وفى الوقت الحالى فإننا يجب أن نضاعف قتالنا ضد العدو على الطريق السريع رقـــم (٤) والسريع رقم (٣) وأن نكون على استعداد للقتال على الطريق السريع رقـــم (٢) وعلى نهر لو.

كان العدو على الطريق رقم (٤) والطريق رقم (٣) وعلينا أن نكون مستعدين للاشتباك معه فى قتال على الطريق رقم (٢) وعلى النهر الواطى، وفى ذلك المـــساء كان مكتب قيادة الأركان يقوم بإبلاغى بأن وحدة عسكرية التقت بالجنرال (ترونج تشينج) جنوب (كو دون) وخلال اليوم التالى خطط ((هيونج فان ثاى) للـــسفر مع وحدة حرس لمقابلة السكرتير العام وقد أحسست بالراحة لذلك، وفى منتـــصف ليلة ٩ أكتوبر وصل (ترونج تشينج) بينما كان (ثانه كوى) قد وصل إلى حيـــث يرتاح السكرتير العام مع وحدة من الحرس المحلى وطبقا لمعلوماته فإن طائرات العدو عندما كانت تباشر التقصف كان هو يعمل مع لجنة الحزب القطرية ومباشرة لجأ الى نفق يحتمى فيه ولم تمر غير لحظات حتى هبطت وحدة مظليين خارج النفـــق وصـــار هؤلاء الجنود المظليون يتمشون جيئة وذهابا فوق النفق دون أن يعرفـــوا أن هنـــاك أناس يختبئون بداخله تحتهم وعندما حل الظلام تمكن ((ترونج تشينج مـــع رفاقـــه وآخرين من الخروج وسلكوا طريقهم إلى خارج (باك كان) وكانت سنوات عمله الكثيرة فى العمل السرى تساعده على تحاشى الخطر.

(٢)

فى ٨ أكتوبر احتل الفرنسيون (كو دون) وفى ٩ أكتوبر هبطت وحدة مـــن المظليين الفرنسيين على مدينة (بانج) وفى ١٠ أكتوبر أبحرت ٣٥ بارجـــة حربيـــة فرنسية من (هانوى) فى اتجاه (سون تاى) عبر النهر الأحمـــر، وفى نفـــس اليـــوم وصلت قوات فرنسية إلى (ثاى كى) عبر الطريق السريع رقم (٤) ولهذا أرســـلت

القيادة العليا برقية إلى المنطقة (١٠) تأمرها بمقاتلة العدو على النهر وأمرت الكتيبة (١٨) وهى كتيبة من القوات الرئيسية فى القيادة العليا بأن تتحرك على عجـــل إلى (بينه كا) للدفاع عن المدخل الغربى فى(فييت باك) وكذلك مدخل المنطقة الآمنـــة وأرسلت أنا رسالة بخط اليد إلى قائد الكتيبة (فو فرونج) وإلى المندوب الـــسياسى (هونج كو) قائلا إن الكتيبة (١٨) تموت أو تعيش فى (ينه كا).

فى ١١ أكتوبر اجتمع مجلس الوزراء برئاسة الجد (هـــو) فى ظـــل القـــصف وتساقط القنابل من طائرات العدو وفى هذا الاجتماع قدمت تقريرا عن حالة الحرب (عن الوضع) ولقد أعرب كل أعضاء الحكومة عن تـــصميمهم علـــى اســـتمرار المقاومة وثقتهم فى نصرنا النهائى، وفى ١٢ أكتوبر وصلت القوات البرية الفرنـــسية مدينة (كان بانج) كما وصلت البوارج الحربية والقوارب القاذفـــة إلى (تـــويين كوانج) بينما كانت كل الإذاعات الغربية تتحدث عن الحملة، وخلال الأســـبوع الأول اعتمدت قواتنا القتال المركز وكان عليها أن تتنقل إلى ســـاحات القتـــال فى مسافات بعيدة على الرغم من أنها لم تكن مجهزة بشكل جيد، وبالتالى لم تكن نتـــائج القتال كما نرغب حيث كانت المدفعية كثيرا ما تخطئ وتضيع فرص تدمير قـــوارب العدو فى النهر الواطى، وفى منطقة (فان دو) كانت مدفعية الجيش فى مواقع بعيدة عن النهر ولذلك فإنه فى الوقت الذى نقلت فيه المدفعية إلى شواطئ النـــهر كانـــت قوارب العدو قد عبرت وفى (نقوك تشوك) كان أحد المدافع بعد قصف عدة قنابل قد انفجرت ماسورته، وفى (بينه كا) يوم ١٢ أكتوبر أغرقت مدفعيتنا سفينة إنزال جنود وكان هذا أول عمل لنا مفيد على النهر الواطى وفى نفس اليوم تمكنت الكتيبة ١٨ من منع هبوط القوات الفرنسية هناك.

فى مدينة (كو بانج) كنا قادرين على نقل أعضاء الحكومة والتموين والمعدات فى الوقت المناسب، وعندما هبط الجنود الفرنسيون كان اللواء ٧٤ قد تحرك لتدمير البيوت ولم تكن هناك قوات للقتال ماعدا معارك صغيرة حدثت وســـببت خـــسائر

قليلة فى جانب العدو وكان العمل الملحوظ الذى حدث هو أن قوات (كو بـــانج) أسقطت طائرة فرنسية، أما قوات الميليشيا فقد هاجمت المظليين وأوقفت الفرنـــسيين الذين حاولوا توسيع دائرة أرض احتلالهم فى (ثانه ماى وباك كان ودى ثام) وقـــد أحدث القناصة خسائر غير متوقعة فى الجانب الفرنسى ومع ذلك فإن حركة مقاتلينا الفدائيين لم تكن قد تطورت بقوة بعد، وكانت التطورات اليومية فى ميدان القتال قد أثبتت نموذج الاستراتيجية المتبعة على شكل غير مسبوق وكان الفرنسيون يحـــاولون إحداث معركة هجوم واسع فى ساحة منطقة (فييت باك) وكانت قواتنا هنا كبيرة نسبيا فيما عدا لواء المدينة ولواء (لانج سو) اللذين يتمتعان ببعض الخبرة القتاليـــة أما بقية الوحدات فلم تكن ذات خبرة ولذلك فإن ضعفنا النسبى وضعف تنظيمنا لم يسمحا لنا بالدخول فى معارك كبيرة لإيقاف الفرنسيين أو لتدميرهم فى المدينة الـــتى احتلوها لتوّهم وهجمات قواتنا على الحاميات الفرنسية لم تحقق حتى هـــذا الوقـــت نتائج كثيرة، وعلى أى حال فإن المناطق والمحافظات كانت تبلّغ بأنه أينما يكون هناك وجودا للجيش فإن الناس يحسون بالثقة فى استعدادهم للحرب، وعلى العكس فإنه كلما كان هناك مقاتلين فدائيين مهما كان عددهم فإن الناس عادة ما يكونوا قلقين، ولقد أدركت أن الطريقة الأنسب لمواجهة الفرنسيين هى دفع وحدات من الكتائب المستقلة وهى قاعدة اتبعناها فى المناطق وأولها (فييت باك) وكان مـــن الـــضرورى إرسال وحدات مستقلة إلى مختلف المناطق لتمثل عصب القوة المقاتلـــة وأن تعـــزز حرب الفدائيين وأن هذه الوحدات المستقلة سوف تقوم بالمعارك المتحركة فى كـــل ساحة قتال وعلى طول خطوط المواصلات الرئيسية، وهنا تبادلـــت الـــرأى مـــع (هوونج فان ثاى) فى هذا الشأن وكلفت رئاسة الأركان بإعداد الأمـــر العـــسكرى العاجل بشأن الكتائب المستقلة، وفى مساء ١٣ أكتوبر أحضر لى ضابط من الإدارة (٢) وثيقة ثمينة وهى خطة الهجوم الفرنسى وخريطة عن (فييت بـــاك) وكانـــت الخطة تتضمن عمليتان كبيرتان باسم رمزى هو (ليو وكليو) والجزء الاول من رمز

(ليو) كان ينص على تشكيل شعبتان من القوات الفرنسية لتطبقا بالكامل على منطقة (فييت باك) التى تتكون من خمس محافظات، ومن الشرق سوف يتقدم المقاتلون من (لانج سون) إلى (كو بانج) مع المقاتلين فى الغرب بحيث يشكلون تطويقا لقواتنا ويتواصلا مع مقاتلى (باك كان) والمقاتلون فى الغرب سوف يتحركون من (هانوى) إلى (فييت ترى) عبر النهر الأحمر إلى (تورين كوانج) من خلال نهر (لو) ومن هناك سوف يتقدمون عبر نهر (قام) ليتصلوا مع المقاتلين فى المنطقة المقابلة، وقد علمنا فيما بعد أن قائدا المقاتلين فى تلك المناطق سوف يلتقيان فى (داى ثى) وفى المرحلة الثانية من العملية المسماة (كلوكلو) فإن العدو سوف يركّز قواته ويكتسح المثلث (باك كان – كو تشو – تشو موى) غرب الطريق السريع.

(٣)

وطبقا للحسابات التى قام بها مكتب قيادة الأركان فإن الجناح الغربى فى القوات الفرنسية كان يمتد على ٢٧٠ كيلومترا والجناح الشرقى يمتد على ٤٢٠ كيلومترا طوليا وقد يقدّر القائد الفرنسى أن الجناحين سوف يلتقيان فى (داى ثى) يوم ١٣ أكتوبر وعلى أى حال فقد كان الوقت يشير إلى ١٣ أكتوبر وفيلقى المحاربين مازالا بعيدين عن (داى ثى) وإن كان الفرنسيون قد فشلوا فى تحقيق خطة (ليو) طبقا للموعد مما يعنى أن خطة (كلوكلو) ستؤخر وكان هذا الوقت الإضافى فى غاية الأهمية بالنسبة لنا.

قام الفرنسيون بعملية أخرى فى ساحة قتال ثانية وبالتنسيق مع جبهة (فييت باك) ولم نكن على علم بقوة العدو التى أعدّت لحملة هذا الشتاء ولكن باستعمال الخطة يمكننا أن نرى أنها كانت خطة استراتيجية طموحة تستهدف القبض على

الأعضاء القياديين فى مقاومتنا وتدمير قوات الفيت مينه الرئيسية، وفى صباح ١٤ أكتوبر جاء (ترونج تشينه) إلى مكتب القيادة العليا وكان مبتهجا وهو يقول لقد حصلنا على خطة العمليات الفرنسية وتبادل معنا الرأى حول غاية العدو من خلال خطة العمليات الفرنسية تلك وبشأن مختلف جبهات القتال وما يجب أن نقوم به استعدادا للقاء اللجنة المركزية فى اجتماع هذا المساء.

اتضح لنا أن العدو قد عبأ قوات ضخمة بما فيها قوات برية مدمرة ومظليين وقوات ميكانيكية ومدفعية وسلاح مهندسين وطيران وسفن حربية، وكان الخصم قد فاجأنا ولهذا أحدث لنا خسائر فى المعدات فى كل من (باك كان وكو دون وتوبين كوانج) وكنا قد فشلنا فى تقدير اهتمامهم وطرق قتالهم، وكانت أساليب الحرب المحلية الفدائية التى نقوم بها غير قوية كما يجب بحيث تقاوم، وأن قواتنا لم تقم بمعارك هامة ولم نكن قد دمرنا فى الحال خطوط المواصلات والمدن فى ساحات المدن وفى عدد من الأماكن كان الناس مترددون، وعلى أى حال فإن التميّز العددى لا يعنى أن العدو كان قويا ولقد فشلوا منذ البداية فى هدفهم الرئيسى وهو القبض على قيادات المقاومة ولم تبدأ الحملة الفرنسية فى نفس الوقت وحينئذ فإن (باك كان) فقط فوجئت، وفى أماكن أخرى كنا قادرين على القيام بعمليات مانعة وكانت القوات الفرنسية أيضا قد انتشرت على مساحات واسعة وفى مناطق كثيفة الغابات والتضاريس الجبلية حيث يكون تموين وتزويد القوات صعبا وبالتالى لم يكن بمقدورهم استعمال تفوقهم الفنى بالكامل وكانوا ضعفاء فى أمكنة كثيرة وكان جناحى الحملة طويلين جدا وغير قادرين على تطويق مناطق قواعدنا بالكامل ولقد تأخرت خطتهم القاضية بالتطويق كثيرا ولو كنا قد أكملنا تدمير الطرق لكانت حركة قواتهم الميكانيكية فى غاية الصعوبة ولكانت فرصة تدمير جناحيهم فى تلك الحملة على طول الطرق والأنهار ممكنة والذى كان يجب أن نعطيه الكثير من الاهتمام هو خطة (كلوكلو) التى تعتمد على قيام الفرنسيون بعمليات مسح مناطق

تقع فى ضمن قواعدنا، وهكذا اقترحت تفرق ثلثى قوتنا الرئيسية بحيث نرسل كتائب إلى كل واحدة من المحليات وهذه تقوم بالاشتراك مع الميليشيات والفدائيين بعمليات تطوير للحرب الفدائية وتطوق ثم تحطم العدو فى الأماكن التى وصلها لتوّه وعلينا أن نستمر فى تشجيع الناس ومساعدتهم على حصد كل مزروع الأرز الناضج وتوزيع تخزينه والقيام بعمليات الأرض المحروقة مع تدمير طرق المواصلات الهامة والقيام بالحرب الشعبية فى كل أنحاء البلاد.

كذلك كنت قد اقترحت نشر كتائب وفصائل فى المناطق الرئيسية والطريق السريع (٣) والاستعداد للقيام بهجمات مفاجئة التى سوف تعجز العدو تدريجيا وتدمر جناحي قواته، ولقد أحسست بأننا أيضا يجب أن نقسّم القيادة إلى جزءين بحيث يبقى القسم الأكبر فى منطقة القاعدة التى تمتد عميقا فى اتجاه الجبال، أما القسم الأصغر فيجب أن ينتقل من منطقة التهديد بحيث يقود النضال عبر مختلف مناطق البلاد وساحات القتال الثلاث فى (فييت باك) وسأكون المسؤول عن القسم الأصغر وأذهب إلى ساحة الحرب على الطريق السريع (٤) بينما يذهب (هيونج فان ثاى) إلى جبهة القتال على الطريق السريع (٣) وكل من (تران تيت بينه و لى ثيت هونج) إلى جبهة (هُر لى) أما (فان لى دونج) فسيولى قيادة القسم الأكبر ويبقى فى منطقة القاعدة.

وكان الجد (هو) واللجنة الدائمة قد بقوا فى المنطقة الآمنة حيث إن السكان المحليين لديهم تجربة فى حماية القيادات الثورية منذ أن كنا نمارس نشاط تحت الأرض (سرا). وفى اليوم الأول سيبقون فى الجبل وإذا لزم الأمر ينتقلون إلى مكان آمن فى اتجاه (بان كوى) ولقد وافق (ترونج تشين) على مقترحات القيادة العليا قبل مغادرة (هيونج فان ثاى) وكنت قد نبهته إلى الحاجة الملحة لإعداد أمر تاكتيكى بشأن فصلى الخريف والشتاء لمنطقتى (١ و ١٠) كما عليه أن يكمل الأمر الخاص بالوحدات المستقلة والفصائل المتمركزة، وقد حضر الجد (هو) اجتماع اللجنة

المركزية الدائمة خلال مساء يوم ١٤ أكتوبر وبعد الاستماع لتفاصيل خطط العدو اقترحت القيادة العليا مسودّة أوامر قدمها (ترونج تشينج) من اللجنة المركزية الدائمة وقرر المؤتمرون أن الحملة الفرنسية لا تظهر قوهم الحقيقية وأهم على عجل من أمرهم لأنهم كانوا ضعفاء وإذا ما استغلينا ضعفهم هذا سوف يواجهون كثير من الصعاب وبالتالى تفشل حملتهم، وهكذا وافقت اللجنة المركزية الدائمة على القيام فورا بتنفيذ عملية الكتائب المستقلة والفصائل المركّزة وعمليات الجبهات الثلاث بينما تبقى عناصر القيادة بمنطقة القاعدة.

قال (ترونج تشينج) نحن بينما نقاتل نتعلم أكثر عن الجانب الآخر مما يساعدنا على تصحيح أخطائنا وتطوير نقاط صوابنا مركّزين على نقاط ضعف العدو ونضرب على تلك النقاط الضعيفة بحيث نلحق بهم أضرارا لا يتحملونها بعد الهجوم ونجبرهم على التحوّل إلى الدفاع، وقد أنهى الجد (هو) المؤتمر قائلا: إن الوضع السياسى بفرنسا فى فوضى مطلقة والنضال فى المستعمرات أجبر فرنسا على أن تضع نهاية مبكّرة لحرب الهند الصينية وقد قاموا بحملات عسكرية كبيرة فى البداية وإذا ما أمكننا أن نقاتلهم فى كل مكان بحيث نجبرهم على توزيع قواهم حينئذ يمكن هزيمتهم، وإذا استطعنا أن نحافظ على قوتنا الأساسية خلال هذا الشتاء فسوف ننتصر، وإذا لم يتمكنوا من تحقيق نصر سريع وإنهاء الحرب فسوف يتحول الوضع إلى مصلحتنا.

خلال اليوم التالى ١٥ أكتوبر عكست روح نفسها على اللجنة المركزية الدائمة فأصدرت نداءا إلى الجيش والشعب يقول دمروا حملة الفرنسيين الشتوية فى كل مكان بالبلاد، كذلك أصدرت القيادة العليا أمرا يوضّح القواعد الأساسية لمنظمة الجيش ومواقع وواجبات الكتائب المستقلة فى عملية الهجوم الحالية على (فييت باك) حيث كان العدو قد قام بعمليات سريعة وأنزل قوات مظلية لاحتلال ساحات مؤخرتنا ومن هنا تغيرت الحالة واستراتيجية الحرب ولم تكن هناك فوارق بين المؤخرة والمقدمة وتحتمت ضرورة متابعة حرب العصابات ومن الواجب علينا أن

نعدل تطوير قواتنا وخطط قتالنا على ضوء هذه التطورات الجديدة حيث تكون الكتيبة هى مستوى الانتشار فى ساحات القتال المحلية أو فى طرق المواصلات الرئيسية وعمليا يجب أن نركز فى شكل وحدات مسؤولة عن مساحة محددة وللكتيبة المستقلة الواجب التالى، أن تداهم وتقضى على الأجزاء الصغيرة من قوات العدو وأن تقوم بعمليات تخريب محلية وأن تساعد فى عمليات بقية الجيش وأن تنسّق مع القوة المتحركة التى تقوم بعمليات واسعة، أما الفصائل المركزة فإن واجباها كما يلى، أن تنسّق مع الكتائب المستقلة والفدائيين المحليين من أجل القضاء على العدو الواقع فى نقاط معزولة أو عندما تكون تتحرك عبر طرق مواصلات.

وفى نفس يوم ١٥ أكتوبر وجه الرئيس هوشى منّه نداءا إلى الشعب والجيش فى (فييت باك) طالبا منهم العمل على القيام بأقصى جهد لإفشال عمليات العدو كما وجه نداءا إلى الشعب والجيش فى كل البلاد طالبا مقاتلة العدو والتنسيق مع ساحة (فييت باك) وكتب يقول: لقد جمع العدو قواته فى (باك كان) ناشرا مظلة تغطى (فييت باك) وعندما يقفل هذه المظلة من الأسفل سوف يهاجم فى الأعلى ومن الأعلى سوف يهاجمون الأسفل بحيث يدمر قيادات المقاومة والعدو قوى بسبب هذين الجناحين وإذا ما ضربنا الجناحين فإن المظلة ستصبح كومة واحدة وستفشل الحملة.

فى ١٦ أكتوبر وقّعت الأوامر للمنطقة (١) مؤكدا على أن كل الألوية فى المنطقة لا يبقى منها إلا قيادة اللواء وبقية القوات ستتوزع على كتائب، وهذه الكتائب سوف ترسل إلى المراكز المذكورة فى هذا الأمر، وفى النهاية حدد الأمر ما يلى، إن الأمر لابد أن ينجز بحلول يوم ١٦ نوفمبر ١٩٤٧ والنتائج يجب أن تبلّغ للقيادة العليا وقد أرسلت هيئة الأركان ضباطا لمساعدة الكتائب المستقلة فى عدد من المراكز الرئيسية فى (باك كان ولانج سون وتويين كوانت) وبعد وقت قصير فيما بعد تم إرسال ثلثى قوات الألوية إلى المراكز لتعمل كقوات محلية، وحدث أنه فى

١٣ أكتوبر بدأت محطة إذاعة العدو تعلن أن القوات الفرنسية قد احتلت كل من (كاو بانج وباك كان) وعدد آخر من المواقع فى (فييت باك) بينما كان المسؤولون الفرنسيون فى (سايجون) يشرحون تفاصيل العمليات القادمة التى تستهدف خلق ظروف إيجابية للمباحثات مع (بو داى) وكان الكثير من ذلك قد ظهر فى وسائل الأخبار بالمناطق التى تحتلها القوات الفرنسية حيث كان الاستعماريون الفرنسيون يضعون آمالهم فى تلك الحملة العسكرية على منطقة القاعدة فى (فييت باك) التى يدعون أن الحملة تتطور بنجاح، وبعد ذاك عندما اطلعنا على تقرير ١٧ أكتوبر المرسل من (سالان) إلى القيادة الفرنسية العليا لقوات الحملة رأينا أنه ذكر أن خط التموين الواصل بين فييت مينه والصين عبر (كاو بينج) قد قطع وأن القاعدة الوطنية فى (فييت مينه) قد تضررت كثيرا فى شمال شرق (باك كان وتشو موى وتشو دون) وأن القوات الفرنسية تندفع بشدة، ولا شك أن هجومنا المباشر والقوى قد أحدث ضربة كبيرة فى قدرات ومعنويات الخصم.

(٤)

فى ١٧ أكتوبر غادرت مع جزء من القيادة (يين ثونج) بعد أن أبرقت إلى اللواء ٧٤ فى (كان بانج) واللواء ١١ فى (لانج سون) آمرهما بتشكيل مظلة على الطريق السريع (٤) وفى نفس الوقت المنطقة (١٠) أمرتها فورا بنقل سلاح المدفعية إلى أعلى التيار على طول (نهر لو) أى إلى منطقة تغطى التضاريس المناسبة لوضع المظلة ضد البوارج الحربية الفرنسية وكذلك غادر كل من (هيونج فان ثاى وتران تو بينه ولى ثيت هونج) إلى ساحة الحرب على الطريق السريع (٣) ونهر (لو).

وذهبنا نحن إلى أسفل (بو جاو) وتوقفنا عند كومونة (ترون لونج) قبـل أن نصل (دونج دو) حيث قام قسم الاتصالات بتثبيت خطوط التليفونـات وأنـشأ طريقة الإرسال سهلة مع جبهات الحرب، القرى تظهر مهجورة وقد قام الـسكان بعملية الأرض المحروقة وأخلوا الساحة ملتجين إلى الأدغال ومعهم الحبوب والأبقار وبعض الحيوانات المحلية الأخرى ولم يكن هناك ديكـا يـصرخ ولا كلبـا ينـبح، والشعارات فى كل مكان تقول: دمروا حملة الشتاء الفرنسية، ولم يبق من الخلف إلا الفدائيين والميليشيات لحراسة القرى، عندما نظرت تذكرت حملة البحث والتفتـيش الفرنسية قبل ثورة أغسطس وهى الآن أكبر عدة مرات، ولقـد علمنـا أن لـدى الفرنسيين وحدات عسكرية مدربة خصيصا لحرب الأدغال، وكنا أينما ذهبنا نتلقى تقاريرا عن تصرف الخصم من جانب لجان المقاومة بحيث نقرر الطريق لرحلتنا التالية وكان الدليل من مركز (فو لونج) قد قادنا فى اتجاه (لا هيبين).

فى ٢٠ أكتوبر وصلنا مركز (فا لاى) وأثناء الظهيرة عبرنا من خلال حقول (ترابنج خا) حيث دخلنا قرية صغيرة لأهل (داو) وهى التى قد أختيرت لتكـون مركز القيادة الخفيفة، كان أمـام البيت الذى سنستعمله مساحة معشوشبة مؤديـة إلى الغابة جداولها شفافة تحيطها الجبـال من كل جانـب، لم تكـن العائلـة الـتى تستضيفنا تعرف من نكون حيث لم يكن قد جاء أى مسؤول فيما سـبق إلى هـذا البيت منذ وقت طويل، وقدم لنا مضيفونا نوعا من الترحيب الاحتفالى لخلق الدفء بيننا مما ذكرنى بتلك الأيام التى سبقت التمرد العام عندما تناولت مـن المـواطنين المحليين بعض المشروبـات المخلوطة بدم الدجاج لنـؤدى قـسم الـولاء المطلـق والتضحية من أجل الثورة.

بعد أسبوعين من هبوط قوات العدو المظلية على أرض (بـاك كـان) ازداد قتالنا بشكل ملحوظ، وفى ١٥ أكتوبر هاجم فصيلان رئيسيان من قـوات القيـادة

العليا مدعومتين بالمدفعية مائتان من القوات الفرنسية كانتا مرابطتان فى (تشو موى) وفى ٢١ أكتوبر على طول ساحة القتال فى منطقة الطريق السريع (٣) قام فصيل من لواء العاصمة بالهجوم على قوات فرنسية مرابطة فى (تـــشو دون) وفى المـــسرحين أحدثنا خسائر بالعدو لكننا لم نقض عليه، وحدث أنه على ضوء هـــذين الهجـــومين وسبعة عشر كمينا صغيرا على مختلف المناطق جعلت الفرنسيون يـــدركون الآن أن مواجهتنا لهم قوية ولم يعد بإمكانهم المخاطرة بالهجوم خارج المـــدن والمعـــسكرات وكانت تموينالهم تأتى جوا وتسقط على (باك كان)، كنت فى كل يوم أقدم تقريرا للجد (هو وترونج تشينه) عن تطور المعارك وعن قوات المظليين الفرنسيين وقـــد انتقل الجد (هو) من (دييم ماك) إلى (خوى تاك) وفى ٢٢ أكتـــوبر أبلغنـــا أن قوات (بيوفرى) قد وصلت (داى ثى) وأن قوات الكميونات سوف تـــصل إلى هناك وكانت مرحلة حملة الجنرال (لى) قد قاربت على النهاية وأن حملـــة قـــوات (كلوكلو) يمكن أن تبدأ بالحصار والضغط على منطقتى الرباعى الذى يغطى (تويين قوانج – داى ثاى – باك كان – ثاى نقويان) وهذه مركزها فى (تـــشو تـــشو) وهكذا كتبت رسالة أقترح فيها أن ينتقل الجد (هو وترونج تشينه) حسب الخطـــة التى نوقشت من طرف اللجنة المركزية وإن كان الجد (هو) فى تلك الساعة لم يكن صحيا على أحسن حال ولم يهتم (ترونج تشينج) لكن مع ذلك فإن الجد (هـــو) قال: إن الخطة لابد أن تنفذ وكانت الطريق إلى (باك كو) مغطاة بالنباتات ولهـــذا ترك الجد (هو) حصانة وشق طريقه عبر تلك الغابة وكانت (بان كو) منذ وقت طويل قاعدة دائمة للثورة فى الأراضى العالية وبها الكثير من الكوادر الثوريـــة ذات الولاء النموذجى والإخلاص البالغ من بين مجموعة (داو) العرقية وأسعدنى أن الجد (هو) قد وصل إلى تلك المسافة ولهذا قررت أن أنتقل بسرعة إلى ساحة الحرب فى منطقة الطريق السريع (٤).

(٥)

فى كل محطة نتوقف عبر الطريق كان ضابط العمليات يجرى اتصالا مع مختلف ساحات القتال ليطلع على الوضع فى كل منها، وبعد ظهر يوم ٢٥ عندما كنا نرتاح فى (باك سون) كان ضابط العمليات مسرعا ليقول إنه قد حدث انتصار كبير فى ساحة الحرب على طول (نهر لو) ومنذ أن هاجم الفرنسيون (توين كوانج) كنت أنتظر أخبار انتصار فى منطقة القتال فى ساحة (نهر لو) حيث كانت التضاريس وعرة وهى لذلك مناسبة لكمائن المدفعية والهجمات المفاجئة وكنا منذ وقت قد أعددنا خططا لذلك ولكن على أى حال لم نتوقع حتى الآن خسائر كبيرة على العدو ولقد قيل لنا إن سفن العدو الحربية كانت تتحرك ومن الصعب إصابتها إضافة إلى أننا كنا نستعجل إصلاحها وهى فنيا غير آمنة وحدث أنه فى (بينه كا) انفجر أحد المدافع بعد أول إطلاقة وكانت عجلاته قد صنعت بواسطة رجال المدفعية أنفسهم وبالتالى فهى لم تكن لتتحمل قوة الارتداد ومدفع آخر كان قد جمّع من قطع وجدت فى بعض الأمكنة وأطلق عليه اسم (مدفع الست أمكنة) وآخر فيه ماسورة صنعت من جزءان من ماسورة أخرى، وأطلق عليه اسم (مدفع الماسورتان) ولقد أبلغ ضابط العمليات خلال ذلك المساء أن مدفعيتنا قد أغرقت سفينتان حربيتان فى (دوون هونج) وأعطيت اثنتان أخريان، وهنا قلت له أعد، فقال: إن خمس سفن حربية متتابعة كانت تبحر هابطة مع تيار (توين كوانج) فوقعت فى كمين أعدته فصيلة (خوان كنه) وهكذا أغرقت سفينتان بينما أغرقت طواقمهما وتم إعطاب أخريين ولم تتمكن إلا واحدة من العودة إلى (توين كوانج) وطبقا لهذا التقرير فإن مئات من الجنود الفرنسيون كانوا قد قتلوا ولقد برز سؤال يقول: كيف قاتل جنودنا ولماذا لم نتمكن فيما سبق من ضربهم ؟ وحتى عندما كنا نفعل لماذا لم نغرق بوارجهم؟

من الواضح أن رجالنا كانوا يخشون أنهم إذا ما ضربوا فإن الفرنسيين قد يسرعوا إلى الشاطئ ويستولون على مدافعهم ولهذا وضعوا المدافع فى مواقع بعيدة وكانوا يقصفون فى شكل قوس قطع مكافئ وبالتالى كانت القنابل تقع بالقرب من الهدف فقط وفى هذه المرة وضعوا المدافع على حافة النهر مستخدمين طريقة قتال المشاة موجهين المدافع من خلال الماسورات وبالتالى كانوا قادرين على ضرب العدو مباشرة.

بعد استغلال هذه الفرصة كان (نهر لو) قد قطع على العدو لمدة عشرة أيام وكانت وسائل تموين العدو تسقط جوا على (توبين كوانج وتشيم هو) وقد أشارت وسائل الإعلام الفرنسية إلى تلك الهزائم ونعتتها قائلة إنها (كارثة دوون هونج) وبالنسبة لنا فإن أنتصارات (دوون هونج) قد فتحت الطريق لاستغلال قواتنا الرئيسية ببراعة فى حملة (فييت باك) وفى مساء يوم ٢٥ وصلنا نحن مقاطعة (لانج سو) وقام سكرتير الحزب بالمقاطعة ورئيسها بترتيب جلسة عمل مع قائد اللواء ١١ فى الحال، كان الطريق السريع ٤ من (لانج سو) إلى (كاو بانج) يمر عبر جبال عالية وغابات كثيفة مما يجعلها مثالية للكمائن وكانت قواتنا بما فيها اللواء ٧٤ من منطقة (كاو بانج) واللواء ١١ من منطقة (لانج سون) قد نشرت على طول الطريق وتنفيذا للأمر (١٠١) فقد توزعت هذه الألوية إلى فصائل بحيث تقاتل كل فى مكانها المخصص، بينما أرسلت بعض الكتائب المستقلة إلى مناطق محلية لتقوم بحرب العصابات وكانت مقاطعات (لانج سو وكو بانج) تمثل قواعد دائمة للثورة وكان السكان المحليون مدركين سياسيا وهكذا فقد تطورت حرب العصابات سريعا، ولم نحل فى (لانج سو) حتى وصلتنا الأخبار أن العمال فى مصنع أسلحة (لى تو) والمليشيات هناك وفى كومونات (هونج فييت) قد صدوا حملة فرنسية وقتلوا ما يزيد على مائة من رجالها وعلى النقيض من ذلك فإن القوات الرئيسية لم تكن قد قامت بكمائن مهمة بعد.

كان اللواء ١١ يحاول إقامة كمائن عندما أبلغ أن الفرنسيين كانوا حذرين جدا فى تحركاتهم، وقوافلهم كانت دائما مصحوبة بالدبابات أو العربات المدرعة ولقد أكدت على أهمية الطريق السريع ٤ بالنسبة للفرنسيين ونحن الآن نحتل كل من (كاو بانج وباك كان) واستطعنا أن نحيلهما إلى طريقا للموت فى واجه العدو، ليس فقط لبعض الوقت وإنما لكل الوقت طالما أنهم يحتلون الشمال الغربى وأن التضاريس على طول الطريق السريع ٤ من (ثاى خى) إلى (كاو بانج) كانت مناسبة جدا للفصائل التى أقامت كمائن وبالتالى نستطيع أن نحدث فى العدو خسائر كبيرة وتعليماتنا تقول: حافِظ على المبادرة فى الهجوم وحافظ على فرصة انسحاب قواتنا وتعلم استعمال الأسلحة الفرنسية التى نحصل عليها وما هو مهم الآن هو أن نعرف الكثير من تحركات العدو والقيام ببعض الهجمات من أجل زيادة الخبرة.

فى ٢٧ أكتوبر أرسلت أمرا إلى ساحات الحرب الثلاث وهى كما يلى:

١ – القوات فى منطقة الطريق السريع ٤ عليها بشكل حازم تنظيم عدد من الكمائن لمواجهة العدو وتدميره

٢ – القوات فى منطقة الطريق السريع ٣ عليها أن تحاصر وتقطع طريق خطوط التموين الفرنسية وإجبارها على الانسحاب من منطقتى (تشو دون وتشو را).

٣– القوات فى منطقة (نهر لو) عليها أن تعد الأسلحة لمقاتلة العدو فى منطقة (نهر قام) بحيث يمكن إجبارها على الخروج من كل من (تشيم هو ودام هونج).

وبعد أربعة أيام وفى ٣١ أكتوبر بمجرد أن استيقظت جاءنى هاتف من الرفيق (ثى هونج) المفوض السياسى فى اللواء ١١ يبلغنى عن انتصار عظيم فى ساحة الطريق السريع ٤ بمنطقة (بونج لاو) وكان هو نفسه مسؤولا عن فصيل يقاتل فى (دونج خى) وفى الكمائن تم تدمير ٢٧ عربة مصفحة وقتل ١٠١ جندى وأسر ١٠٤ آخرين والاستيلاء على معداتهم بما فى ذلك ٦٠٠ من أجهزة المظليين

ومعدات عسكرية أخـــرى، وكانت هـــذه واحدة من الأخبار الطيبة هذا الأسبوع مما يؤكد الحكمة من فتح ثلاث جبهات قتال استهدفت خطوط مواصـــلات هامـــة للعدو والانتصارات فى منطقتى (نهـــر لو وبونج لان) قد خلقت ظروفـــا مناســـبة لقواتنا الرئيسية.

كمائن دقيقة التنظيم وكل السكان كانوا يعرفون جيدا التضاريس والطقـــس ودرسوا طريقة قتال الحملة والقوافل الفرنسية وقد بدأ القتـــال فى تمـــام الـــساعة ١٧:٠٠ أى ساعة قبل نزول الظلام خلال شهر الشتاء، وفى هذا الوقت وصـــلت قافلة فرنسية تتكون من ثلاثون شاحنة هابطة من (دونج خى) عبر ممـــر (دونـــج خى) الخطر وكانت فيما يظهر واثقة من الطريق فى اتجاه (ثوى خى) وهو المكـــان الذى سيرتاح فيه الجنود، وفى تلك اللحظة انفجرت قنبلة زنّة ٢٥ كيلوغرام فى أول منعطف فقلبت الشاحنة الثانية بينما أسرعت الأولى بالهروب وأصـــيبت الـــشاحنة الثالثة بقذيفة مدفعية بازوكا واشتعلت فيها النار وهكذا كانت القافلة قد هوجمت فى مفاجأة وبالتالى حدث فيها ارتباك وازدحام وفى هذا الوقت بدأت وحدة المهندســـين التابعة لقواتنا فى تفجير الألغام مما قذف الشاحنات الفرنسية خارج الممر أو دمرهـــا وهى على الطريق، وبدأت مطر القنابل والقواذف والإطلاقات بجميع الأحجام مـــن فوق تلال الجبل وبعد ثلاث دقائق من التفجيرات برزت وحدة من قوات الهجـــوم العسكرية من (خو فويا) عبر الغابة لتهاجم العدو الذى كان جنوده غالبـــا مـــن الأوربيين والأفارقة الذين لم يقاتلوا بكفاءة وقد انسحب المزارعون الفيتنـــاميون إلى وسط الغابة، وكانت القافلة مدعومة بالعربات المصفحة التى تحمـــل حـــوالى ٢٥٠ جنديا وقد تم أسر أو قتل كل هؤلاء ثم قام جنودنا بجمع بعض الأسلحة وحرق البقية والشاحنات ولقد قتل جندى واحد من جانبنا بينما جرح خمسة آخـــرون، كانـــت الأسلحة والمعدات التى تم الحصول عليها كبيرة جدا.

وكما حدث فى منطقة (نهر لو) حدث فى ساحة الطريق السريع ٤ حيث قطع لعدة أيام وكان على العدو أن يزود منطقتى (باك كان وكو بانج) بالمؤن وغيرها جوا وأن يقيم مواقع صغيرة على جوانب الطريق وكانوا قد حركوا سبع كتائب من أجل القيام بعمليات تفتيش على مساحة ١١-١٢ كيلومترا فى الجنوب الغربى، كانت الأخبار من ساحة معركة (بونج لاو) قد انتشرت سريعا بين كل الوحدات وكانت تلك تمثل قضاءا مبرما على وحدة كاملة للعدو وكانت أغلبها من وحدة القوات الفرنسية التى تعرف باسم الفيلق الأجنبى، وكانت خسائرنا طفيفة ولقد فتح نصر (بونج لاو) الطريق إلى عديد من الكمائن المختلفة فيما بعد، ولقد قررت القيادة العليا منح وسام (فصيل (بونج لاو) وكانت معركة الطريق السريع ٤ قد عرفت باسم طريق الدم الفرنسى.

(٦)

بعد معركة (بونج لاو) غادرت القيادة أنا و(بينه قيا) إلى (ترانج خا) بينما بقى الرفيق (داو فان ترونج) فى ساحة قتال الطريق السريع ٤ ليشرف على المعركة وقد أرسلت برقية إلى (هيونج فان ثاى) أطلب منه فيها نقل قيادة منطقة الطريق ٣ إلى اللواء فى (باك كان) وأن يعود إلى رئاسة القيادة، وبعد عدة أيام كان الإزعاج الذى أحدثه الهجوم الفرنسى المفاجئ قد انتهى، حيث تم نشر قواتنا العسكرية واستمر القتال فى كل الجبهات وحان الوقت للقيادة العليا بأن تطور خططا للجيش ككل وأن تكون للوقت القريب والبعيد ولقد توالى وصول الانتصارات فى كل جبهات القتال، ففى ١٠ نوفمبر كانت مدفعية المنطقة العاشرة قد حققت نجاحا كبيرا على ساحة (نهر قام) حيث أغرقت أربعة قوارب حربية من مجموع خمسة من قوارب العدو كانت فى طريقها بحرا من (شيم هو) إلى (تووين

كوانج) وقتل فيها ٢٠٠ جندى فرنسى ولقد عكست هذه المعركة تطور تاكنيك مدفعيتنا القائمة على تنظيم مناورات تظليلية وتنسيق جهود رجالها مع القوات البرية والميليشيات وهى لذلك تستطيع أن تدمر قوارب العدو الحربية وتستولى على معداته إذ فى هذه المعركة ولأول مرة استولينا على مدفعان من نوع ١٠٥ ميلليمترا، وفى ١٩ نوفمبر قامت قوات الأمن والحرس الذاتى فى (تويين كوانج) بوضع الألغام وقتلت حوالى ١٠٠ جندى فرنسى عند الكيلومتر ٦ على طريق (ها تويين) وبسبب استمرار القتال فى ساحة (نهر قام) وعلى الطريق ٢ أشارت وكالات الأنباء الفرنسية إلى معركة (تويين كوانج) على أنها مقبرة كبيرة، ولقد أبلغ الرائد (لوجين) فى ١٣ نوفمبر ١٩٤٧ قائلا : بسبب الهزيمة المرّة للبحرية فإن الجيش فاقد الثقة وأن الضباط يحاولون الحفاظ على معنويات رجالهم لكنهم يشعرون بأنه لم يعد ممكنا إرسالهم إلى خطوط المواجهة وإذا ما فعلوا ذلك فإن هؤلاء الرجال سرعان ما يفقدون معنوياتهم وأن أحسن الضباط غير المفوضين وقادة الفرق قد جرحوا.

ومن بداية شهر نوفمبر كان الفرنسيون مجبرون على وضع نقط حراسة صغيرة على الطريق رقم (٤) والطريق رقم (٣) للدفاع عن تموينائهم وبالتالى كان عليهم قبل أن تمر أى قافلة أن يقوموا بالبحث والتفتيش فى كل جوانب الطرق ومع ذلك فإنهم لم يتمكنوا من منع الهجمات المفاجئة هنا وهناك.

فى ٢٣ ديسمبر وصلت قوات (بيفرى) إلى (داى ثى) وفى ٢٦ ديسمبر وصلت قوات (كوميونان) أيضا ولكن حدث فى هذا الوقت أن انسحبت قوات (بيفرى) إلى (تشو دون) وهكذا فإن تجمع المقاتلين فى (داى ثى) لم يتم وفيما بعد بدأت القوتان تتقلصان، ففى الغرب انسحبت قوات (كميونان) من (دام هونج وتشين هوى) وفى الشرق انسحبت قوات (بيفرى) من (بان ثى وتشو دون وتشوى را) فى حين كان شعب (فييت باك) والجيش يقاتلون فى كل جبهات الحرب عبر البلاد.

قواتنا فى المنطقة (١٤) غربا حررت (تشين ساى) كما أن تعبئة جماهير الشعب فى (سون لا) قد أعطت نتائج جيدة وكانت أعداد كبيرة من الجنود فى ذات الوقت هرب من صفوف الفرنسيين، وكان قادتنا فى (ها نوى) نشطين جدا بالمدينة حيث قتلوا (ترونج دينه ترى) المحافظ الذى عينه الفرنسيون من شمال فيتنام وفى نفس الوقت كان فدائيين قد استمروا فى إرهاق مناطق (تشيم كاى قراى وفان دى وفينه ثوى) كما هاجمت الوحدات المستقلة بالتنسيق مع الفدائيين (دان فونج و هو دوك وكان خيم) حيث دمروا الإدارة العميلة فى أطراف هانوى واعتقلوا مائة عميل، وفى الجزء الجنوبى كان جزءا من الإدارة العميلة قد تم تغييره حيث انتفض الشعب بنفس الحماس والتضحية كما حدث خلال التمرد العام.

كانت مناطق (٥- ٦) قد قاتلت بحماس ضد الهجوم الذى وقع فى كل من (نيه هوى و وتراى داى و كام رانه) حيث أوقعت خسائر فى العدو، وفى الطريق رقم ١٩ قام (نقو ماى) بتفجير عبوة كادت أن تقتل فصيل كامل من قوات العدو وإن كانت العبوة قد أدت إلى مقتله هو أيضا، ومنطقة (نام بو) بتنسيق الجهود مع منطقة (فيت باك) أثبتت قدرة كبيرة ومؤثرة فى قتال ذلك اليوم حيث نصبت قوات (قيا دينه) كمائن فى (قو ناى) خلال ليلة ١٤ نوفمبر ١٩٤٧ وقد تم فى هذا الوقت الهجوم على جميع مواقع العدو الواقعة فى أطراف سايجون ولقد استخدم رجالنا القنابل اليدوية ضد المعسكرات والتحصينات الفرنسية حيث قتلوا ستون جنديا فرنسيا وأسروا عددا من الجنود الفرنسيين كذلك.

وفى مناطق أخرى كان الهجوم متواليا على القوات الفرنسية المتنقلة وحدث أن مئات من الجنود الفيتناميين العاملين مع القوات الفرنسية تركوها ملتحقين بقواتنا مع أسلحتهم، وبعدئذ القتال استمر لمدة شهر كامل ضد الهجوم الاستراتيجى الفرنسى ورغم بعض نجاحاتنا اتضح لنا أن بعض الأخطاء قد وقعت من جانبنا وحدث بعض الإخفاق، على أنه يجب القول أن جيشنا قد تطّور بسرعة وأن الروح المعنوية لدى

جنودنا كانت عالية على الرغم من أن هؤلاء الجنود لم يكملوا بعد التدريبات المبدئية على المستوى والجانب التاكتيكى والفنى بحيث يقوم بتحقيق أهدافنا ولقد كانت حروبنا تمثل نوعاً من المقاومة مما يسمى الحرب الشعبية.

فى ١٠ نوفمبر أصدرت القيادة العليا أمرا يتعلق بتدريب المقاتلين وإنجاز المآثر وهذا يستهدف تدريب القوات والنهوض بمستواها التاكتيكى والفنى، وبعد أربعة أيام أصدرت القيادة العليا أمرا ثانيا يتعلق بتطوير حرب العصابات وكان واجب الجيش الأساسى فى الوقت الحاضر يعتمد على قاعدة حرب العصابات فى المقاومة وبالتالى فإن خطة (كلوكلو) لم تتطور كما أمل الفرنسيون، وفى ١٧ نوفمبر عدت أنا إلى (لوك قا).

(٧)

تجمعت قوات (كميونان) فى مدينة (تويين كوانج) والقسم الأكبر من قوات (بيفرى) تمركزت فى مدينة (باك كون) وكان هذان الجناحان يقعان على جانبى قاعدتنا الأساسية وكان لدينا الاعتقاد بأن الفرنسيين سوف ينسحبون؛ ذلك أن خطوط تمويناهم بالبر وعبر النهر كانت مهددة بشدّة بينما كانت الطائرات غير قادرة على توفير التموين جوا، وكان السؤال يقول: متى ينسحبون ؟ وبأى طريق ؟

على أننا لم نتخل عن فكرة أن خطتهم الرئيسية قائمة على احتلال قاعدتنا الأساسية؛ حيث إنها كانت الهدف الهام للحملة الفرنسية والتى لم تنجز بعد.

فى ١٨ نوفمبر استلمت القيادة العليا برقية من المنطقة (١٠) نصها يقول – أن العدو متردد ونحن نقترح تركيز القوات الأرضية والمدفعية بحيث نقوم بالقضاء عليه فى مدينة (تويين كوانج) وكنت أعرف أن المعنويات الفرنسية قد ضعفت كنتيجة لهزائمهم المستمرة وإن كانوا يفوقوننا عددا ومعداهم كانت أقوى وكانت

قواتنا على المستوى الحالى فى المعدات والخبرة غير قادرة على القيام بهجوم كبير ضد مدينة (تويين كوانج) ولقد أمرت القيادة العليا قوات المنطقة (١٠) بمراقبة أنشطة القوات الفرنسية بدقة على أن تكون جاهزة لمقاتلتهم أثناء انسحابهم.

وفى صباح يوم ٢٤ تلقت القيادة العليا تقريرا يقول: إن الفرنسيين انسحبوا سرا من مدينة (تويين كوانج) وفى تمام الساعة الثانية ظهرا انقسموا إلى جزءين ولقد سار الجزء الأصغر عبر نهر (لو) بينما كان الجزء الأكبر قد تقدم إلى شرق (بينه كا) ووقت الانسحاب تخلوا عن جميع معداتهم ولم يجرؤا على حرقها وإن كنا قد فقدنا فرصة مقاتلتهم أثناء انسحابهم، والآن دخلت قواتنا المدينة التى انسحبوا منها، نحن نعتقد أن انسحاب العدو قد بدأ الآن وفى الوقت نفسه نعتقد أنهم قد يقومون بالهجوم على قيادتنا ووسائل مواصلاتنا، وهكذا أمرت القيادة العامة بأن تبعث رسائل إلى الوحدات تأمرها بمقاتلة العدو أثناء انسحابه وأن تحمى كل المواقع الرسمية.

فى يوم ٢٢ تحول الجزء الأكبر من قوات (بيفرى) من (باك كان إلى كو موى) وكانت الطرق هناك قد دمرت لذلك تركوا عرباتهم وساروا على الأقدام إلى (ثاى نوقيين) وفى نفس الوقت تقدم الفصيل الذى كان يمر عبر الغابات فى اتجاه (كلو كلو عبر كوان فونج) وانسحبت قوات (كوميونان) إلى (سون دونج) وهناك انقسمت إلى جزءين سار قسم منها عبر ممر (خان نهات) والقسم الآخر فى اتجاه (فو مينه) وفى يوم ٢٥ كانت قوات القائدين الفرنسيين تقترب من مناطقنا من اتجاهين وبينما قمنا نحن بنشر وحدات قوية من قواتنا الرئيسية بقيادة (فان نقوى ماو وثاى دونج وفو لانج) ([١٣]) بنية تدمير قوات العدو إذا ما حاول التقدم إلى مناطقنا الأمنية ولقد اتصل (ترونج تشينه) تليفونيا بالقيادة العامة سائلا ما إذا كان

[١٣] – جنرالات من جيش الشعب الفيتنامى – المؤلف

العدو قادرا على التقدم إلى مناطقنا الآمنية، أجاب الجنرال (هونج فان ثاى) قائلا: حتى الآن فإن العدو لم يبحث كثيرا وبعمق فى الجانب الثانى من الطريق ولهذا فإن قواتنا لن تمكّنهم من الاقتراب من منطقتنا الأمنية.

وفى يوم ٢٦ أنزل الفرنسيون فصيلا من المظليين على (لين هو وتران خاى) تلك التى انسحب منها الجزء الأخير من القيادة وهكذا قام الفرنسيون بتفتيش كل المنطقة المحايدة لكن جميع القرى كانت خالية، تركت، وكنا قد تلقينا معلومات تقول: إنه بجانب تلك القوات الفرنسية التى تقدمت من ((فا لى إلى لنج ثرون وناى نام) فإن هناك قوات أخرى تتقدم من (هانوى إلى فو لانج) وكان من الواضح أنها ستلتقى مع القوات الفرنسية الأخرى التى كانت تنسحب من (فييت باك) من أجل دعمها وفى هذا الوقت كانت قوات الجنرال (بيفرى) ومظلييه تنتشر على الجانبين من الطرق لكنها لم تدخل المناطق المحادية حيث كانت العديد من عناصر قيادتنا ومواصلاتنا لا تبعد أكثر من كيلومتر عن العدو وعندما كنت منشغلا فى العمل أبلغت بأن العدو يتقدم ولهذا قام جميع الضباط والجنود الموجودين معى بالاستعداد مع أسلحتهم والانتقال الى طرف الغابة للمشاركة مع القوة الرئيسية لمقاتلة العدو إذا ما وصل إلا أنه لم يظهر فى المكان، لكن العدو تحاشى هذه المناطق وعندما حل الظلام توقفت قواتهم تحت حراسة شديدة ومع الليل أضاؤا المنطقة وأشعلوا النيران فى مناطق غير تلك التى توقف فيها جنودهم وفى بعض الأحيان يضع الجنود الفرنسيون على رؤوسهم قبعات مخروطية مصنوعة من ورق النخيل ويرتدون ملابس شعبية ليخفوا أنفسهم.

كانت قواتنا الرئيسية قد تابعت القوات الفرنسية المنسحبة وقوات المظليين التى تعززها وباتت مقاتلتهم فى كل مناطق التقدم التى انسحبوا إليها ممطنة، وقام اللواء ١٧٤ بوضع كمائن لمنع انضمام قوات الجنرال (كوميونان مع قوات الجنرال بيفرى) وعلى طول ساحة القتال فى منطقة نهر (لو) أقيمت كمائن على الطرق

وممرات المياه فى (بينه كا) ولقد أغرقت عدة بوارج للعدو فى (لا هانج) وتم قتل العديد من القوات المنسحبة.

استمر القتال والمقاومة الشجاعة فى كل موقع ولم يطل الوقت حتى صارت القرى والمدن تسترجع بواسطة قواتنا وسيطرة (آلفييت منه) وفى ١٩ ديسمبر ١٩٤٧ وتحديدا بعد سنة واحدة من انفجار حرب المقاومة الوطنية الواسعة وصلت خطة الاستراتيجية الفرنسية ضد مواقعنا الرئيسية إلى نهايتها ولم تبق قواهم إلا فى مدينتى (باك كان وكان بانج) وخلال هذه المرحلة كان الآلاف من الجنود الفرنسيين إما قتلوا أو جرحوا وحدث أن ٢٧٠ جنديا من القوات العميلة تركوا الخدمة مع القوات الغازية وانضموا إلينا وكنا كذلك قد أسقطنا ١٨ طائرة حربية وأغرقنا ١٦ بارجة حربية و٣٨ زورق حربى كما دمرنا ٢٥٥ عربة من مختلف الأنواع، وفى جانبنا كانت الخسائر ٢٦٠ قتيل و ١٦٨ جريح وفقدنا مدفعا ميدانيا وأربع رشاشات ثقيلة و ٤٠ بندقية على أننا قد غنمنا مدفعان من عيار ١٠٥ وثلاثة من عيار ٧٥ و ٣٧٧ رشاش من مختلف العيارات و٤٥ مدفع بازوكا و ١٦٠٠ بندقية والعديد من أطنان المعدات العسكرية.

فى سنة ١٩٧١ كتب الجنرال (سالان) مطولا فى مذكراته عن الحملة العسكرية ضد (فييت باك) مدركا أنها كانت مشروعا طموحا وبموجب المعلومات التى كانت متوفرة لديه إضافة إلى تلك القوات ذات التجربة الحربية فإنه كان على قناعة بأن النصر متحقق حتما وهو يرى أى (سالان) أن عملية (ليا) فى ٧ أكتوبر ١٩٤٧ كانت تمثل ضربة حاسمة موجهة إلى قلب العدو وهو شخصيا قد شاهد إنزال المظليين على (باك كان) وفى هذا الوقت حوالى الساعة الحادية عشر والنصف كان القائد الميدانى (سوفاقناك) قد أبلغ عبر الراديو قائلا: إن السيد (هوشى منّه) اعتقل وأنه قد طلب إيقاف القتال ولهذا طار (سالان) فورا إلى (هانوى) ليبلغ (سايجون) عن تلك الأخبار الطيبة وقد طار سريعا المندوب السامى

(بالارت) وقائد الأركان بالنيابة (باتيت) إلى (هانوى) لكن (سالان) أدرك أنه كان مخطئا وكان عليه أن يعترف بذلك فقال: لقد خدعنا، وطبقا لما ذكر أن رئيسيه عادا فورا إلى (سايجون) بعد أن عرفا الخبر الذى كان بعيدا عن الحقيقة.

أنشأ الفرنسيون لجنة تحقيق ولم تحسم شيئا بعد، وكنا نحن نعرف فى ذلك اليوم أن القوات الفرنسية قد أسرت أحد القادة الهامين وهو الذى قالوا إنه قد طلب إنهاء الحرب وكانوا قد أعلنوا أنهم قبضوا على الرئيس (هوشى منّه) وعندما اكتشفوا أنه ليس الرئيس (هوشى منّه) أطلقوا عليه النار وقتلوه عندما كان يحاول الهروب، والرجل كان يدعى (نقويان فان ثو) وكان يشغل منصب رئيس اللجنة الدائمة فى المجلس الوطنى الفيتنامى وهو وطنى مثقف متحمس وقوى الشخصية ويحظى بالتقدير وكان فقدانه خسارة كبيرة لنا.

خلال الأيام الأخيرة من شهر أكتوبر قام كل من الجنرال (سالان والجنرال بولارت) بعدة زيارات تفتيشية للجبهة بواسطة الطائرة ولقد خلصا إلى:

إن القوات الفرنسية قد احتلت عددا من المدن والقرى ومع ذلك فإنها قد انتشرت فى مواقع معزولة تبتعد من بعضها وكانت تحاصر وتهاجم باستمرار من جانب قواتنا.

وبالرغم من أنهم فشتوا فى مناطق تمرين الفييت مينه فى مدن (باك كان وتشو دون) فإن حملتهم كانت ما تزال بعيدة عن تحقيق أهدافها.

إن الخسائر الفرنسية البشرية والمادية كانت كبيرة جدا وخصوصا فى مناطق الأنهار والطرق حيث كانت التعزيزات والتموين عادة ما تنقل جوا وهى فى الحالتين بالغة التكاليف والصعوبة بسبب قلّة الطائرات.

لم يشر (سالان) إلى خطة (كلوكلو) التى استولينا عليها ومع ذلك فقد تحدث عن خطة جديدة اسمها (سينتور) وهذه معناها (الحزام المناسب) التى

استلمت إبتداء من ١٩ نوفمبر إلى ٣٠ منه ١٩٤٧ حيث تم بموجبها تركيز القوات الفرنسية فى (توين كوانج وثاى نقوين وفو لانج ترونج وفييت تـــرى) بغـــرض تدمير قوات الفييت مينه ولكن الخطة لم تحقق الهدف منها.

(٨)

لقد انتقل الجد (هو) من (بين كوك إلى كيو تات) وكان تعافى مـــن بعـــض المرض لكنه مازال لونه شاحبا وقد أطلعنى على مقالة كان قد كتبها ملخـــصا فيهـــا نتائج السنة الأولى من حرب المقاومة، وكان الاستعماريون والعسكريون الفرنسيون يفتخرون بأنهم إذا ما أسرعوا فى العملية العسكرية فسوف تستغرق خمسة أســـابيع تقريبا وإذا ما أبطأوا فسوف تستغرق ثلاثة شهور وسوف يجبروننا على الاستسلام، والآن كم من الخمسات من الأسابيع؟ وكم من الثلاثات من الشهور ؟ ومـــا هـــى النتائج التى حققوها ؟ فلقد فقدوا ثلاثون ألفا من الجنود وثلاثون ألفا من الجرحـــى وصرفوا حوالى أكثر من ثلاثة بلايين من المال ولقد احتلوا عددا مـــن المـــدن الـــتى تحولت إلى خراب، وعلى الرغم من الصعوبات والمعاناة فإن شعبنا صار أكثر توحدا وأكثر حماسا وأكثر تنظيما فى النضال من أجل النصر النهائى، وقواتنا اكتسبت المزيد من الخبرة ولقد تدربت أكثر وصارت أكثر شجاعة وإقداما وأن قوات العـــدو الآن مثل غروب الشمس، متغطرسة لكنها باهتة، بينما قواتنا صارت قوية وقوية مثل الماء فى مصدره، مثل شموع النار، دائما فى تقدم دون أن تتراجع.

خلال اليوم التالى تركت الجد (هو) واتجهت إلى (توين كوانج) للمشاركة فى احتفالات النصر، ولقد كانت أيام الشهرين الماضيين متوترة وشاغلة، وكان علينا أن نحمل جبالا من العمل من أجل ضمان سلامة أجهزة حكومتنا، نقاتـــل العـــدو، لنحمى مصانعنا، نوفر الاحتياجات لحياة شعبنا وضمان إعاشته ولقد ظهـــر بعـــض

الهزال على كل فرد بسبب عدم كفاية الطعام، وعدم النوم فى كثير من الليالى وبسبب الكثير من التنقل، وقد أصيب كثيرون بأمراض البرد فى الأيام الممطرة والملابس الثقيلة دوما حيث صارت أقدام الناس يابسة ومؤلمة.

جاء الناس من مختلف الأقاليم لحضور الاحتفالات بما فى ذلك أعضاء الحزب من المنطقة العاشرة وقادة الجيوش فى مقاطعة (تويين كوانج) وكذلك قادة المدفعية والمليشيات فى القوات التى حققت النصر على العدو فى نهرى (لى- و قام) والمنطقة السابقة فى (تويين كوانج) وأضيئت آلاف المصابيح فى المكان بحيث دفأت جو الشتاء البارد وأضاءت وجوه المشاركين الذين كانوا يحملون الأسلحة التى غنمت حديثا وهم يستعرضونها أمام المنصّة، وهنا قرأت الأمر اليومى الصادر من القيادة العليا احتفالا بالمناسبة السنوية للمقاومة الوطنية ومرور ثلاث سنوات على تكوين جيش التحرير، وانتصارنا الخريفى على العدو فى حملتنا الشتوية بمنطقة (فييت باك) ولقد نقلت كذلك تهانى الجد هوشى منّه والحكومة إلى المشاركين فى الاحتفال، وبعدئذ ونيابة عن القيادة العليا وضعت نياشين على أعلام الوحدات العسكرية التى حققت نجاحات ممتازة على الفرنسيين، ولتخليد مجد النصر الذى تحقق فى (فييت باك) أعلنت أسماء جديدة على لواء نهر (لى) وفصيل (بونج لو، وفصيل بينه كا،وفصيل المدفعية ٤١٠).

(٩)

من خلال المنظور الحالى فإن (فييت باك) كانت تمثل الحملة الطموحة للحملة الفرنسية بناء على حملة فرنسا العدوانية ضد الهند الصينية ولقد حدثت فى وقت كانت فيه قواتنا المسلحة جنينية، وكان مخطط تلك الاستراتيجية الجنرال (فالوى) وهو رئيس أركان حرب لواء (دى لاترى) خلال الحرب العالمية الثانية وقد اختاره

الجنرال (ليكلير) ليكون خليفته فى الهند الصينية، وكنت التقيت هذا الجنرال عدة مرات فى (هانوى) وكان كل من الجنرالين — ليكلير وفالوى) لـــديهما ســـلوك الجيش الفرنسى، ومع ذلك فقد كان مظهر ونموذج الرجلين مختلفا كثيرا؛ حيث كان (ليكلير) طويلا ونحيفا وعيناه توحى بالذكاء ووجهه مريح ويتحدث بشكل مباشر، فى حين كان (فالاوى) قوى البنية مهذب وعميق التفكير، ولقد قال (فــالوى): إن فيتنام لم تعد تتكون من مجمعات منفصلة كما كانت وبالتالى فإنها لا يمكن أن تحتـــل بواسطة استراتيجية تقليدية تعتمد على تهدئة منطقة بعد الأخرى حيـــث إن المجتمـــع الفيتنامى الآن يتكوّن من بناء هرمى يؤمن بأيدولوجية ويقاد من أعلى بدقّـــة، ومـــن أجل أن نحتل فيتنام فإننا يجب أولا- أن ندمر رأسها أى (الفييت مينـــه) وبكلمـــات أخرى، يجب أن نفصل القمة عن القاعدة فى الهرم ومن هناك يجب أن ندمر الفييـــت مينه فى مرتفعات (باك بو) بالقبض على قياداتهم والقضاء على جيـــشهم وتـــدمير قدراتهم الحربية، وهكذا فإن الجنرال (سالان) الذى أكد نبوغه خلال فترة تحريـــر فرنسا كقائد للفيلق التاسع كلف بهذه المهمة الاستراتيجية وكان قد أقـــام فى الهنـــد الصينية لمدة ثلاث عشرة سنة ولديه خبرة كبيرة عن المرتفعات فى (باك بو) إضافة إلى وفرة القوات المحاربة التى وضعت تحت قيادته قبل أن يبدأ الحملة ضد الفييت مينـــه، لقد كان (سالان) على ثقة بأنه سوف يحقق أهدافه خلال ثلاثة أسابيع.

لقد كان الجنرال (سالان) واثقا كثيرا من خبرته عندما كان ما يزال قائـــدا لمنطقة فى المرتفعات خلال العهد الاستعمارى، حيث كان يمكن لـــضابط فرنـــسى واحد مع بضعة أعداد من الفيتناميين المحاربين يمكنه أن يسيطر على مساحة كبيرة من الأرض، وفى هذا الوقت فإن القوات الفرنسية لم تعد مرحبا بها فى المجتمع ومن طرف زعماء القرى بل إنه بدلا من ذلك هم يجدون قرى مهجورة لا يوجد بها طعـــام ولا حيوانات محلية ولقد اعترفوا أن الشعب يتحاشاهم كما لو كانوا طاعونا، ولقد أدرك الضباط والجنود الفرنسيون فى ساحة الحرب أكثر من قياداتهم العليـــا الـــصعوبات

والأخطار والهزائم التى سوف يلاقونها وكانت رسائلهم ومذكراتهم التى استولينا عليها أثناء الحملة تلطخها الدماء ومياه النهر والتى تظهر مدى رعبهم، ولقد كتب العريف (قاستون فارين) قائلا: نحن محاصرون من كل جانب وبمجرد أن نخرج خطوة واحدة خارج معسكرنا تطلق علينا النار من طرف القنّاصين الذين يقبعون على قمم الجبال وهم أى الفييت مينه من الكثرة فوق من التصّور وقد هاجمونا عدة مرات وأصابونا بأضرار كبيرة بينما كانت ردودنا فاشلة ومن الملاحظ أننا كلما تركنا مكانا يعود إليه العدو بلا تأخير، كما سجل النقيب (ثيباوت) قائلا: إن هذه الحرب التى يعتمد فيها العدو على المجموعات الصغيرة من المقاتلين فى المناطق الجبلية تسبب لنا خسائر كبيرة، كما كتب النقيب (بوردوروكس) فى خطاب إلى زوجته يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٧ قائلا: نحن لا نقابل إلا الأعداء الذين يظهرون كالأشباح، وكتب جندى يدعى (بيرموس) لزوجته يقول: لو رزقنا بطفل فإننا من المؤكد لن نتركه يذهب إلى هذا البلد المرعب، وكتب الملازم (لوقير) فى مذكراته يقول: إننا نعجب ما إذا كانت تضحياتنا وجهودنا غير مجدية !.

والواقع أن الفشل العظيم فى جانب الفرنسيين لم يكن فقط فى جنودهم الذين يقتلون أو فى المعدات الحربية التى نستولى عليها أو ندمرها وإنما ذلك راجع إلى أن بلادنا يتم الدفاع عنها بأى ثمن وأن الفييت. مينه لا يمكن هزيمتهم وتبعا لهذه الحقيقة فإن حملتهم فشلت عن تحقيق غرضها الأساسى، ولأن (الجنرال سالان) لم يتمكن من أسر قيادات حرب المقاومة كما توقع والحقيقة أن عملية (ليو) فاجأتنا ولكن الجنرال (فالى) كان على خطأ كبير فى اعتقاده أن تلك المدينة الصغيرة (باك كان) كانت عاصمة المقاومة، ذلك أنه عبر كل مرحلة من مراحل القتال ضد فرنسا لم تبق واحدة من عناصر قياداتنا فى مدينة وكانت القيادات موزّعة بين تجمعات صغيرة ودائما متحركة ومختلطة بالناس فى القرى ومحمية بهم وبالتالى كان من الصعب على العدو معرفتهم وهم مستمرون فى قيادة حرب المقاومة.

لم يستطع الفرنسيون إخضاع قواتنا الأساسية بل على العكس لأنه خلال كل تلك الحملة كانت قواتنا مدربة بشكل جيد وصارت يقظة بشكل أكثر مجهّزة ومسلحة، وكان العدو قد دمر عددا من مناطق التخزين واستولى على عشرة ملايين نقدية من إدارة الخزانة لكنه مع ذلك كان مازال بعيدا عن هدفه وهو تقويض كل القدرات الحربية فلقد كانت معداتنا ووسائل تموينا مفرّقة وقدراتنا الحربية تنشأ مع الشعب، ولم يتمكن الفرنسيون من إغلاق الحدود الشمالية ذلك أن المدن والقرى التى احتلوها والخط الذى أقاموه كمواقع عسكرية على طول الحدود كان معزولا من خلال منطقة هائلة يسيطر عليها شعبنا وصاروا فى واقع الأمر أهدافنا مستقبليا للتدمير بواسطة قواتنا، ورغم أننا واجهنا هجوما فجائيًا وتعرضنا لكثير من الصعوبات خلال الأيام الأولى فقد استعدنا المبادرة بسرعة فى هجومنا المضاد وهكذا هزمنا الهجوم الفرنسى الطموح وذلك باتباعنا الاستراتيجية وقواعد التاكتيك الذى قررناه خلال فترة الصيف وبذلك كنا قادرون على القتال ضد عدو أقوى منا عدة مرات.

استعملنا نحن قيادة الخط الدفاعى المتقدم من أجل تنسيق مختلف ساحات القتال بحيث نشرك القوات النظامية مع الشعب والقوات المحلية والميليشيا ولهذا فإن أكبر نصر حققناه خلال الأيام الأولى من المقاومة يرجع بالتأكيد إلى أننا أجبرنا الفرنسيون على القتال قبل الوقت المحدد، ومؤخرا على أى حال حققنا انتصارات لأننا أخذنا المبادرة وتحاشينا الدخول فى معارك كبيرة بينما حاول الفرنسيون كل جهدهم أن يدفعونا إلى ذلك وبالتالى يحطمون قواتنا على أن الدرس المستفاد من حروب الثورة يقول: إذا كانت قواتك ماتزال ضعيفة عليك تأجيل قرار المعارك الكبيرة وبدلا من ذلك فقد استعملنا وحدات متوسطة وصغيرة فى الهجوم على القوات الفرنسية فى المواقع الاستراتيجية؛ ومنذ البداية الأولى فى حرب المقاومة كانت قواتنا قد أمرت بتحاشى دخول خطوط المعارك الكبيرة وأمرت أن تدمر العدو بواسطة الهجمات

الخاطفة مستخدمة الكمائن والهجوم المفاجئ على طول خطوط المواصلات وعلى المعسكرات التى تنشأ حديثا ولقد استمر هذا الترتيب؛ حيث قامت الوحدات بأعمال كبيرة فى هجمات سريعة وأعمال التخريب، ومن أجل تنفيذ سياسة الأرض المحروقة كانت قرارات القيادة تقوم على تقسيم قواتنا فى شكل وحدات مركّزة بحيث تعمل فى مناطق محددة، ولقد ارتكبت القيادة الفرنسية خطأ أساسى وذلك عندما حاولت حصار منطقة واسعة وهى المقاطعات الخمس فى (فييت با:) بواسطة ١٢٠٠ جندى فى شعبتان هائلتان بمنطقة غابات وجبال، وهذه الوسيلة بيّنت بسرعة ضعفها فى العملية التى كان لابد أن تفشل حتى لو كانت بأعداد كبيرة من الجنود ومن جانبنا فقد ركّزنا على النقاط الضعيفة فى هذه الحملة التى تعتمد على حرب طوابير وقوارب والتى بالضرورة سوف تمر بطرق معينة وأنهار بحيث توفر المواد الغذائية والذخائر لقوات كبيرة فى حين أن قواتنا المكّونة من وحدات صغيرة والتى تحمل معدات محدودة يمكنها أن توقع أضرار كبيرة فى العدو، وللمرة الأولى فإن البوارج الحربية الفرنسية وقوارب الإنزال التى يعتقد أنها منيعة تم إغراقها بواسطة مدافع رجالنا الشجعان.

لقد كان الطقس والمناخ والباعوض فى غابات (فييت باك) سريعا مثل الحامض الفعال يأكل جهد أفراد الحملة فى عمليتهم الطويلة ولم تكن قوات الجنرال (بيفرى) قد التقت بقوات الجنرال (كوميونان) عندما بدأت رغبات الجنود فى القتال تتآكل وبالتالى فإن القوات الفرنسية لم تكن قادرة على الالتحام القتالى المباشر مع قواتنا الأساسية وبدلا من ذلك كانت مجبرة على التفرق فى وحدات صغيرة تحتل مدن صغيرة وقرى ونقاط عسكرية متوزعة على طول الطريق بحيث تتعامل مع الكمائن التى يمكن أن تظهر فى أى وقت وبمستوى متزايد، وفى النهاية لم يكن أمام الفرنسيين من شيء يمكن أن يقوموا به غير الانسحاب.

ولقد كان عمل الجيش مع الشعب فى (كينه) ومع الأقليات العرقية فى (فييت باك) أنعش وبعث روح سلالة (تران) فى مرحلة سنوات (١٢٢٥- ١٤٠٠) حيث حقق الناس الذين يعيشون فى القرى والكهوف النصر مع القوات الملكية على الغزاة المنغوليون الذين جاءوا من الصين ثلاث مرات، وحتى أن الفدائيين كبار السن من قرية (كاو بانج) بقيادة أحدهم وعمره سبعون سنة دافعت بيسر عن قريتها ضد الفرنسيين مما جعل الجد (هو) يكتب شعرا فى بطولتهم، يقول:

(إن الروح والإرادة هى أقوى مع الكبر، وأن التلويح بالسيوف لقتل العدو،

تئز مثل رياح الخريف جاهزة للقضاء على الحملة،

وأن فييت باك سوف تعيش مع المجد لآلاف من السنين)

ولابد أنه كان من الواضح لقيادة الحملة الفرنسية أنها لن تشن هجمة استراتيجية ثانية ضد منطقة القاعدة فى (فييت باك) وضد مقاومتنا حيث كانت حملتهم الخريفية تمثل فشلا مرا ولقد فشلت خطتهم العسكرية الكبيرة التى أريد بها أن تضمن نهاية سريعة للحرب قد تبخرت كالدخان، ومن جانبنا كان نصر (فييت باك) فوق كل شيء عائد إلى سياستنا القائمة على القتال بواسطة الشعب ومن أجل خلق تماسك بين أفراد الجيش والشعب ودعم الروابط بين مناطق (كينه – تاى – نونج –دو – مونج) والآخرون الذين يكوّنون قاعدة ثورتنا، وهذا يجعل جهودهم منسّقة فى ساحات القتال عبر البلاد كلها، ولقد كان هذا النصر علامة تاريخية مميزة شجعت كامل الأمة وخلقت المناسب لنا بحيث ننقل حرب المقاومة إلى مرحلة جديدة.

***

الفصل الخامس

مؤخرة العدو، خطنا الأمامى،،

(١)

لقد رفع انتصار (فييت باك) معنويات الجيش والشعب وأكد النصر النهائى فى حرب المقاومة وكانت البرقيات ورسائل التهنئة قد انهمرت علينا من كل المقاطعات وساحات القتال فى الخطوط الأمامية كما نشرت الإذاعة والصحف وكل وسائل الإعلام أخبار الانتصار الكبير وتفاصيل القتال فى (فييت باك) وقد طلبت من الإدارة السياسية أن تجمع تلك المواد وخصوصا تلك المتعلقة بالمناروات المثالية والعمليات، وكذلك الرسائل والوثائق التى تمت حيازتها من العدو بحيث تكون أحداث (تا كوانج وبيرو وتران كونج توانج) مكوّنة لكتاب باللغة الفرنسية عنوانه (الحملة الفرنسية ضد فييت باك) الذى سيؤثر على الفرنسيين والرأى العام العالمى.

وفى ١٥ يناير ١٩٤٨ أى بعد نصف شهر من نصر (فييت باك) عقد الحزب الشيوعى الفيتنامى مؤتمرا موسعا للجنة المركزية بمقر قيادتنا وقد ناقش المؤتمر وحلل التطورات المستجدة فى الوضع الدولى حيث إن كثير من الدول الأوربية كانت قد قبلت مشروع مارشل [١٤] وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أنشأت قواعد

[١٤] – مشروع مارشل نسبة إلى اسم وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الذى طرح من أجل بناء أوربا بعد الحرب العالمية الثانية – المترجم .

عسكرية فى مناطق كثيرة تحيط بالاتحاد السوفييتى وهى تهدد حركات السلام والديموقراطية [١٥] التى تتكون وتنتشر فى العالم حيث مازال النضال من أجل الاستقلال بواسطة الشعوب قويا وخصوصا فى مدغاشقر وأندونيسيا، وكرد على ذلك يقوم الجيش الأحمر الصينى بحملة مضادة ضخمة، وفى فرنسا بعد تنحية الشيوعيين من الحكومة فإن السلطات الفرنسية تسعى إلى المحافظة على إطالة وجودها بمستعمراتها.

وبتطور الحرب الفدائية فى (نامو بو) وباشتعال حرب المقاومة فى كل مكان بالوطن خصوصا بعد انتصار (فييت باك) اتفق المؤتمرون مع التقديرات التى قدمتها اللجنة المركزية القائلة بأن توازن القوة بيننا وبين العدو تغيرت كثيرا، فإذا أمكننا أن ننشط ونطور بسرعة قوتنا وأن نعالج ضعفنا حينئذ فإن حملة (فييت باك) ستكون الحافز لنا بحيث نتحول إلى المرحلة الثانية فى حرب مقاومتنا الطويلة ولقد توقّع المؤتمرون ذلك فى المستقبل على اعتبار أن العدو سوف يبدأ برنامج تهدئة ليقوم بعمليات مسح عنيفة فى المناطق التى يسيطر عليها مركزا على (نام بو) والجزء الجنوبى من فيتنام وسوف يحاول خلق مناطق سيادية بحيث يخلق المزيد من الإدارات العميلة على مستويات مختلفة، ويعد العودة للوطن فى (باو داى) وقد حدد المؤتمر للمرحلة الجديدة من حرب المقاومة؛ حيث قررت اللجنة المركزية تطوير حالة حرب الميليشيات والفدائيين فى كل مكان بالوطن وخصوصا فى المناطق التى يسيطر عليها العدو بحيث يتم تركيز قواتنا لتقوم بعمليات متحركة ضد نقاط العدو المعزولة وذلك لتضييق مناطق احتلاله وفى نفس الوقت أن تقوم بهجمات مفاجئة على المدن الصغيرة.

---

١٥ – نلاحظ أن كل دولة فى العالم تدعى أن نظامها ديموقراطيا والواقع أن هذا صحيح فقط إذا كان يخدم مصالحها وهو ما نراه من جانب الولايات المتحدة الأمريكية التى تدعى أ،ها أم الديموقراطية وهى فى الواقع تمارس أشد أنواع العسكرية الديكتاتورية فى العالم وتدعم الانقلابات العسكرية خدمة لمصالحها فقط – المترجم

(٢)

عقد مجلس الوزراء جلسة فى ١٩ يناير ١٩٤٨ بعد نصر (فييت باك) ولقد بحث الجد (هو) مع اللجنة المركزية فى الحزب الحاجة إلى تحفيز الروح المعنويـــة فى الجيش وأن يعزز نضج القوات المسلحة بعد مرور سنتين من القتال وقد رؤى الحاجة إلى إعداد القيادة الوطنية العليا الفيتنامية وترقية عدد من ضــباط الجــيش وتعليــق نياشين على صدور أولئك الرجال الذين أظهروا شجاعة بارزة وكانت أفكار الحزب قد رحب بها مجلس الوزراء.

وفى ٢٠ يناير وقع الجد (هو) أمرا بترقية عددا من ضباط الجيش والقـــادة وهكذا رقي إلى رتبة جنرال (نقويان سون ولى ثوت هونج وجو فان تـــان وهيـــونج سام وهيونج فان ثاى ولى هين ماى وفان ثين دونج وترانج داى نقيا وتران تو بينه) وهؤلاء صاروا جنرالات بنجمة واحدة وترقية ضباط المناطق الذين كانوا يقـــاتلون منذ أكثر من سنتين إلى رتب العقداء وكان مجلس الوزراء قد أراد أن يقـــيم حفـــلا بمناسبة ترشيحى كجنرال فى يوم ٢٧ مايو ١٩٤٨ ولكن خلال عدة أيـــام كانـــت الأمطار غزيرة وفى يوم ٢٧ مايو كانت ماتزال الأمطار تهطل وكانت ميـــاه النـــهر والسواقى عالية ولم يكن من الممكن عبورها ولم يصل كل المدعوين وبالتالى فقد عقد مجلس الوزراء جلسة طارئة لحل بعض المشاكل القائمة وقد تضمن ذلـــك تقـــديرا وتحليلا للظروف المحلية المتصلة بوضع القوات الفرنـــسية وتقـــديراتنا لمواجهتـــها، وكذلك إصدار بعض القوانين الجديدة بشأن الموظفين المدنيين الذين سيحلون محـــل الإداريين الفرنسيين وتقـــرر أن تقوم وزارتى الشئون الداخليـــة والماليـــة بدراســـة مستوى مرتباتهم وكذلك إصدار قانون لإنشاء إدارات أخرى وتم اختيار يـــوم ١٩ يونيو للقيام بالاحتفال الوطنى بمرور ألف يوم على حرب المقاومـــة ولقـــد اســـتمر اجتماع المجلس الى منتصف الليل على أن تستكمل المناقشات خلال صـــباح اليـــوم

التالى، وفى يوم ٢٨ مايو عند الساعة الواحدة ظهرا كان احتفال تسمية رتب الضباط قد أقيم بشكل نهائى بهيج.

تم إنشاء قاعة كبرى للمؤتمرات بجانب جداول فى ظل أشجار الغابة قرب جناح الجبل وكانت حواجز الحيطان البيضاء الجديدة تعمّها رائحة الخيزران الطرية وفى خلفية القاعدة يقف نصب يمثل أرض الآباء تزيّنه رسوم بسيطة بعلم أحمر تتخله خطوط صفراء وزهرية بوسطها وورود الجبل محاطة بشعار يقول: إن حرب المقاومة ستنتصر وأن الوحدة والاستقلال سيتحققان ولقد وقف كل من الجد (هو والسيد بينج بانج دون) رئيس اللجنة الدائمة كل على جانب من النصب بينما وقف أعضاء الحكومة أمام الجد (هو) بينما كان الإعلان بيده عندما طلبنى بصوت جهورى عاطفى قائلا: اليوم نيابة عن الحكومة والشعب وفجأة توقف عن الكلام حيث أخرج منديله وصار يمسح دموعه وكان ذلك مؤثرا فى الحضور بعمق وبعد فترة قصيرة واصل الجد(هو) فقال: بموجب صلاحياتى كرئيس لجمهورية فيتنام الديموقراطية أمنحك رتبة الجنرال وأطلب منك أن تقود القوات لإنجاز المهمة التى أوكلت إلينا من الشعب، وهنا سلمنى القرار، ولقد قدم لى (بو بانج دو) نيابة عن الجمعية الوطنية و (فان أنه) نيابة عن مجلس الوزراء التهانى وكذلك هنأنى السيد (تا كوانج بيرو) عن وزارة الدفاع وقال: إنه باسم كل القوات المسلحة يعد بتعزيز روح النضال والشجاعة تحت قيادتى، وبامتنان وشعور قلبى أعربت عن عظيم تقديرى ببضعة كلمات لأولئك الأبطال الذين قضوا فى الميدان وعن تقديرى للجد (هو) والجمعية الوطنية ومجلس الوزراء الذين كرّمونى بهذه المهمة ووعدت بأن أكرّس كل قدراتى وخبرتى وقوتى لإنجاز مهمتى وأسخّر كل شىء من أجل تحقيق الاستقلال والاتحاد.

بعد الاحتفال أخذنا مقاعدنا حول الجد (هو) حيث تحدث قائلا: إن ترقية الرفيق جياب اليوم وبقية الجنرالات إنما هو نتيجة لتضحياتهم ونضال العديد من

المواطنين والرفاق، وكانت الأجيال السابقة قد ناضلت طويلا من أجل الاستقلال والحرية لكنهم قضوا ولم يروا الاستقلال ولا الحرية، ونحن أسعد حظا الآن على الرغم من أن الكثير من الصعاب ماتزال أمامنا ولقد سقط عشرات الآلاف من الرجال من أجل ما نحن فيه الآن، ولابد لنا أن نناضل لضمان الاستقلال والحرية ولنجعل أرواح أولئك الذين قضوا مطمئنّة، وبعد هذه الكلمات وقف أعضاء الحكومة لالتقاط الصور التذكارية، وعندما أذيعت أخبار المناسبة عبر إذاعة صوت فيتنام سأل الصحفيون الغربيون الجد (هو) قائلين: لماذا تعيين الكثير من الجنرالات والعقداء فى نفس الوقت وبأى معايير ؟ فأجاب الجد (هو) بكل بساطة: إن الذين حققوا نصرا على عقداء فقد عينوا عقداء وإذا ما انتصروا على عمداء فسوف يكونوا عمداء وإذا صاروا منتصرين على جنرالات صاروا جنرالات.

وفى أغسطس من نفس السنة وخلال اجتماع المؤتمر الخامس العسكرى تحدث الجد (هو) عن سلوك الجنرال فى الجيش وكيف أن واجبه يكون معروفا، أى الشجاعة والإنسانية والثقة والأمانة والإخلاص، وبالنسبة للطاعة فإن أى أمر من الأعلى لابد أن يطاع من الجميع وأى تقرير لمن هو أعلى لابد أن يكون أمينا ومحددا وواقعيا، أما فى المكافأة أو العقاب فلابد أن تكون عادلة وأمينة بمعنى أن المكافأة لا يجب أن تعطى بسبب العاطفة ولا العقاب يكون بسبب الكراهية، والمتعاون لا يجب أن يختار بسبب علاقته الطيبة معنا أو أن ينكر بسبب من صراحته واستقامته، وبالنسبة للجنود فإن القائد لابد أن يعرف كلامهم وسلوكهم وسعادتهم وحزنهم وأكلهم وملابسهم، عليه أن يهتم كثيرا بهذه الأشياء، وعليه أن يكون شريكا فى سعادة وحزن رجاله، فإذا ما فعل ذلك فإنهم سوف يتبعونه أينما أرادهم أن يذهبوا، وأن يقاتلوا بشجاعة وإيمان إذا أمرهم، إن رجالنا على الرغم من أنهم شباب إلا أنهم يحققون تقدما وأن أى جنرال لا يدرس بعناية ويبقى خامدا فمن المؤكد أنه سيبقى متخلفا عن الناس وإذا ما كان الجيش يتمتع بالثقة والمودة والإعجاب فإنه من المؤكد

سوف يحقق النصر، أما فيما يتعلق بالأعداء فإننا لا يجب أن نقلل من قدراقم وإذا ما فعلنا ذلك فإننا من المؤكد سنواجه الفشل.

فى ٧ فبراير ١٩٤٨ وبمناسبة السنة القمرية الجديدة دعى الجد (هو) كوادر الحزب واللجنة المركزية وأعضاء الحكومة الموجودين فى مقاطعة القاعدة إلى احتفال التضامن، وكان يوم هذه العطلة يحتفل به بشكل بسيط ولكن هذه المرة كان الاحتفال بشكل بهيج لمناسبة النصر العسكرى الذى تحقق فى (فييت باك) وبسبب ورود أخبار سارة عن الحملة العسكرية الاستراتيجية المضادة التى قام بها الجيش الأحمر الصينى عبر المناطق المحررة، ولقد تحدث فى المناسبة الجد (هو) قائلا: إذا كان الفرنسيون عقلاء فسوف يضعون نهاية للحرب أما إذا استخدموا (العميل باو دو) لاستمرار الحرب فإن هزيمتهم الكاملة ستتحقق سريعا لأن هذا لا يمثل أحدا.

(٣)

مع بداية سنة ١٩٤٨ وسّع الفرنسيون مناطق سيطرقم (استحلالهم) فى مناطق كثيرة من فيتنام، ففى الجنوب احتلوا كل المدن والبلدات بوسط فيتنام ولم تبق لنا السيطرة إلا على بعض المناطق وثلاث مقاطعات وكانوا خلال فصل المطر والشتاء سنة ١٩٤٧ بسيطرقم على (باك كان) قد احتلوا عمليا كل الشمال الغربى والجزء الأكبر من الشمال الشرقى مشددين الضغط على منطقة (فييت باك) ومن أجل إدخال الحرب فى مرحلة جديدة عملنا بشكل حازم على خلق خط مقاومة بواسطة كل الشعب وحتى منذ البداية عندما أسس الجد (هو) الجيش سنة ١٩٤٤ قال: إن حربنا هى حرب مقاومة شعبية وبالتالى فإننا يجب أن نعبئ كل الشعب ونسلحهم جميعا على ضوء هذه الاستراتيجية، وفى هذا الوقت أعلن الحزب الفيتنامى تاكتيك الحرب الفدائية، وهنا أود أن أبين خصائص حالة الحرب الفدائية فى بلادنا أى (حالة الحرب الفدائية الفيتنامية).

أولا: سوف أناقش خصائص ساحة الحرب، فالمنظّرين العسكريين التقليـــديين مثل (كلوزويتس) كما تحدث عن أسلوب حرب الفدائيين وصرح أهما يمكـــن أن تستعمل فقط فى البلاد هائلة المساحة مثل روسيا كما أن (ماوتسى تـــونج) أيـــضا يعتقد أها يمكن أن تكون ناجحة فقط فى البلاد الواسعة مثل الـــصين أمـــا البلـــدان الصغيرة مثل بلجيكا لا يمكنها أن تعتمد مثل هذا النوع من الحرب، ولكن عنـــدما أعلن الحزب الفيتنامى أسلوب الحرب الفدائية أظهر الشعب موقفا إيجابيا ولقد كان هذا الاتجاه ناتجا عن الثقة فى الحزب ومن الروح اللاخـــضوعية الـــتى دفعتـــهم إلى الوقوف ضد غزاهم، على أن بعض الأعضاء تساءلوا ما إذا كان من الممكن لفيتنام وهى بلد صغير وساحات الحرب فيها ضيقة أن تقوم باســـلوب الحـــرب الفدائيـــة وتنتصر فيها ؟ وتم مناقشة هذا الموضوع فى نطاق ضيق وإن النتيجة كانت شـــاملة وسياسة الحزب أيضا دائما تحترم، وفى ضوء الجو الحماسى لكل الأمة الذى وحّدها من أجل المقاومة فقد انضم كل فرد للقتال وبالتالى لم تعد هناك أى شكوك، ولقـــد أكدت الحقائق التاريخية الآن مصداقية جديدة بشأن الحرب الفدائية التى خاضها بلد صغير،أى فيتنام، وكانت ناجحة.

إن الحرب الفدائية وقد قام بها الشعب بالبنادق وبدونها حيث استخدم كـــل سلاح متوفر وحتى الحراب والسكاكين والعصى، إنها حرب قام بها كـــل الـــشعب رجال ونساء، الكبير والصغير، إنها حرب فدائية خاضتها وحدات عسكرية صـــغيرة فى حجم مجموعات ووحدات وفصائل وأحيانا كتائب وكان الناس يقومـــون بمهـــام حسب قدراهم بما فى ذلك العمليات البسيطة التى يمكن أن ينفذوها، وأن خـــصائص حرب مقاومتنا الشعبية يقوم على أساس القتال حتى فى المناطق التى يحتلـــها العـــدو والأماكن التى ينسحب منها أو يتخلى عنها.

كان عددا من الذين كتبوا عن الحرب الصينية ادعّوا أن فدائيينا اعتمدوا على تفوقهم العددى على العدو، بمعنى أن عشرة من الرجال ضد رجل واحـــد كحالـــة

ألوية الفدائيين الصينيين أى تركيز قوة كبيرة ضد جزء صغير من قوة العدو وذلــك أحد قواعد حالة الحرب الفدائية فى ميدان القتال، ولكن الفيتناميين لــيس لــديهم القدرة ولا كانت الظروف مناسبة لتنظيم ألوية كبيرة مثل حالة الــصين أو الاتحــاد السوفييتى؛ حيث إن نظام أسلوبنا يرجع إلى جذور أسلوب تقليدى أى استعمال قوة ضعيفة ضد قوة قوية، أن تستعمل عدد قليل من الجنود ضد قوة كبيرة أى فصيل أو وحدة أو مجموعة؛ ذلك أن المواطن العادى يمكن أن يقاتل بشجاعة ومقــدرة لخلــق طريقة يهزم بها العدو.

إن الحقائق فى الميدان القتالى وطريقة قتال قواتنا أنتجت خصائص حالة الحرب الفدائية الفيتنامية وكانت الحرب الفدائية فى الثورة الصينية تقــول: تحــرك وقاتــل وكانت تلك الحرب خصائصها آنية بينما حربنا الفدائية عكس ذلــك فالفــدائيون يبقون فى قراهم أو كميوناهم أو مصانعهم وفى المعارك الكبيرة ينسّقون مع الجــيش وأن أى شخص أو فدائى لا يتحرك ويقاتل وإنما يبقى فى مكانه بسبب ارتباطه مــع قرويّيه وبسبب معرفته بتضاريسها المحلية وطوبوغرافيتها وفيها يكون قــادرا علــى القيام بعمليات غير محددة ضد العدو بسلاح أو بدونه، ونموذج هذه الخــصائص فى حالة الحرب الفيتنامية تعنى أننا نستطيع أن نقاتل حتى فى تلك المناطق الــتى يحتلــها العدو وفى الأماكن التى لا يكون فيها جيشنا وهكذا فقد قاتلنــا حربنــا الفدائيــة بالكيفية التى تناسب شعبنا فى المناطق غير الكثيفة ولقد أقامت وحــداتنا الفدائيــة شبكة غير مرئية غطّت البلاد لتمسك بشدة قوات الحملة الفرنسية الشاملة وتحطــم أكبر جزء منها ولا تترك لها فرصة الإفلات.

ابتداء من منتصف سنة ١٩٤٧ أصبحت الميليشيات والفدائيين جــزءا مــن الجيش الوطنى الفيتنامى، ومن أجل تطوير حرب الفدائيين فإن وحدات الميليــشيا فى المجلس الأعلى نقلت فى بداية سنة ١٩٤٨ إلى إدارة الميليــشيا بقيــادة (لى لــيم) وبالتالى أقيمت وحدة ميليشياتية فى كل منطقة عسكرية كما أنشأت قيادة للميليشيا

فى كل مقاطعة ومركز وكومونة وصار نظام الميليشيات يقوم على السماح لوحدات صغيرة بترك مكان العمل بينما تبقى الأغلبية فى مكان الإنتاج، وفى ١٥ أبريل عقـــد المؤتمر الثانى للميليشيات وكان برئاستى وكل من (ترونج تشينه وفان تين دانـــج) وجاء الجد (هو) ليتحدث إلى الوفود الممثلين لكل منطقة فى البلاد ولقد أشاد ببعض أعمال الميليشيات وأشار إلى بعض الأخطاء أو القصور وطالب بضرورة التنسيق مع الحرس الوطنى كما أشار إلى نظم الميليشيات فى الصين وغيرها ثم قال:

سواء أكنت صغيرا أو كبيرا
رجلا أو امرأة
كل فرد يجب أن
يقوم بالحرب الفدائيـــة
إن لم تكن لدينا بنادق
نستخدم الخناجر نستعمل الفؤوس
نستعمل الحجر والعصى
كل شىء لنقهرهـــم
كل شىء لنقهرهـــم

وفى سنة الإعداد للتمرد كنت قد كتبت ألبوم القصائد لفييت مينــه والـــذى يحوى عشرة أبيات من خمس جمل، واحدة منها تتحدث عن أسلوبنا الفدائى وذلـــك كمادة توكيد من أجل تشجيع المزيد من الناس لكى ينضموا لمنظمة الإنقاذ الـــوطنى من خلال الفييت مينه، وكان الكتيّب قد أعد بلغة الكينه والتى قمت بترجمتـــها إلى لغة الثاى دو والمونج وكانت تتضمن عشرة أبيات من الشعر كل بيت يتكون مـــن خمس جمل يشير أحدها إلى أسلوب حرب عصاباتنا وهى مادة دعائيـــة مـــن أجـــل تشجيع المزيد من الناس للانضمام إلى منظمة الإنقاذ الوطنى بالفييت مينـــه، ولغـــة

الكينه هى لهجة الأقليات العرقية فى مقاطعات (كاو بانج وباك كان ولانج سون) وصار من المعتاد أن يلقى الواحد منا فتيات يرددن شعر حرب العصابات وهن يجمعن الحطب أو يدرسن الأرز وكانت تعليمات البدء فى الحرب الفدائية تعنى الواجب الأساسى للجيش خلال هذه الفترة وقد حددت واجبات الميليشيات والفدائيين على الوجه المبين فيما يلى:

أولا: ما نسميه مضايقة الشعلة الضوئية، أى قطعة من الحديد الصلب تشبه اللغم وما يشبه دورة القفل، وبعض مصائب الغافلين على الطريق التى يستخدمها العدو، وقنبلة يدوية مع لغم أرضى يقتل عددا من جنود الحملة، وهذه عملية يمكن أن تستعمل مجمّعة بتوسّع فى عمليات منعزلة وبواسطة بندقية واحدة أو بعض الإطلاقات.

ثانيا: تدمير الطريق أو قطع الكوابل وخطوط الهواتف فى المواقع الهامة جدا وهذا بالضرورة ينقص قوة حملتهم ويجعل نشاط جنود أكثر فعالية وهذه العمليات التخريبية يجب اعتبارها أنشطة عسكرية.

ثالثا: القضاء على الجواسيس ومنع التجسس.

رابعا: محاولة عزل الأجزاء الصغيرة من قوات العدو ومقاتلتها بواسطة جنودنا.

ويجب ملاحظة أن المبادئ التوجيهية لنشاطاتنا الفدائية هى أنشطة سرية مع السرعة وتفادى الخطر واتباع القاعدة التى تقول كلما قاتلنا كلما ازددنا قوة، وهذا بالضبط ما قام به جيشنا وشعبنا فى جنوب فيتنام معطلين بذلك أكثر من نصف الحمة الفرنسية فى حوالى خمسمائة موقع عسكرى تقريبا مع الاستمرار فى الكفاح على مختلف المستويات وهذا كذلك ما قام ويقوم به جيشنا وشعبنا داخل المدن والمناطق التى يحتلها العدو خلال السنة الفائتة، وإذا ما أصبحت هذه العمليات عامة فإنها سوف تستهلك جهود قوات الحملة الفرنسية وتحوّل فيتنام إلى هاوية بلا قعر للقوات

الفرنسية، ولقد كان من اللازم إبقاء الشعب متحفزا مع تطوير الحرب الفدائية عبر كل الوطن، ولقد كلفت الوحدات المستقلة ووحدات الدعاية العسكرية بالمهمات الكبيرة التالية:

١- تعبئة الجماهير وحمايتهم، وكذلك مساعدتهم فى مواقع الإنتاج.

٢- تدمير إدارة الخونة والقضاء على الجواسيس وأن يحطموا العدو وينتصروا على قوات الغزاة والقضاء على منظمات العملاء أو على الأقل تحويلهم إلى عملاء مزدوجين وكذلك تعزيز القوة الشعبية أينما كان ذلك ممكنا.

٣- ولتعزيز المؤسسات السياسية والعسكرية خلال القيام بمختلف الأنشطة ولتنظيم المليشيات والفدائيين والقوات المحلية ولسحب الوحدات المستقلة ودعمها للقوات الأساسية كل ما كان ذلك ممكنا.

ولقد خضنا الحرب من خلف العدو وبالتالى تحولها إلى خطوط دفاعاتنا وهكذا نحن بذلك فى الواقع بدأنا هجوم الاستراتيجية الخاصة بالمواجهة فى كل موقع من البلاد والتى تركزت على كل قوات الحملة ومؤسسات عملائها.

(٤)

فى ربيع سنة ١٩٤٧ كانت الكثير من وجداتها العسكرية قد طردت من المواقع التى تحتلها القوات الفرنسية الواحدة بعد الأخرى بسبب أنها لم تتمكن من أن تجد لها مواقع أقدام آمنة، وكانت أحيانا تضطر إلى الانسحاب بسب نقص الغذاء والذخائر ولقد أمرت عدة وحدات بأن تعود مباشرة إلى مناطق عملياتها والواقع أنه كان من الصعب جدا أن تبقى طوابير طويلة من القوات دون أن تلاحظ من طرف الفرنسيين وبالتالى كان على هذه القوات مجبرة أن تقاتل فى ظروف غير مناسبة وكانت تلحق بها خسائر.

وبعد مرور سنة من ذلك الوقت وبالاعتماد على وحدات مستقلة والعديد من قواتنا أمكننا أن نعود إلى المناطق التى يحتلها العدو متحاشين حزام وحـــدات العـــدو وشبكات عملائه الكثيفة بيسر وفى خفاء على أننا لم نتمكن من الدخول بعمـــق فى مؤخرة العدو دون أن ننكشف، وحدث أن جميع مندوبينا فى المنطقة كـــان قـــد تم القضاء عليهم وبالتالى كان من الصعب وكثير من الوقت العمل على إنشاء قواعـــد عمليات جديدة، وكان على ضباطنا وجنودنا ليلة بعد ليلة عـــبر المعابـــد والقبـــور والكهوف والجداول أن يتسللوا إلى القرى متصلين بكل ساكن وكل عائلة لـــشرح الوضع، كما أهم أحيانا يظهرون بين الحشود فى الأسواق وبين المتجمعين فى حفـــل كنيسة أو معبد بوذى وتشجيع الناس على النهوض إلى النضال ضـــد العـــدو، وفى هكذا حالات يختفون قبل أن يصل العدو إلى تلك المواقع، ولقد استخدم رجالنا تلك الطرق التى نجحوا فيها قبل الغزو الكبير وهكذا خطوة بخطوة تمكنوا من إقامة مواقع حربية لهم وجمعوا من جديد المنظمات السرية المقاتلة وثبّتوا وضع أقدامهم ومن هنـــا فإن عناصر الحزب والفدائيين الذين كانوا قد طردوا من المناطق عادوا الآن من وراء الجيش إلى قراهم.

ومع نهاية سنة ١٩٤٨ باستثناء قوات القيادة العليا استعادت كـــل القـــوات الأخرى مواقعها، ولقد كان هدفنا فى مناطق الشمال دائما مناطق الجبال فى الشمال الغربى والجنوب الشرقى، وكان الشمال الغربى بشكل خاص منطقة استراتيجية هامة ليس فقط لقوات الفييت باك ولكن أيضا للهنـــد الـــصينية، وفى بدايـــة الإعـــداد والاستعداد للحملة العامة فكّرت فى إنشاء شعبتان عسكريتان، شعبة غربية تمتد من فييت باك إلى ين باى وهيو بينه، وشعبة شرقية مهمتها أن تطوق هانوى عبر(ثين دو فى باك بينه) وهذا فى حالة ما إذا قرر الفرنسيون بداية احتلال العاصمة، وخـــلال الأيام الأولى من المقاومة كنا قد أرسلنا وحدات عسكرية إلى جبهة الحرب الغربيـــة لتقاتل وتنشئ مواقع فى المنطقة الجبلية المحادية للاوس.

وبعد عودتى إلى فييت باك راجعت بتكرار خطة استراتيجيتنا الواسعة مع الجنرال تران تو بينه الذى كان وقتئذ عضو اللجنة العسكرية المركزية ومع عدد من الكوادر الرئيسية وتقرر أن تكون الخطوة الأولى تحرير منطقة الشمال الغربى أى منطقة هاو بينه وكذلك مساعدة شعب لاوس لتحرير شمال لاوس وهكذا تم تكوين الهيئة الربيعية التى يبدأ ويفتح منها تقدم الخطة الاستراتيجية بحيث تتقدم قواتنا الرئيسية عبر نهر ميكونج فى اتجاه نام بو.

أثناء البحث مع (بو كوانج تو وسوند هاو ولى ترونج تان) أدركنا أن الظروف ليست ناضجة بعد لإحضار قوات كبيرة إلى الشمال الغربى ذلك أن (لا تشكو) هى المكان الوحيد الذى لم تتكون فيه قوة الثورة بعد حيث إنه قد حدث أثناء ثورة أغسطس أن تمت السيطرة على سون لا من طرف الفرنسيين وبالتالى أنشأ الفرنسيون ما يسمى منطقة الحكم الذاتى ومنها أقاموا مناطق كبيرة وكثيفة معتمدين على السلطات المحلية من أجل مراقبة الأقليات العرقية عن قرب وكان علينا أن نتصرف ببطء وخطوة خطوة مع العمل على الاستعداد بكل دقة وكنت قد اقترحت اعتماد تجربة الألوية التى كانت قد أرسلت إلى الجنوب قبل التمرد العام،أرسلت مجموعات مسلحة مختارة كانت أغلبها من الفئات المقاتلة التى تعرف المنطقة جيدا أولا وذلك من أجل فتح الطريق، وقد تمكنوا من إنشاء قواعد عميقة فى كل منطقة وأمّنوا الاتصالات وبالتالى فتحوا الطريق للوحدات المستقلة التى كان مقررا لها أن تأتى خلفهم وكان على كل وحدة مقاتلة أن تتحرك مع وحدة محلية بحيث تخلق نشاطا شعبيا هناك وكانت الوحدات المحلية مترابطة مع الوحدات الأخرى بحيث تمثل ترابطا مناطقيا لا ينفصل، وبالتنسيق مع تلك الأنشطة تكون الفصائل المجمعة قادرة على القيام بعدد من الهجمات المؤثرة وتوسيع قواعدها.

وفى يوم ٢٠ يناير ١٩٤٨ بعد انتهاء اجتماع اللجنة المركزية قمت بالتوقيع على أمر يوكل لقوات المنطقة العاشرة التى تتكون من القطاع العاشر والرابع عشر

بمهام تنظيم مجموعات من القوات كطليعة حراسة فى المقاطعات الأربعة الشمالية الغربية ولتنشئ قواعد كموقع أقدام أمنية، وفى جبهة القتال الغربية للقتال وإقامة قواعد على المنطقة الجبلية المحادية للاوس.

فى ٢٠ يناير ١٩٤٨ بعد اجتماع اللجنة المركزية وقعّت الأوامر مكلفا اللواء الداخلى العاشر مع الرابع عشر بواجب تنظيم الكتائب المختارة بواجب تنظيم مجموعات العمل فى المقاطعات الأربع الغربية الشمالية ولتنشئ قواعد تضمن موضع أقدام بحيث تسمح بتوسع قاعدة الشمال الغربى ويتم فتح الطريق إلى لاوس وتعد لتقدم المستقبل، ولقد كان تقدم مقاتلونا هذه المرة فى غاية الصعوبة؛ حيث كان عليهم أن يغطوا مساحة مئات الكيلومترات من خلال غابات ومناطق محروسة جدا من طرف العدو، وهم يفتقدون لقواعد المساندة، لقد كانت أيام طويلة من الصعوبات تنتظرهم أخطار وأمراض وكنت قد تحدثت إليهم عن أهمية المكان فى الشمال الغربى بالنسبة لحربنا ومقاوتنا ولكل الثورة فى بلاذ الهند الصينية وعن ضرورة تحرير المواطنين فى منطقة الشمال الغربى من وضعهم التعيس تحت السيطرة الفرنسية ولقد ذكّرهم بالواجب الموكل إليهم من طرف الجد (هو) وما سيترتب عليه من تقدم ونجاح فى رفع العلم ذى الخطوط الصفراء والحمراء فوق أرض ديان بيان فو.

(٥)

بالنسبة للجيش الفرنسى ووضعه فى منطقة (باك بو) القتالية وهى الشمال الغربى – الشمال الشرقى وسلسلة المواقع العسكرية الممتدة على (لانج سو – كو بانج – باك كان) فهى تحت التهديد الدائم إضافة إلى الطريق السريع رقم ٥ هذه تمثل أهمية بالغة فى ساحة القتال.

إن كفاح الناس الشعبى قد شمل كل نواحى (نام بو) وقد تـدعم النـضال السياسى فى المدن؛ حيث نظم العمال الاعتصامات والطـلاب تركـوا مدارسـهم والتجار رفضوا فتح محلاتهم كما أن آلاف من المثقفين تمردوا ضـد الإدارة الخائنـة وسار كثيرون فى الشوارع مطالبين بمحاكمة (باو داى) وكانت القوة المـسلحة فى (نام بو) قد أعدت عملية تفتيش كاملة بحيث تقوم بتـدمير خطـوط الاتـصالات ونظّمت علميات تخريب وقامت ببناء قواعد للقتال فى القرى وأن الوحدات الـتى تفرقت كانت قد اندمجت مع الناس من أجل أن تشن هجمات فدائية تطورت إلى أن تنظم فى عدد من الفصائل القوية وقامت الكتيبة ٣٠٧ بتطويق مواقع العدو لتـدمر تعزيزاته الآتية من (ماك هو) ولقد كانت حرب المقاومة التى قام بها الشعب البطل الخلاّق فى (نام بو) صامدة خلال ثلاث سنوات تخللتها ظروف غاية فى الـصعوبة ضد حملة تفوقها فى القوة والتجهيزات عدة مرات.

***

الفصل السادس

الحرب الفدائية المتحركة واستراتيجية الهجوم ضد المواقع العسكرية

(١)

فى بداية حرب مقاومتنا الوطنية كان لدى الجيش الفيتنامى ٨٥,٠٠٠ ألف مجند تقريبا تم تنظيمهم فى كتائب وفصائل تدعمها مجموعات من الناس المحليين وكانوا يفتقرون كثيرا للمعدات ولم يكونوا قد درّبوا على القتال، ومبكرا كنا نرى أننا يمكن أن نستعمل هذه القوة إذا ما بدأت الحرب على الرغم من أنهم لو استعرضوا للقتال فإنه من السهل اكتساحهم وكانت اللجنة المركزية قد أمرت بالمقاومة الوطنية منذ يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٤٦ وطلبت إلينا اتباع الطريقة التاكتيكية فى توجيه قواتنا الرئيسية وتحديدا وجوب الاستخدام المباشر للحرب الفدائية المتحركة.

لقدكانت الحركة بالنسبة لنا هى الطريقة الوحيدة لنتجنب الحالتين، الاستسلام أو هجوم كاسح من طرف العدو يريد تدمير جيشنا الصغير، أما التحرك فيسمح لنا استعادة المبادرة بحيث نختار معاركنا بالقفزة المعّدة سابقا فى هجوم مفاجئ وضرب العدو حيث يكون دفاعه ضعيف وانتباهه ضئيل، وهذا ما مكّن جيشا ضعيفا من أن يقاتل بكفاءة هجوم أقوى منه كثيرا وفى نفس الوقت يحافظ على قدرته تبعا للمبدأ التوجيهى القائل (كلما قاتل أى جيش كثيرا كلما ازداد قوة) والحركة تعنى أحيانا فقط تحوّل القوات إلى المكان الذى يمكن إخفاءه بسهولة أو إلى المكان الذى يتوفر

فيه الغذاء لتستريح فيه القوات أو تتدرب فى ظرف آمن نسبيا، وفى هذه الظـــروف التحرك يعنى فقط تحويل القوات ليس بالضرورة لتنفيذ خطة تاكتيكية.

إن نموذج الحرب الفدائية الأساسى التى يقوم بها الشعب عمادهـــا وحـــدات مسلحة صغيرة تتمسك بمنطقة محلية وهى تظهر وتختفى فى نفس المنطقة ذاتها بينمـــا القتال بالقوات الأساسية يكون على العكس، وهو يتميّز بالحركة الدائمة والهجـــوم المفاجئ، وهاتين القوتين لابد أن تتعاونا عن قرب خصوصا عندما ننـــشر قواتنـــا فى شكل وحدات مستقلة فيكون العدو قد واجه شكل جديد من القتال لم يعرفه مـــن قبل وربما لم يقرأ عنه فى كتب الأكاديميات وهى حرب بدون خط مواجهـــة وبـــلا هدف مستخدمة هجمات من اتجاهات يعتقد العدو أنها هادئة تماما.

خلال الأشهر الأولى من الحرب فى مختلف مناطق البلاد كانت قواتنا وجنودنا غير معتادة على أسلوب حالة الحرب الفدائية المتحركة، وكانت جبهات القتال قـــد اخترقت فى بعض المواقع، ومع الخبرة المكتسبة تحسّنت الحالة ونفّذ الجنود أســـلوب الحرب بنتائج جيدة من خلال القيام بهجمات خاطفة محدثين خسائر بقوات العـــدو التى جاءت لنجدة جبهة (نام دينه) المحاصرة وفى هجمة مفاجئة على مدينة (هـــاى فونج) عندما قام العدو للتو بإرسال قوات للقيام بعملية خاطفة أجبرناه على سحب تلك القوات، وخلال هجمة الفرنسيين الخريفية على مناطق (فيت باك وفييت مينه) واجهت قواتنا تلك الحملة فى آداء عسكرى جيد حيث هاجمت أغلب المناطق الـــتى دخلها بفعالية.

فى ربيع سنة ١٩٤٨ قامت قواتنا بعمليات سريعة ومفاجئة على مختلف محـــاور المواصلات وحققت نتائج جيدة كما واجهت بكفاءة قوات الغزو فى أكثر من جبهة وموقع، وفى ٧ مارس ١٩٤٨ هاجمت قوات (بين هو) رتلا للعدو، وحدث أنـــه خلال السنوات الأولى من مقاومتنا أن حالة الحرب المتنقلة بواسطة (الفييت منـــه)

اشتملت على كثير من النماذج الفدائية فى الحرب تلك، وكنا قد بحثنا أمورا حــول طوبوغرافية التضاريس والهجوم نهارا أو ليلا ثم مقاتلة العدو من بعد أو مباشرة وكان هدفنا أن نقلل من تفوق العدو ما أمكن فى الأسلحة والمعدات الحربية وخصوصا قوة نيران مدفعيتهم ودباباتهم وطائراتهم حيث إن إنتصارات (الفييت منه) الرائعة كانت دائما فى الغابات والمناطق الجبلية وكانت قواتنا تخفيها الغابات بينما كانت تطــوق العدو فى مثل تلك التضاريس، وحيث إن قوة النيران الفرنسية لم تكن فاعلـــة، وفى القتال الليلى تكون قواتنا باستطاعتها القرب من العدو دون أن تكون تحت نظـــره، وفى القتال يدا بيد نحن يمكننا أن نعوّل على الروح القتالية لقواتنـــا ويكـــون مـــن الصعب على الفرنسيين استخدام قوة نيرانهم البعيدة، وقتال العدو ليلا فى الغابـــات والمناطق الجبلية فى قتال مباشر يدا بيد يكون فى صالح قواتنا، وأنا أود أن أتحدث هنا عن إعادة انتشار قوات كبيرة نسبيا التى تقاتل لمدة طويلة فى منـــاطق مفتوحـــة، إن استحسان هذا الوضع قد درس عبر سنوات مقاوتنا ضد الفرنسيين، إن هذا النـــوع قد حد من قدرة مقاتلينا ذلك أنه فى التضاريس المفتوحة يمكنهم فقط شن هجمـــات صغيرة مستخدمين تمويها بعناية فائقة فى هجوم مفاجئ وفى قتال سريع وانـــسحاب أسرع، واستمر الحال إلى أن قامت قوات الفييت منه بهجومها وحاصـــرت قاعـــدة (ديان ديان فو) التى أجابت على سؤال (ما الحكمة) من استمرار قتال القـــوات الكبيرة لعدة أيام قادمة [١٦] وكانت حرب الفدائيين المتحركة التى شـــنتها قـــوات الفيت منه تختلف تماما عن حرب الهجوم الكبير الذى يستخدم فى الحـــرب الحديثـــة

[١٦] – من المعروف تاريخيا أن قاعدة ديان ديان فو الفرنسية كانت تضم أغلب القوات الفرنسية الأرضية والجوية وغيرهـــا وكانت من وجهة النظر العسكرية قاعدة حصينة لا يمكن اقتحامها ولكنها قوات الفييت منـــه اقتحمتـــها وبالتـــالى هزمت الفرنسيين ويقال أن الفييت منه حفروا أنفاقا طويلة من خارج تلك القاعدة دون أن يفطن لهـــم الحـــراس فى القاعدة إلى أن ظهروا من تحت الأرض فى وسطها وفاجأوا الفرنسيين بذلك العمل العسكرى الذى ربما لا سابق لـــه وقبل اقتحام تلك القاعدة كان الجنود الفيتناميون ينقلون المدفعية قطعا إلى قمم الجبال ثم يركبونها ليقصفوا من هناك أى وجود فرنسى — المترجم

وباستخدام قوات كبيرة تأتى من مكان بعيد متقدمة فى عمق مناطق العدو لتطوّق وتدمر أكبر عدد من إمكانيات العدو الذى يكون متحركا أو متجمعا فى مكان دفاعى، عندما دخلنا سنة ١٩٤٩ وكان واجبنا أن ننقل الحرب إلى مرحلة جديدة فإن الاختلاف بين أسلوب القتال ومتطلبات حرب الميليشيا والفدائيين وأولئك الذين يمثّلون القوة الرئيسية صارت أوضح، وصار مبدأنا الرئيسى الحرب الفدائية.

(٢)

إذا كانت الحرب الشعبية التى شنها الفيتناميون لها خواصها، فإن حرب الغزوة الاستعمارية الفرنسية كانت أبعد كثيرا من العادية، وبعد فشل ما يسمى النزهة العسكرية التى قام بها الجنرال (ليكليرك) والناتجة عن تطورات حالة الحرب الفدائية فى (نام بو) فإن قوات الحملة الفرنسية كان عليها أن تلجأ إلى الأسلوب التقليدى الذى يتبّعه جيش غازى ذلك هو الاحتلال والتهدئة، واحتلال الأرض بدأ بالدبابات والمدفعية من أجل فتح الطريق للعملية بالطائرات والقوارب المسلحة التى تساند تقدم وحدات المشاة، ومن ثم سوف تنسحب قوة الهجوم تاركة عدد صغير من القوات وضباط من الرتب الصغيرة بحيث تقوم بانشاء نقاط عسكرية وتباشر الإدارة العسكرية، وهكذا أعادوا السلطات المحلية التى كانت قائمة أثناء فترة الاحتلال السابقة ونظّموا المحاربين للقضاء على قوة المقاومة وضمان أمن المنطقة التى احتلوها حديثا.

وكانت تلك النقاط العسكرية قد ظهرت فى بلادنا منذ الغزو الأول الذى قاده (ليسوتاى وقاليانى) معتمدين على النقاط العسكرية محدثين تهدئة بالاعتماد على طريقة تعرف باسم (الزيت المسكوب) ولقد خطط هذا الأسلوب فى العمليات الجديدة على أساس مستوى معدات وأسلوب قدرات جيش (الفيت منه) فى كل

منطقة متصوّرة ففى (نام بو) عند البداية استعمل الفرنسيون بيوت الحجارة الصلبة لحاميتهم حيث قام الجنرال (دى لاتور) الذى خلف الجنرال (نيو) كقائد للجيوش الفرنسية فى (نام بو) أقام أبراج مراقبة كان ارتفاعها بين خمسة وستة أمتار طولا مقامة من الحجر والخيزران والخشب أو مواد محلية أخرى ووضع بها حاميات تتكون من نصف وحدة أو وحدة كاملة يقودها ضابط فرنسى أو أقل من ضابط، وبسبب هذه الشبكة من الأبراج الكثيفة تمكن الفرنسيون من مراقبة مناطق منبسطة واسعة ملاحظين نشاط الفييت مينه وقادرين على الدفاع عن عبور قوافلهم التى تبحث عن كوادر الفييت مينه كما أقاموا شبكة من الجواسيس والمبلغّين.

وبعد الهجوم ضد (فييت باك) ازدادت نقاط المراقبة العسكرية الصغيرة بسرعة من ٦٨ فى بداية ١٩٤٨ إلى ٧٩ وخلال منتصف السنة بوجود قوات الاحتلال التى ازدادت من ٢,٥٠٠ إلى ٩,٩٠٠ فى منطقتى الشمال الغربى والشمال الشرقى وكانت مائة نقطة قوية قد أنشئت فى المنطقة الداخلية كما أن هناك ٥٣ موقع جديد يستخدم للحاميات التى تضاعف عددها من ١٢,٠٠٠ ألف جندى مدجج بالسلاح إلى ٢٥,٠٠٠ ألف وبعد أن قاموا بتوسيع مناطق احتلالهم فى (باك بو) تحوّلوا إلى أسلوب تشديد القبضة والنفط المسكوب، وفى مؤتمر موّسع للجنة المركزية الذى انعقد فى يناير ١٩٤٨ اتخذ قرار إزالة نقاط مراقبة العدو المعزولة وإجباره على تضييق مناطقه مع الاستمرار فى العمليات الخاطفة وكان من الضرورى تدمير النقاط العسكرية وذلك من أجل زعزعة استقرار وتهدئة قوات الحملة الفرنسية وبرنامج محاولة احتلال فييتنام، وكانت السياسة الجديدة قد أمنّت لقوات الفييت مينه أن تستعيد المناطق المحتلة والمواقع الاستراتيجية، وفى الجانب الآخر فإن نظام النقاط العسكرية الفرنسية وخصوصا تلك الواقعة فى مناطق الجبال قد أظهرت ضعفا جديدا؛ إذ إن هذه النقاط العسكرية الصغيرة يدافع عنها عدد صغير من الجنود بقوة نيران محدودة وهؤلاء كانوا مستقرّين فى مواقع ثابتة هى فى

الواقع معزولة بالكامل، وفى الليل فإن الفييت مينه يمكنهم تركيز قواتهم للقيام بهجوم معد سلفا لتدمير العدو فى ليلة واحدة، وبحيث ينسحبوا قبل شروق الشمس بـــدون حاجة لمواجهة طائرات العدو وعرباته المسلحة أو قواته المتحركة، وزيادة على ذلك فإن كل نقطة مراقبة صغيرة كانت تمثل مخزن أسلحة وذخيرة وتلك الإطلاقات التى كانت قوات الفييت مينه فى أشد الحاجة اليه.

ومن أجل إفشال استراتيجية العدو القائمة على النقاط العسكرية كان علينا أن نذهب إلى أبعاد غير معتادة بحيث نحقق النصر فى الحرب خلال هذه المرحلة، إضـــافة إلى القيام بهجمات مفاجئة ومتحركة وقد ركزنا على تدمير معاقله القوية الـــصغيرة، ولإحباط استراتيجيتهم نفتح مرحلة جديدة من حرب المقاومة وهـــذه أيـــضا تمثـــل ضرورة للتدرب من أجل تعزيز قدرات قواتنا لمقاتلة الفرنـــسيين عنـــدما يكونـــوا متحصنين فى مواقعهم، وكلما كان الفرنسيون متمسكون بوضعهم الدفاعى كلمـــا كانوا مجبرين على مضاعفة قواتهم فى تلك التحصينات، وتكون الزيادة غالبـــا مـــن صغيرة إلى كبيرة إلى أكبر وفى النهاية تصل إلى معسكر متحصّن كامل، ولقد كـــان الواجب المطلوب فى هزيمة مواقع العدو الحصينة مناطا بقوات القيادة العليا.

(٣)

فى سنة ١٩٤٧ عندما كانت هجمات الفيت باك مستمرة صارت القيادة العليا تدرس كيفية مهاجمة النقاط العسكرية الفرنسية ولم يكن من السهل علـــى قـــوات الفييت مينه أن تقوم بذلك؛ إذ لم يكن لنا خبرة فى مقاتلة العدو عندما يكون متحصنا فى مواقعه أو مهاجمة القلاع وكان الضعف لدينا متمثلا فى قلّة الذخائر، وبعد ســـنة من القتال استولينا على عدد من الأسلحة وبعض المعدات الفرنسية ولكـــن هـــذه المكاسب لم تكن كافية لقواتنا المتنامية، ولقد كانت قوات المنـــاطق الداخليـــة هـــى الأفضل تسلحا فى الجيش ومع ذلك مازال هناك ٥٢ من كل وحدة لديهم البنـــادق

وكانت الكتائب الأساسية من قوات القيادة العليا لديها أقل من ٤٢، منها ما قد زوّد ببنادق وكنا لا نملك بنادق كافية، ولدينا عدد قليل من الرشاشات وخصوصا تلك الرشاشات الخفيفة اللازمة للهجوم وليس لدينا متفجرات على الإطلاق لقطع الأسلاك الشائكة، وبينما كنا نبحث هذا الأمر تقدم مقاتل فيتنامى جديد وهو كان ضابط استخبارات يابانى قديم ونحن بحالة مستوى تجهيز قواتنا الحالى قائلا: إننا يجب أن نستخدم الهجمات المفاجئة وفى طريقة هذا الأسلوب الذى يتكون من فصائل مجهزة بأسلحة خفيفة تتسلل داخل معسكرات العدو للقضاء على الموجودين فى معركة يد بيد، وكنا قد اكتسبنا خبرة فى الهجمات المفاجئة خلال معارك (فاى كاين ونا نقيان) قبل أغسطس سنة ١٩٤٥ فى التمرد العام، وكانت هذه الطريقة قد تناسبت مع مستوى تسليحنا ومع ذكاء وشجاعة جنودنا، مع ذلك، فإننا أيضا احتجنا إلى أن نأخذ بالحسبان حالات عندما لايكون فيها العمل المفاجئ صالحا بينما يكون العدو يقظا وفى مواقع محصنة ولهذا فقد أصدرت تعليماتى قائلا: إنه مع أهمية دراسة الهجمات المفاجئة فإننا كذلك يجب أن ندرس أسلوب الطريقة الأخرى أى تحديدا، الهجوم الشامل الذى سوف يفتح طريقا داخل موقع العدو بقوة النيران التى يجب أن تستتبع بهجمات المشاة الذين يقضون على قوات الحامية، وعلى أى حال، فإننا لا نتمتع بخبرة هذا النوع من القتال وضعفنا يتمثل فى ضعف قوة نيراننا.

فى ربيع وصيف سنة ١٩٤٨ كُلفت الكتيبة ٤٥ من القيادة العليا بواجب الهجوم على المعاقل الصغيرة فى نظام الدفاع الفرنسى بالجبال رغبة فى اكتساب الخبرة، وكانت هجوماتنا على (تو فو) فى ١٨ مارس ١٩٤٨ وعلى (تشونج) فى ١٠ يونيو ١٩٤٨ لم تكن ناجحة؛ ذلك أن مقاتلة العدو وهو فى تحصيناته تختلف كثيرا عن مهاجمته فى المناطق المفتوحة كما أن القوات الفرنسية كانت لها خبرة كبيرة فى تنظيم التحصينات ووضع قوة النيران.

فى صيف سنة ١٩٤٨ كانت الهجمات الخاطفة المفاجئة ناجحة جدا فى مواقع مختلفة، وحدث أن تدمير معقل (كام لى) فى منطقة (باك ڤيانق) كان جزءا من قتال تقليدى؛ ذلك أن وحدة متخفية فى لباس نساء تنقل حجارة داخل معسكر هاجمت بشكل مفاجئ جنود العدة ولقد تم قتل فصيل فرنسى كامل فى ذلك المعقل وتم الاستيلاء على كل أسلحتهم ومعداتهم الحربية وانسحب جنودنا بسلام بعد القيام بعدة هجمات، وعلى ضوء ذلك فإن جميع معاقل العدو قد تم تعزيزها وزيادة يقظها كما قوّيت دفاعاتها مما جعل أى هجوم مستقبلى صعبا، وقد قررنا أن نختار بعض الفصائل التى ساهمت فى معركة (فييت باك) من أجل تدمير معاقل صغيرة مستعملة خليط من الهجوم المفاجئ والهجوم الهائل وكان مكتب هيئة الأركان العامة يشرف على تنفيذ هذا الإجراء وهذه الفصائل المختارة لها قياداتها وقوة نيرانها ومعداتها التى تم تجريبها قبل العمل.

وفى بداية صيف سنة ١٩٤٨ وجد أن هناك على ربوة قرب (فو منه) عند تقاطع فى مركز (داى تو) وفى وسط قاعدة المنطقة معقلا مموّه بمخابئ مدفعية وقد أمر الرفيق (فا يين) قائد الكتيبة الثانية بتدمير هذا المعقل الذى كانت تدافع عنه كتيبة فرنسية من الفيلق الأجنبى وقام هذا الرفيق بعدة استطلاعات للمكان مع نائبه وبالتالى قام ببناء معقل مشابه تماما للمعقل الفرنسى ذاك وكان هذا العمل يقام لأول مرة المشابه للمعقل الفرنسى لتدريب الجنود عليه قبل القيام بالهجوم الحقيقى على المعقل الفرنسى وتدميره، وكان هذا النموذج قد اتبع فيما بعد وبشكل واسع من جانب كل الوحدات العسكرية.

صارت قوات الفييت مينه تحفر الخنادق وتنظّم مواقع المدفعية وتموّه أماكنها وبالتالى عرفت هذه القوات مواقع العدو العسكرية الضعيف منها والقوى، وبعد إقامة تلك المواقع انقسم الضباط وجنودهم إلى قسمين يحملان لونين مختلفين يتقابلان

فى شكل هجوم بينهم وبين العدو ليتعلما الصعوبات التى يمكن أن تواجههما ومـــاذا يمكن أن يعملا فى تلك المواجهة وهذا تدريب مفيد جدا.

لقد كانت الأسلحة والذخائر هى المشكلة الصعبة دائما على الـــرغم مـــن أن هيئة الأركان كانت تأمر بتوفير الأسلحة للفصائل التى ستقوم بمهاجمة المعاقل القويـــة ولابد أن يكون لكل فصيل بين اثنين أو ثلاثة رشاشات، ولم تكن هناك أعداد كافية من الرشاشات لكل قادة الوحدات وكان نصف القوات مزوّدا فقط بالرماح للقتال يدا بيد ولم تكن لدينا ذخائر كافية لنواجه قوة نيران العدو فى وقت الهجوم، ومـــن أجل التغلب على هذه المشكلة، أقترح على الجنود أن يزحفوا إلى قـــرب المخـــابئ ويقذفوا القنابل اليدوية على الحواجز، وبسبب عدم توفر المتفجرات لتدمير الأسيجة أقترح أننا يجب أن نعمل سلالم خيزران مثنيّة ونغطيها بما يشبه السياج مـــن الخلـــف وهذه يمكن أن ترمى فوق الأسيجة بحيث تمكن جنودنا من القفز فوقها والدخول إلى معسكرات العدو، وكانت هذه السلالم قد استعملت فيما بعد فى هجمـــات ضـــد مواقع العدو القوية حيثما استعملوا أسيجة حديدية وأسلاك شائكة وحقول ألغام.

فى النصف الثانى من شهر يوليو عرضت الكتيبة ١١ على كل مقاتل أن يربط خيط أحمر حول وسطه لكى يظهر تصميمه على أنه لن ينسحب فى مواجهـــة أيـــة مشكلة حتى يستولى على معسكر الخصم، وكانت القيادة العليا قد أرسلت المدفعية ٧٥ ميلليمتر من المنطقة العاشرة لمساندة هذه الكتيبة وكانت هذه المدفعية هى الـــتى أغرقت قوارب العدو فى نهر (لو) وبعد عدة قذائف من أجل إخافـــة الفرنـــسيين أصابت رشاشاتنا وبنادقنا بدقة مرابض مدافعهم وخنادقهم مما أجبرهم على التراجـــع إلى المخابئ وإطلاق النيران دون تمييز وقام جنودنا مباشرة برمـــى ســـلالمهم فـــوق الأسيجة والقفز داخل معسكر الفرنسيين برماحهم وبرغم المواجهة العنيفـــة فـــإن مجموعة فى هجومين قد اخترقت المعاقل القوية وبعد ساعتين من القتال العنيف فـــإن ثلاثة أرباع المعسكر ومركز القيادة تم احتلالها ولكن قواتنا توقفت عند المخبأ الأخير

حيث استنفذت ذخائرها وقنابلها اليدوية وبالتالى لم يكن ممكنا أن تتقدم بواسطة الرماح فقط فى وسط رماية الرشاشات ومع ملامح الفجر أمر قائد الكتيبة (فا يين) جنوده بالإنسحاب.

معركة (فو ثونج) كانت من مهام جنود الفييت مينه من يوليو إلى سبتمبر فى عمليات كمائن وهجمات مفاجئة مع المضايقة والقنص وعلى ضوء ذلك كان موقع (تو ثونج) قد عزل لمدة ثلاثة أيام متتالية وهوجم خلال الليلتين التاليتين ولم تتمكن القوات الفرنسية فى (كاو بانج) من القيام بنجدته إلا فى ٢٨ يوليو، وأذكر أننى مؤخرا قرأت كتابا فرنسيا نشر سنة ١٩٩٢ شرح فيه مؤلفه معركة (تو ثونج) بالتفصيل وقال: إن موقع (تو ثونج) دافعت عنه الكتيبة القوية ١٠٢ الثانية وهى من الفيلق الأجنبى الثالث، وفى الساعة التاسعة عشر والدقيقة ثلاثون فوجئ بهجوم كبير بواسطة مدافع المورتر والرشاشات الثقيلة الشيء الذى أعجز المدافعين وكانت الأسيجة والمخابئ الواقعة فى الجانب الغربى قد أخرقت وأن ترتيب الدفاعات انهار خلال الساعة الأولى وقد قتل قائد الموقع ونائبه وضباطه وكان صراخ أصوات الجنود الفيتناميين قد سيطر على المواقع (١-٢-٣) ولم يبق إلا الموقع الرابع يقاتل بشراسة بينما نصف عدد القوات قد فشل والخسائر (١٤ قتلى و ٣٣ جريحا) وكانت قوة الفيت مينه كما ذكر المؤلف تتكون من الفصيلين الخامس والسادس أى ٣,٠٠٠ مقاتل – الحقيقة أن قوات الفييت مينه لم يتجاوز عددها ٤٠٠ رجل، لم تكن المعركة ناجحة بالكامل لكنها أعطتنا تجربة عظيمة وثقة جديدة ولو كانت استعداداتنا كاملة لكانت الموقعة قد دمرت، ولابد من الملاحظة مع ذلك، أنه فى معركة تجريبية كان يجب علينا أن نختار هدفا مناسبا لقدرات جنودنا، وعلى أى حال فإن الكتيبة ١١ قد منحت لقب (بطلة معركة فو ثونج) وصار ذلك من تقاليد قواتنا فى الهجوم على معاقل الفرنسيين وصارت تلك الكتيبة شهيرة فيما بعد فى مهاجمة المعاقل القوية.

(٣)

فى بداية سنة ١٩٤٨ اعتقدنا أن الفرنسيين ربما يقومون بهجمة ضد (فييت باك) أو (ثانه هو) بعد أن طلب الجنرال سالان بلغة فظّة تعزيزات من أجل هجوم جديد ضد (فييت باك) لكنه استبدل فى شهر مايو بالجنرال بلازوت وهو جنرال بأربعة نجوم، وبنقل عدد من الكتائب من (نام بو) استعادت قوات الحملة الفرنسية ما كانت عليه خلال شتاء سنة ١٩٤٧ وقد جاءت التعزيزات الفرنسية بعدد قليل وقدّرت القيادة العليا أن فرنسا من غير المحتمل أن تشن حملة استراتيجية ضد قاعدتنا الكبرى خلال الفصل القادم، ولكنه كان من المحتمل أن هجوما قد يوجّه ضد المناطق الوسطى ولمواجهة تلك الحالة فإن القيادة العليا قررت اعتبار المناطق الوسطى ساحة حرب (ساحة الحرب الثالثة) بقيادة (هيونج فان ثاى) وحدث أنه خلال الربيع والصيف أن كانت أنشطة الفرنسيين فى شمال فيتنام أقل ما يمكن، ولقد توسّع العدو فى مناطق الاحتلال فى الشمال الغربى مسيطرا على عدة مناطق منبسطة ومن شهر أبريل إلى شهر يونيو نظموا عمليتى مسح، وأثناء ذلك الوقت قمنا نحن بتقوية أنشطتنا على طول خطوط المواصلات، وخلال الشهور الأربعة من تلك السنة شهدت مناطق الطريق الرابع معارك دامية وقد نجحنا بين وقت وآخر فى تدمير مئات من شاحنات العدو، ومن شهر مايو إلى سبتمبر قاتل الفييت مينه فى مناطق عديدة ودمروا قطارات وقوافل العدو وقاموا بهجمات خاطفة وكثيرا ما قطعوا رحلات قطارات السكك الحديدية والنقل الأرضي.

قاعدة منطقة (فييت باك) والمقاطعات المحيطة بها استمرت هادئة نسبيا وقد استفادت قواتنا من هذا الهدوء للتدرب، وبعد ذلك قررنا أن نأخذ المبادرة بداية من الخريف فنقوم بهجمات ضد مناطق رئيسية واقعة خلف العدو، مستخدمين القوة الرئيسية فى كتيبة القيادة العليا وقوات المنطقة، وفى هذه الفترة بينما نقوم بهجمات على مستوى صغير فى معارك متنقلة بجانب الكمائن وهجمات مفاجئة بدأنا ندرب

قواتنا على كيف يمكن القيام بمعارك متنقلة على مستوى واسع على خلاف حملات المعارك الحديثة التى تستخدم وحدات بحجم الفيالق العسكرية، ولهذا نظمنا حملات صغيرة تشتمل على فصائل أو كتائب تستهدف المواقع الفرنسية العسكرية والسياسية والاقتصادية ولقد كانت هذه الحملات لتدريب الضباط والجنود والناس فى العمل الاستخبارى والمعلوماتى وإعداد ساحات القتال وكيفية تحريك القوات وتنسيق العمليات والعناية بالجرحى وتوفير الغذاء والذخائر، وهذه العمليات تزعج مؤخرة العدو وتفسد مشاريعه وتقوم ببناء جيش الدمى وتقوّض اقتصادهم.

فى هذا الخريف كان لدينا اتجاهان لنختار، فالعدو وزع قواته بتوسّع فى الشمال الغربى والشمال الشرقى وهذا أظهر ضعفه، ومنطقة الجبال ممتازة لتدريب وحدات القوة الرئيسية التابعة للقيادة العليا لأجل أول هجماتنا، وبعد دراسة متأنية حذرة قررنا أن نختار منطقة عميقة فى الشمال الغربى لنبدأ الحملة والفرنسيون سوف يفاجأون لأنهم دائما يعتبرونها منطقة آمنة.

انتقلت أنا إلى (تراى كو) من أجل أن أناقش كيفية تنفيذ قرار القيادة العليا مع قائد المنطقة الداخلية رقم ١ وكان الفرنسيون خلال شهر مارس الفائت قد حركوا قوة من ألف وخمسمائة جندى للقيام بعملية مسح فى عدد من المواقع وكانت قوات فدائيينا تقف بالمرصاد وبعد مناورة انسحبت تلك القوة، ومن فييت باك كان على قواتنا أن تعبر من خلال مناطق كثيفة من معاقل العدو القوية بحيث تستطيع أن تصل الشمال الشرقى ولقد اقترح قائد المنطقة الداخلية استعمال قوارب صغيرة لنقل الجنود خلال الليل عبر الممر المسيطر عليه ووعدت السلطات المحلية على تذليل كل الصعوبات لتنفيذ هذا الواجب ومن الواضح أن الناس فى الشمال الشرقى كانوا ينتظرون منذ وقت طويل عودة قواتنا، ولقد أظهرت عملية تمويل هذه القوات مشكلة كبيرة وهنا فى هذه المنطقة توجد أقليات عرقية، والأرض الزراعية نادرة ونقل المواد الغذائية متكرر ومنذ بداية الحرب كان الفرنسيون يمسحون هذه المنطقة

باستمرار مما يجعل نقص المواد الغذائية أكثر حدة، وكانت واحدة من حملات الفرنسيين لغرض تدمير ما يتوفر من مخزون المواد الغذائية وفى كثير من الأماكن لا يوجد غذاء، وإذا ما طالت الحملة فإن مشكلة وجود الغذاء للقوات ستكون متعذرة الحل ولقد وافقت منظمات الحزب ولجان المقاومة أن الفرنسيين سيتفاجأون إذا ما هوجمت المنطقة الشمالية الشرقية ووعدوا بحل مشكلة تموين القوات خلال الحملة.

اتجهت مجموعة من وحدات الإعداد ومجموعة من الكشافة تحت قيادة الفوج ٣٠٨ وقوة أساسية من القيادة العليا اتجهت إلى الشمال الشرقى لتجهيز القواعد الشعبية وأن تتزود بالمعلومات عن وضع العدِو، ونظرا لنقص المواد الغذائية فإن الوحدات التى تعبئت للحملة تضمنت ثلاث كتائب فقط، كتيبتان أساسيتان من القيادة العليا وكتيبة واحدة أساسية من المنطقة الداخلية الأولى وكان على الفوج الموجود فى هيونج كوانج والذى قسّم على وحدات صغيرة أن ينسّق فى القتال مع هذه الكتائب، وكانت طريقة أسلوب قتالهم تتمثل فى الهجوم على المواقع والكمائن على مواصلات الطرق، وكان واجب تدمير المعاقل القوية قد أوكل للقوة الأساسية من كتيبة القيادة العليا ومع ذلك تقرر أن نزيد من نشاطنا على الطرق السريعة ٥-٦ اثناء الغروب وفى نفس الوقت سوف نقوم بهجوم صغير فى الشمال الغربى لنضلل العدو، وفيما بعد كتب مؤرخ فرنسى قائلا: إنه فى خريف سنة ١٩٤٨ أن قوات الفيت منه شنّت سلسلة عمليات فدائية فى كل منطقة (باك بو) وباستمرارهاِ سرعان ما تحولت إلى حملة هجوم حقيقى.

(٥)

فى منتصف الصيف انتقل قائد الجبهة بناء على أوامر القيادة العليا إلى أعلى (تام دو) وهى سلسلة جبال عالية تفصل (فييت باك) عن المنطقة الأوسطية،

وكانت القوات الرئيسية فى القيادة العليا تتدرب فى جانبى جبال (تام دو) بينما المدرسة العسكرية تعمل فى المدينة المدمرة بالكامل وهى (تام دو) وكنت قد زرت القوات التى تتدرب على مهاجمة المعاقل القوية فى المنطقة ذات المرتفعات من (لاب ثوك) وقد صدمت فى مواقعها بسبب ضعف معدات قواتنا وكانت كثير من قوات الهجوم مسلحة فقط بالرماح على الرغم من أن كل الضباط والجنود كانوا فى معنويات عالية ولم تكن هناك شكاوى عن الخطر أو الصعوبات التى تنتظرهم بل على العكس فقد كانوا فخورين بالواجب المكلفين به وكانت كل الوحدات تتمنى أن تختار مثل الوحدة التى ستقوم بالهجوم القادم.

ولأول مرة قامت قواتنا الرئيسية بالهجوم عميقا داخل مؤخرة العدو وكان بودى أن أذهب مع تلك القوات ولكن الجد (هو) واللجنة الدائمة قالوا لا يجب إذ ربما يكون هناك تطور تعقيدات عسكرية خلال الفصل الجاف القادم، وفى ٢ سبتمبر ١٩٤٨ وبناء على تعليمات الجد (هو) تم تنظيم استعراض عسكرى فى مراكز (دو مى – لاب توك) للاحتفال بالعيد الوطنى ولتشجيع الناس من أجل المشاركة فى حرب المقاومة كذلك كنا نريد لفت انتباه العدو إلى ذلك الاتجاه ولقد تقاطر السكان فى المناطق المحادية إلى أماكن الاحتفالات بأعداد كبيرة، وقد جرى العرض العسكرى فى منطقة منبسطة واسعة وكانت أعلام المنصّة والشعارات التى رفعت قد أعدت بعناية فائقة، وفى تلك الليلة الخريفية القمرية غادرت كتائب القيادة العليا بهدوء منطقة (لاب توك) الى (باك قيونق) وهنا استعملت القوارب بحيث تتسلل داخل حزام نقاط الجيش الفرنسى ولتخترق مؤخرة العدو فى الشمال الشرقى.

(٦)

وفى ليلة ٩ أكتوبر بدأت حملة الشمال الشرقى وبالتوازى قامت كتائب القيادة العليا الاثنتان بالهجوم على موقعين للعدو قرب الطريق السريع الثالث عشر وكانت

كتيبة منطقة (لونج فا) معززة بكتيبة هجومية هاجمتا موقع تدافع عنه قوات فرنسية وهاجمت كتائب أخرى من قواتنا معاقل حصينة فى نفس المنطقة واستمرت هذه الهجومات طيلة الليل، كانت القوات الفرنسية بعضها فوق المرتفعات والأخرى عند قاعدة تلك المرتفعات وهكذا كان على قواتنا أن تستخدم السلالم لكى تصعد فوق أسيجة المرتفعات وتدمر حامية العدو ولكن عندما تقدمت قواتنا التى تمثل رأس الصدمة فوق المرتفعات أوقفت بسبب هجوم عنيف مضاد بنيران الرشاشات وأعادت الحالة ما كان قد حدث فى (بو تونج) بعد أن تم تدمير ثلاثة رشاشات ثقيلة وعربتان مدرعتان ومخزن ذخائر ومخازن أغذية وهنا صار من الضرورى لقواتنا أن تنسحب بعد أن تكبدت بعض الخسائر مع حلول الفجر.

ولقد كان قتال (دونج ديونج) نصرا مدوّيا وكانت القوات المتواجدة فى الموقع قد تم القضاء عليها بالكامل خلال نصف ساعة وتم القبض على عدد من أسرى الحرب وثلاثة رشاشات ثقيلة وثلاثون بندقية وكانت الأنشطة الأخرى لقواتنا قد أصبحت محدودة بسبب نقص المواد الغذائية، ولقد انتهت حملة الشمال الغربى فى ٢٦ ديسمبر ١٩٤٨ بنتائج عظيمة؛ إذ إن الفرنسيين اعتبروا منطقة الشمال الغربى تمثل مؤخرتهم الآمنة وكان عليهم فى هذه الحالة أن يخلوا سبعة مواقع من خط دفاعاتهم فى المنطقة ومن جانبنا فإن مساحة قاعدتنا قد توّسعت وقد استسلم لنا مئات من المحاربين كما أن الإدارة العميلة فى مستوى الكومونة كانت تستسلم.

نحن كنا فى أشد الحاجة إلى بنادق البايونيتيد – بنادق الطعن لجنودنا كى يستعملوها عندما يقتحموا معسكرات العدو فى حالة عدم وجود رشاشات لديهم ولقد اختفت الرماح من لدى جنودنا فقط سنة ١٩٥١ عندما توفرت لكل جندى مهاجم بندقية، وعلى أى حال، فإنه أثناء العديد من المعارك القتالية أثناء الخريف والشتاء سنة ١٩٤٨ فقد كان واضحا أنه حتى بمعدات القتال المحدودة لم تكن قوات الفييت منه قادرة على تدمير قوافل العدو وإنما كانت قادرة على تدمير المعاقل

الحصينة التى كانت محروسة بقوات فى مستوى الكتائب من قوات العدو، وبـــذلك كانت تقضى على أسلوب العدو فى ترتيب المعاقل الصغيرة المحروسة بقوات قتاليـــة صغيرة وصارت هذه العمليات بشكل أوضح خلال ربيع سنة ١٩٤٩ إثر سلـــسلة من العمليات فى منطقة (هُو ثو) وبعد شهر من الحملة على منطقة الشمال الشرقى بدأ الفرنسيون يردون، ففى أول نوفمبر استعمل الفرنـــسيون القـــوات البحريـــة والطيران لمهاجمة منطقة الساحل فى (ثانه هـــو) وفى ٧ أكتـــوبر ١٩٤٨ تم إزالـــة مظليين فرنسيين فى منطقة (فييت ترى) وفى اليوم التالى أنزلت البـــوارج الحربيـــة والزوارق المسلحة قوات فى (فييت ترى) ومن هناك انتقل الفرنسيون إلى المناطق المحادية إلى أعلى من (لا فو) وعلى الرغم من ذلك، فقد بقوا فى هذه المواقع فقـــط لعدة أيام قبل أن يعودوا إلى الأماكن التى بدأوا منها وكانت تلـــك هـــى الحملـــة الرئيسية من جانب الفرنسيين ضد المناطق المحررة أثناء الخريف والشتاء سنة ١٩٤٨ ولقد كان من الصعب معرفة ما يريد أن يحقق الجنرال الفرنسى بهذه العمليات.

لقد نتج عن حملة الشمال الشرقى شيء كبير من الخبرة، وقد أرسلت مجموعة من وحدات التهيئة فى المقدمة لفتح الطريق وتقدمت وحدة سرية متحركة فى وســـط مؤخرة العدو، وتم تعبئة عمّال مدنيين بأعداد كبيرة من أجل خدمة الحملة، وقامـــت القوات الرئيسية على الرغم من معداتها الضعيفة بتدمير معاقل الفرنسيين وصـــارت المبادرة بيد الفييت مينه خلال الخريف والشتاء سنة ١٩٤٨ لأول مرة منـــذ بدايـــة الحرب حيث سيطرت قوات الفييت مينه على منطقة الشمال الشرقى، وبـــرغم أن قواتنا ماتزال أضعف من تلك الفرنسية فى كثير من الساحات ولكن نحن باســـتخدام استراتيجية الحرب الشعبية نقلنا بثبات حرب المقاومة ضد الفرنـــسيين إلى مرحلـــة جديدة.

***

الفصل السابع

حرب المقاومة الوطنية والبناء الوطنى..

(١)

دولة فيتنام الديموقراطية الفتية بعد خمسة عشر شهرا من التوتر المنخفض واجهت محنة جديدة وهى انتشار الحرب فى كل مكان من البلاد، ونحن من حكومة ثورية مؤقتة الآن لدينا حكومة وطنية انتخبت بواسطة الاقتراع العام، ومبكرا من أول شهر مارس ١٩٤٦ كانت القوات الفرنسية قد انتقلت إلى شمال فيتنام بموجب اتفاق صينى فرنسى كنا نحن قد كوّنا حكومة تحالف موّسع للمقاومة من ضمنه العناصر الموالية (لتشان كاى تشيك) على غير انتخاب، وفى نهاية شهر يونيو انسحبت قوات تشان كاى تشيك من فيتنام تاركة فراغ فى الحكومة وفى المجلس الوطنى، وبعد أربعة أشهر، اجتمع المجلس الوطنى للموافقة على أول دستور لفيتنام الديموقراطية؛ إذ إننا احتجنا أن نتعامل مع كل وضع صعب بعد احتلال مدينة (هاي فونج) بواسطة القوات الفرنسية، وبعد أربعون يوما من ذلك كان على الحكومة أن تقود حرب المقاومة التى انتشرت بسرعة فى كل مكان من البلاد، استمرت الحرب يدا بيد مع التدمير والتضحيات والخسائر والصعوبات والأمراض، لقد كانت مشاكلنا فى غاية الصعوبة لأننا كنا بلد مستعمر متخلف باقتصاد زراعى وكان شعبنا يعانى من ندرة الغذاء لمدة طويلة، وكان العدو موجودا فى كل مكان ويحيط بنا من كل جهة ولذلك فنحن لا نستلم أى مساعدة خارجية وكانت مدننا وبلداتنا

واقتصادنا وبنيتنا التحية ونظام مواصلاتنا وأكثر من ذلك كان كل شيء قد احتل أو دمر بواسطة العدو.

لقد كانت فرنسا قوة إمبريالية منذ زمن بعيد وكانت لها خبرة كبيرة فى الحروب الاستعمارية ضد البلدان الصغيرة والضعيفة، وكانت حربها فى إعادة الاحتلال ضد فيتنام متعددة الوجه الواحد أى أنها فى مجالات مختلفة، عسكرية اقتصادية دبلوماسية مالية.

ومنذ البداية تصوّرالفرنسيون فى حملتهم الاستراتيجية لتدمير أعضاء قيادة المقاومة والقضاء على قواتنا الرئيسية وإنشاء حكومة عميلة مستخدمين تأثير الإعلام الجماهيرى وعلاقاتهم العالمية الواسعة وقد شوّهوا سمعة الحكومة الفيتنامية مصوّرينها على أنها الحلقة الرئيسية فى دائرة المتمردين الشيوعيين وقد خربوا اقتصاد وميزانية فيتنام حتى أنهم قاموا بحصار اقتصادى عندما احتلوا الموانئ والمطارات ودائرة الجمارك وعملوا كل ما أمكنهم للسيطرة على أهم الطرق البرية وعلى الحدود، واستولوا على العاصمة والمدن الكبيرة التى كانت تمثل المراكز السياسية والاقتصاد والثقافة كما أنهم احتلوا مناجم الفحم فى (هون قاى) ومزارع المطاط فى (نام بو) ومدّوا سيطرتهم على ساحل نهرى (ميطونق والأحمر) وهى تمثل المصادر الهامة فى فيتنام من أجل تجويع شعبنا، وخلال عملياتهم العسكرية الكبيرة وهم يبحثون عن قواتنا الرئيسية وفدائيينا وتدمير قواعدنا قاموا بحرق مصادر رزقنا، دمّروا المنتجات وقتلوا الأبقار والثيران التى كانت عناصر فيتنام الحيوانية الأساسية فى الرى كما أنهم أيضا أغرقوا المناطق المحررة بالسلع الكمالية التى يأتون بها من المناطق المحتلة من أجل القضاء على إنتاجنا فى المناطق المحررة، وفى نفس الوقت منعوا الحبوب والدواء والمواد الضرورية على شعبنا، وبمجرد أن وضعوا أقدامهم فى بلادنا.

ومن أجل منع الفرنسيين من توسيع مناطق احتلالهم سريعا قمنا بتدمير جميع الطرق الأرضية وخطوط السكك الحديد وكنا كذلك مجبرين على تدمير المدن

والبلدات وعدد من القواعد الاقتصادية التى أقامها الفرنسيون، وهـذه العمليـات التدميرية كانت ضرورية لمقاتلة حملة أقوى منا كثيرا ولكنها أيضا سببت لنا العديـد من المشاكل حيث كانت الحملة الفرنسية تستهدف توسيع مناطق احتلالها ممـا أدى الى موجات مكثفة من الإخلاء والهجرة، والمنتجون فصلوا عن أماكن عملهم ولم يعد بإمكانهم الإستمرار فى العمل، وهناك كثير من المصانع لم نعد تنتج شيئا وهنا أجـبر المنتجون على ترك الإنتاج أو على تغيير نوع مهنهم، وكانت هذه المشاكل فى بداية المرحلة الأولى من الحرب قد خلقت جوا من عدم الاسـتقرار للمنـتجين ورجـال الأعمال وأن أولئك الذين لديهم أموال لم يعد أى منهم يتجاسر علـى الاسـتثمار خوفا من توسع حالة الحرب.

ونحن كدولة بالشعب وللشعب لابد أن نؤكد الاستقلال والحريـة وسـعادة الناس، وكان الواجب الفورى أن نكسب حرب المقاومة مع أن واجب بناء الأمة لا يمكن أن يتجاهل؛ ذلك أن الواجبان كانا حميميان متلازمان، ولقد حاولنا أن نقـوم بينهما بالتوازى، المقاومة والبناء الوطنى، فى ٢٦ ديسمبر ١٩٤٦ اجتمـع مجلـس الوزراء برئاسة الرئيس هوشى منه فى بلدة (ها دونج) وبجانب أعـضاء الحكومـة كان من ضمن المشاركين (بو بنج دونج– [١٧]) و(تون دوك ثونج– [١٨]) وبعـد الإستماع لتقارير من وزراء الخارجية والدفاع وافق المشاركون بالإجماع أن تـستمر حرب المقاومة إلى النهاية من أجل استعادة الاستقلال التام، وفى قاعدة مغلقة وتحت ضوء خافت يبثه مصباح زيت رفع جميع المشاركين أيديهم إعرابا عن رغبة كل الأمة فى تأييد الجد هوشى منّه فى كفاحه المحدد لأننا سوف نعبئ عشرون مليونا من رفاقنا لمقاتلة عشرات الآلاف من الاستعماريين الفرنسيين وسوف ننتصر بالتأكيد، حتى لو اقتضى الأمر أن نضحى بأربعة أو ثمانية ملايين من شعبنا ضمانا للاستقلال فى بلادنا

[١٧] – بو بانج دونج مناضل وطنى وعضو اللجنة الدائمة فى المجلس الوطنى..

[١٨] – تون دوك ثونج صار أخيرا رئيس جمهورية فيتنام الديموقراطية..

والحرية لشعبنا والمجد لأسلافنا والسعادة لأطفالنا، إنه من الأفضل أن نفعل ذلك بدلا من أن نطأطئ للعبودية تحت حكم الفرنسيين إلى الأبد، كانت هذه تماما مثل البيان الذى كتبه الجد هوشى منّه خلال الأيام الفائتة من أجل أن يبعث إلى كل الأمم، ولقد استمر الاجتماع إلى الساعة الواحدة من الصباح،فى هذا الوقت كانت سماء (هانوى) رائعة من اللهيب الأحمر ودوى إطلاقات البنادق.

(٢)

لأول مرة كانت لدينا حكومة منتخبة بواسطة الشعب ومع ذلك ما زلنا نواجه بعض الصعوبات الإدارية، وفى أول اجتماع للحكومة فى ٣ سبتمبر ١٩٤٥ قال الجد هوشى منّه أنا وأنتم جميعا لم نعتد على إدارة الأمور وسوف نتعلم ونحن نعمل والقصور بلا أدنى شك لا يمكن تجنبه لكننا سوف نصحح ذلك؛ لأننا نتمتع بالشجاعة فى معالجة أخطائنا، وفى حديثه حدد أهمية كبيرة فى مضاعفة قوة وقدرة الإدارة ومهارة حاسمة موّحدة مركّزة ومؤهلة تماما فى توجيه حرب المقاومة وبناء النظام الديموقراطى الداعم للحكومة فى مختلف المستويات، كان هذا مظهر الاهتمام الدائم للجد هوشى منّه واللجنة الدائمة.

لقد كان السفر غاية فى الصعوبة أثناء الحرب، ولكن الحكومة تمكنت من عقد مؤتمر وطنى يناقش وضع الإدارة والمقاومة، وفى سنة ١٩٤٧ عقد المؤتمر فى بلدة (سون تاى) حيث كانت سياسة الأرض المحروقة جارية، ومنذ سنة ١٩٤٨ وتاليا كان المؤتمرالسنوى يعقد داخل المناطق الآمنة تماما فى (فييت باك) وفى هذه المؤتمرات كان على الحكومة أن تقدم سياساتها الدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية وفى مجالات الإدارة ولقد درسنا إمكانية تنفيذ سياسات تطوير الإنتاج والمواجهات الاقتصادية مع فرنسا والخدمة العسكرية الإجبارية وتعبئة الموارد البشرية والمادية،

وعمل الأمن والاستخبارات، وزيادة على ذلك فقد درست الحكومة الميكانيكية الإدارية مع المناطق والمقاطعات وتطوير أسلوب العمل والعلاقة بين المركز والمقاطعات.

وأنا أتذكر جيدا مؤتمر المقاومة والإدارة الذى استمر من ٢١ إلى ٣١ يوليو ١٩٤٨ وكان قد عقد خلال فصل الأمطار فى حجرة ضيقة ببيت قروى فى (فييت باك) وقد أغرقت الأمطار ما حولنا وكان على المؤتمرين أن ينتقلوا إلى مكان آخر، وعلى الرغم من أنه المؤتمر الستين فقد واصل المشاركون عملهم برغبة وحماس، واستمع المؤتمرون إلى تقرير من (نقيين دوى ترينه – [١٩]) وكان التقرير عن منطقتى (٥ ونام بو) وتقرير آخر قدمه (هو تونج ماو السيد (هو تونج ماو –) وكان التقرير عن الوضع فى المنطقة الرابعة وكانت هذه تقارير جيدة جدا تلخص الكثير من الخبرة فى بناء الإدارة المحلية عبر ألف يوم من حرب المقاومة، وتشتمل التقارير على العديد من الوثائق المفيدة والمهمة، ولقد كنا أيضا قلقين حول أسلوب تنظيم الإدارة من المركز إلى القواعد التى ماتزال بها الكثير من اللاعقلانية، وكسكرتير لمنظمة الحزب فى الحكومة كنت قد كلفت من الجد هوشى منّه بأن أقدم التقرير النهائى للمؤتمر؛ حيث إن المؤتمر قد استمر عدة أيام وعلى الرغم من بعض القصور فقد أظهر نتائج جيدة، وبالنيابة عن المشاركين وعدت الجد هوشى منّه أن جميع أوامر وتوجيهات الحكومة سوف تنفذ بدقة.

وكان الجد هوشى منّه يعلق أهمية كبيرة على تعليم المبادئ الثورية لعناصر الإدارة فى مختلف المستويات وكان يقول دائما أن عناصر وأعضاء الحزب يجب أن يكونوا أمناء عاملون بمقدرة يتبعون جانب الحق ويضعون المصالح العامة فوق المصالح الفردية، ولقد كانت حياة الجد هوشى منّه اليومية مثالا لكل فرد وحياتى بالقرب

[١٩] – نقويين دوى ترينه كان نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية فى جمهورية فيتنام الديموقراطية...

منه لعديد السنوات فى الحالتين، الظروف الصعبة وفى العاصمة، لم أسمع منه شكوى عن الحر أو البرد ربما لأنه حريصا دائما على ما علّمه لضباط قواته كالقول أنه عندما لا يجد الجنود ما يأكلون فإن الضباط لا يجب أن يشكوا من الجوع، وعندما لا يكون لدى الجنود ملابس كافية فإن الضباط لا يجب أن يشتكوا من البرد، وعندما يكون الجنود غير مرتاحين فإن الضباط لا يجب أن يشكوا من التعب.

كانت أوضاع المقاومة عديدة ومعقّدة ذلك أن مكاتب الحكومة مبعثرة فى كثير من الأماكن ولهذا فإن الاجتماعات غالبا ما تستغرق أيام كثيرة وأحيانا تستمر إلى الثانية أو الثالثة صباحا، وعادة قبل اجتماع مجلس الوزراء أتبادل الآراء مع (ترونق تشينه) ونتشاور مع اللجنة الدائمة للجنة المركزية حيث تكون المجموعة الحزبية قد اجتمعت مقدما من أجل الوصول إلى اتفاق جماعى وإعداد جدول الأعمال، وعندما أكون مضطرا إلى أن أذهب إلى الجبهة يحل محلى (لى فان هيين) بحيث يرأس تلك الاجتماعات، وكان أحد التقاليد التى خلقت تأثير عميق فى وجدانى القسم الذى يؤدى مراسميا ذلك أن كل وزير يعيّن أو نائب وزير فى مجلس الحكومة لابد أن يؤدى اليمين قبل أن يحضر اجتماع مجلس الوزراء، والاحتفال يكون بسيطا ولكنه جدّى ذلك أن الذى يؤدى اليمين يتعهد أمام الشهود أن يكرّس خبرته وقدرته فى خدمة البلاد والشعب.

أحدث اجتماع مجلس الوزراء فى يوم ٣٠ أبريل ١٩٤٩ عواطف عميقة، ولأول مرة تجتمع وزارة جمهورية فيتنام الديموقراطية فى غابة القاعدة الآمنة وهى كذلك أحيّت ذكرى اثنان من أعضائها وهما (يوهنه ثوك خانق الذى توفى حديثا وهوانق هينى نام الذى كان قد غرق فى نهر لو) وكليهما وزير ونائب وزير فى الشئون الداخلية وقد فقدا فى نفس الوقت وكانا بارزان ويحظيان بثقة الجد هوشى منّه، وكانت اجتماعات مجلس الوزراء فى ذلك الوقت هامة جدا؛ إذ يأتى المشاركون من مختلف المواقع ومختلف المهام من خطوط المواجهة، وكانت هناك مناسبات

للحديث عن الوضع كالعمل وحالة العائلات، عن أيام السنة الجديدة وعن الإجازات، وكانت اجتماعات الحكومة تنتهى بمهرجانات الإدارات المحلية وبرئاسة الجد هوشى منّه حيث يقوم الوزراء بمساهماهم فى رواية الأشعار أو رواية القصص، فى حين يقوم الرفيق (فان أنه) بتقليد أشعار الرفيق (كيم فان كيو) التى كان يطلبها الجد هوشى منّه فى أنغام الأوبرا.

لقد أصبحت وحدة الشعب الفيتنامى ووحدة الجبهة الفيتنامية أكثر تماسكا فى مواجهة العدو وإحباط خططه المبيّتة لتقسيم الأمة فى شكل (شمال ووسط وجنوب) بناء على الدين والغنى، وكان الجد هوشى منّه يذكّر الملاكات بعدم ضيق الأفق بشكل خاص الذى يوّجه للأغنياء والأقوياء وللمثقفين والمشاهير، وأن يخلقوا جوا من الثقة والمودّة والأخلاص والتضامن، والاشتراك فى المشقّة والجد، البهجة والمشاكل بين الواحد والثانى.

وبجانب دعم جبهة الأمة والإدارة فإن الجد هوشى منّه واللجنة المركزية يعلقون أهمية كبيرة على بناء الحزب ذلك أنه أثناء التمرد العام فى أغسطس سنة ١٩٤٥ كان عدد أعضاء الحزب؛ صغيرا بحيث يتم الاعتماد عليه فى مواجهة المتطلبات المتعلقة بالقيادة فى مختلف الفروع والمستويات من المركز إلى المحليات وخصوصا فى القوات المسلحة، وقد أصدرت اللجنة المركزية الدائمة فى ١ يونيو ١٩٤٨ أوامر بشأن استخدام المحاكاة فى بناء الحزب مما يمكن للعناصر الجيدة الالتحاق بالحزب والمقاتلين الذين تدربوا وعملوا فى المقاومة، وفى سنوات ١٩٤٨- ١٩٤٩ زاد أعضاء الحزب بنصف مليون ذلك أن حملة المحاكاة أدت إلى نتائج مفيدة ولكنها لم تتجاوز بعض الضيق والقصور، وفى ١٩ أغسطس ١٩٤٨ اجتمع مجلس الدفاع الوطنى الأعلى لدراسة خطة ذات أوجه متعددة للمقاومة التى كانت ستوضع من طرف الحكومة موضع التنفيذ وكان يرئس هذا المجلس الجد هوشى منّه ونائبه (لا فتم هيين) وآخرون وإنا كنا أعضاء المجلس وبفضل هذا المجلس كانت كل أنشطة

وفروع حرب المقاومة قد وحّدت، وبعد عدة سنوات من المقاومة كان النظام الجديد قد استقر وأقامت فيتنام دولة ديموقراطية من الشعب وللشعب من جبهة واسعة متينة من الوحدة الوطنية والثقافة وأسلوب الحياة المفيد وهى التى ساعدت القوات المسلحة كى تؤدى واجباتها، وعلى الرغم من ذلك، بعد فشل الهجوم على (فييت باك) ذكر أحد الضباط الفرنسيين فى مؤتمر صحفى فى هانوى قائلا: إنه ليس هناك حكومة فييت منه، وكان الفرنسيون على الدوام يعتقدون أن لدينا فقط أكواخ مؤقتة ووزراء بحقائب على أكتافهم ووثائق فى أكياس جاهزون للهروب إلى الغابة كلما بانت قوات فرنسية، وهذا لم يكن فى الكثير منه خاطئا، وعلى أى حال فإن هناك نقطة هامة لم يدركها هذا الضابط وهى أن هؤلاء الوزراء فى تلك الأكواخ كما وصف أخذوا أهم قرارات حكومة فيتنام التى أدت إلى تدمير القوات الفرنسية فيما بعد.

(٣)

يكوّن الاقتصاد جزء هام للشعب الفيتنامى فى حرب مقاومته ذات الوجوه المتعددة، وكان مجلس الوزراء فى اجتماعاته ناقش بجانب الأمور العسكرية والدبلوماسية الأمور الاقتصادية والمالية من الجانبين التجاريين المحلى والخارجى مع بناء وتوحيد المناطق الخلفية؛ ذلك أن وجود قاعدة متينة يمثل عنصر أساسى فى النصر، وفيتنام فى الواقع ضيقة ومن المستحيل أن تبنى منطقة قاعدية واسعة كما فى الصين ولقد أقامت اللجنة المركزية قواعد بحجم مناسب فى مناطق استراتيجية بالبلاد آخذة فى الحسبان الاعتبارات العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية وهى كذلك اهتمت ببناء قواعد للفدائيين فى مؤخرة العدو على أن القاعدة المتينة تكمن فى قلوب الناس.

ولقد بدأنا حرب المقاومة باقتصاد ديموقراطى شعبى ظهر حديثا، من هذه العناصر الاقتصادية الثلاثة، الدولة، والتعاونيات، والخاص، الأولين وجُدا حديثا، أما الاقتصاد الخاص فكان هو الغالب ولكنه تأثر كثيرا بالحرب وكان قد حّوصر وقوطع من طرف الفرنسيين حيث فرض الأعداء حصار اقتصادى ولهذا نفذنا نحن سياسة الاكتفاء الذاتى والتزويد الذاتى فى كل مقاطعة عبر كل البلاد من أجل أن نستمر فى حرب مقاومة طويلة الأجل وقد ساعدنا الإنتاج الخاص لأنه كان الأكبر وهو الجانب الاقتصادى الأقدر فى ذلك الوقت ولأننا لا نملك قطاع صناعى فقد طوّرنا الصناعة اليدوية لنستفيد من المواد الخام المحلية للوفاء باحتياجنا القتالى واحتياجات عيشنا ذلك أن ظروف الحرب تتطلب التفرّق والتدمير ولكن فى الخلف، ولقد شجعنا فتح الأسواق وإصلاح الطرق وتطوير المواصلات من أجل توزيع المواد الخام والمنتجات وتحفيز الإنتاج وأعطينا الأولوية لإنتاج الغذاء، ولقد نادى الجد هوشى منّه قائلا:

العمل فى الحقول هو القتال فى الحقول.. الفأس والمحراث هى الأسلحة... المزارعون يصنعون المقاتلين... المناطق الخلفية تدعم الخطوط الأمامية.

كانت أرض الحكومة المستصلحة بما فى ذلك تخفيض إيجاراها وفوائد القروض توزع على الفلاحين الفقراء مع منح القروض للفلاحين من أجل زيادة الإنتاج وهذا أدى إلى حماس كبير للفلاحين فى المناطق المحررة، كذلك اهتمت الحكومة بإصلاح الخنادق وأعمال الزراعة وإشاعة طرق الزراعة الجماعية كعملية المياه واختيار البذور والسماد... إلخ الشىء الذى ساعد على الاستقرار وزيادة الإنتاج ولقد شجّع كل الناس لزيادة محصول غذائهم وكسائهم حيث تأسست لجان الاكتفاء الذاتى فى كل مكان،وخصصت الوحدات العسكرية وموظفو الحكومة والمدارس والمصانع الكثير من الوقت لإنتاج الغذاء والحل النسبى لما يواجههم فى مسألة طعامهم، ولقد شجعنا زراعة القطن وإنتاج الحرير، وصناعة الخيوط والنسيج اليدوى وقد تطورت هذه

وحلّت نسبيا مسألة الملابس، وحدث أنه فى المنطقة الداخلية الرابعة وحدها تم إنتاج ١٢,٨١٢,٠٠٠ مليون متر من قماش الملابس وبعد ذلك كانت المنطقة الخامسة قد حققت كفايتها من الأقشمة، كما أن القماش الرقيق والمتين لبدل الجيش الذى أنتج كان فخرا للناس، لقد حاول العدو إفساد قاعدة صناعة وحرف فيتنام وكانت سياستنا أن نقيم إنتاج على مستوى صغير وموزّع ذلك أن الإنتاج الصغير لم يكن سهل الحماية فقط من الهجمات وقذف القنابل ولكن أيضا أكثر مناسبة للنقل، وقد وسعّنا تدريجيا قواعد اقتصاد الدولة وأقمنا أول أساس للتعاونيات الاقتصادية.

خلال الأيام الأولى من حرب المقاومة عقدت الحكومة لقاءات مع المثقفين والمهندسين فى (فان دينه) من أجل بحث كيفية تطوير الصناعة الوطنية، والجميع كانوا متحمسين للمشاركة فى بناء المناطق الخلفية، وفيما بعد ألحق عدد من هؤلاء الناس فى عملية إنتاج السلاح وقد ساهموا بفعالية فى إنتاج الأسلحة للجيش بتسارع مع القفزة إلى الأمام فى صناعة الدفاع الوطنى، والصناعات الأخرى أيضا ساهمت فى احتياجاتنا الدفاعية الوطنية وقد نجح هؤلاء فى استبدال المنتجات التى كنا نستوردها، وخلال الثلاث سنوات الأولى من حرب المقاومة استخرجنا أكثر من عشرون ألف طن من الفحم وستة آلاف طن من الفسفور وثلاثمائة طن من الملح، وقد انتجنا عددا من المواد الكيميائية الأساسية بما فى ذلك حامض الصوديوم وعلم المعادن على نطاق ضيق من أجل الأبحاث وكثير من الصناعات الحرفية المفيدة، إنتاج الملح والأقمشة والسكر وصناعة الورق انتشرت فى كل مكان فى البلاد حيث كان هناك ٥٥٣ مصنعا أنتجت ١٥٨٧ طن من الورق سنة ١٩٤٩ وكل وحدة محلية اعتمادا على المادة الخام الموجودة لديها للإنتاج كانت تتبادلها مع أسواق المقاطعات وقد تزايد تبادل المواد بشكل يومى.

تماشيا مع تحقيق الاكتفاء الذاتى فى الاقتصاد أقمنا كذلك نظاما ماليا مستقلا حيث إن إصدار الأوراق المالية الوطنية أنهى تأثير العملات التى تسيطر عليها فرنسا،

وبحذر وذكاء قامت الفييت منه بإيجاد الأوراق المالية الفيتنامية وقد تم توزيعها خلال يوم ٢ فبراير١٩٤٦ غالبا فى كل مقاطعة بجنوب وسط فيتنام فيما تحت خط ١٦ المتوازى جنوبا، ومن أجل إفشال المشروع الفرنسى للتلاعب النقدى أصدرت الحكومة مرسوما حول توزيع الأوراق النقدية الفيتنامية عبر البلاد فى أبريل ١٩٤٨ وفى أقل من سنة ونصف فيما بعد قرر مجلس الوزراء أنه اعتبارا من ٢٢ مايو سوف تستبدل الأوراق النقدية الهند صينية بالأوراق النقدية الفيتنامية وبذلك تكون قد قطعت نهائيا آخر خيوط العلاقة من النظام النقدى الفرنسى الاستعمارى.

قامت كوادر وعمال القسم المالى بجهود كبيرة لتوفير الورق المالى الكافى المطلوب لمواجهة احتياجات حرب المقاومة على الرغم من أنه ليس لهم كثير مما يمكن عمله حيث توقفوا لعدة شهور بسبب: إما عطل فى الآلات أو نقص المواد الخام وكان وجه واحد قد طبع من فئة ٥٠٠ دونج عندما نفذت مادة الأمنيوم ولم تكن متوفرة فى مناطق العدو المحتلة وطلب الكثير منه من هونج كونج ولكن لم يكن معروفا متى يصل وكان على مدير المطبعة أن يطلب المساعدة من فنيى الجيش فى وزارة الدفاع لتوفير المادة الكمياوية.

ومن أجل التغلب على تلك المشكلة قدمت وزارة المالية مقترحان نوقشا فى مجلس الوزراء، الأول: أن يتم تحصيل الضرائب عينية (مثلا بالأرز)، والثانى: أن يتم إصدار عمله مؤقتة، فإذا تم تحصيل الضرائب عينية سيكون لدينا كفاية من الطعام للجيش ومستخدمى الحكومة مما يخفض نقص الغذاء الحاد فى ذلك الوقت، وكانت خطة الفرنسيين للتأهيل الاقتصادى فى الهند الصينية قد فشلت أيضا حيث لم يقدروا أن يحتلوا ويستعيدوا القدرة الصناعية والاقتصادية فى المناطق الاقتصادية الهامة فى مختلف المقاطعات، وباختصار فإن الصعوبات التى واجهت الفييت منه كانت من المحتمل أن تؤدى إلى النصر وأن تلك التى واجهت العدو كانت صعوبات من المستحيل تجاوزها.

(٤)

قال الرئيس هوشى منّه فى أول اجتماع للحكومة يوم ٣ سبتمبر ١٩٤٥ أن الجهل هو أحد الوسائل الشرّيرة التى استعملها الاستعماريون الفرنسيون للسيطرة على شعبنا ذلك أن ٩٥ من شعبنا أميّون وهكذا فإن الشعب الأمى إنما هو شعب ضعيف وبالتالى قررت الحكومة أن على أى مواطن أن يتعلم الخطوط الرومانية مجانا ونظمت أنه خلال سنة واحدة يجب على كل مواطن عمره فوق الثمانى سنوات أن يعرف كيف يقرأ ويكتب، بعد بداية حرب المقاومة اعتقد بعض الناس أن التعلّم ليس مسألة عاجلة كما هو القتال ضد العدو ولن يكن متأخرا التعلّم بعد النصر لكن الدولة صححت وجهة النظر تلك، وقد أنشأت إدارة الثقافة الجماهيرية شعارا يقول: إن تذهب إلى المدرسة يعنى أن تلتحق بالمقاومة أو إن المقاومة تكون ناجحة إذا نحن ذهبنا إلى المدرسة، وفى ١ أغسطس ١٩٤٨ قامت إدارة التعليم بحملة لمحاربة الجهل وأن تعبئ كل الإمكانيات للقضاء على الأميّة، وفى منتصف سنة ١٩٤٩ صار أكثر من عشرة ملايين من الناس متعلمين بما فى ذلك أولئك الناس الذين يعيشون فى السهول والمناطق الجبلية، ومناطق الأقليات العرقية والكاثوليكية وحتى أولئك الذين خلف العدو.

وبحدود بداية سنة ١٩٤٧ قامت وزارة التعليم باستعادة وافتتاح عديد من مدارس التعليم العام الجديدة وعقدت مؤتمرا لمراجعة المناهج الدراسية لتنظر فى إصلاح التعليم بحيث تنظّم أسلوب الدراسة لتتفق مع متطلبات وأوضاع المقاومة، وكان هناك شمال المقاطعة الخامسة عدد كبير من المدارس الابتدائية والثانوية، وبحلول سنة ١٩٤٩ صارت هناك كلية طبيّة وفصول تمهيدية فى الآداب والرياضيات وكان الجيش دائما ممتنا للكلية الطبيّة خصوصا لأساتذة اللغة الفرنسية – هو داك دى وزملاءه [٢٠] وآخرون وقد ساعدوا على تعليم المحاربين فى الجيش والمعالجات الطبية

[٢٠] – أساتذة اللغة الفرنسية والأطباء الذين انضموا للمقاومة منذ البداية.

كصيادلة وأطباء ونحن كذلك نكبر لفرع الانجازات الثقافية الذى قدم للجيش شبابا ذوى كفاءات عالية ساعدوا على تشكيل الوحدات العسكرية التقنية عندما بدأت قواتنا تشن معارك على نطاق واسع، لقد أتت الحرب بعدد كبير من المقاومين من مناطق الجبال ووسط البلاد التى كانت معزولة واعتبرت فى السابق مليئة بالأشباح الخبيثة والمياه غير المفيدة، ولقد كان من الصعب الحصول على الغذاء والدواء الذى فى الغالب لا يوجد إضافة إلى أن طرق حياة الناس فى كثير من المناطق ماتزال متخلفة وقد أدت حكومة المقاومة وفروعها المتخصصة جهودا عظيمة فى الاهتمام بصحة الناس بموجب المبدأ التوجيهى القائل: (إن منع الأمراض يبدأ من البداية) وبالتالى شنت حملة نظافة تشمل الغذاء النظيف والماء النظيف والسكن النظيف وانتشرت هذه الحركة فى العديد من المحليات وتركز الاهتمام كثيرا على معالجة الأمراض وتدريب عمال الصحة وإنتاج الدواء وبناء المصحات بحيث صار لكل مقاطعة محلية نظامها الصحى وفى مستويات من الولاية إلى الكومونة، وفى الجيش فإن النظام الصحى توسّع من أعلى إلى أسفل.

فى سنة ١٩٥٠ كان لخدمة العناية الصحية المدنية فى (فييت باك) سبع عشرة مستشفى ومائة وخمسة وثلاثون محطة إسعافات أولية وسبعة وسبعون ردهة أمومة ومائة وثلاثة وسبعون مستوصف على مستوى الكومونة وبها ١٢٨ صيدلية و ٢٢٤ عامل نظافة طبية، وهذا ما كان فيه الكفاية لاحتياجات الناس والعناية الصحية باستعمال الآلات البسيطة الوحيدة المتوفرة لديهم وكان الدكتور (داق فان إنقو) قد أنتج بنجاح عيّنة بسيطة من البينسيلين ووجد الدكتور (تون ثات تونق) طريقة جديدة لعلاج عدد من أمراض الكبد والمرارة وقد وجهت عناية خاصة لمعالجة الأمراض بالأدوية الشرقية وأدوية الأعشاب وأظهرت نتائج جيّدة، وخلال سنوات المقاومة لم تظهر أوبئة فى المناطق المحررة وكذلك نحن حدّينا بشكل ملحوظ من مرض

الملاريا والزحار فى المناطق الجبلية ومنعنا هذه الأمراض من التأثير على واجب الدفاع والأنشطة المتّصلة به.

(٥)

كان الاهتمام الأول قد أعطى لإنتاج الدفاع الوطنى من جانب الدولة الحديثة الواقعة تحت الحصار الإمبريالى الفرنسى، ومباشرة بعد ثلاثة عشر يوما من إعلان الاستقلال كان الجد هوشى منّه قد قرر أن يبدأ بأول منظمة مكلفة بواجب جمع وامتلاك الأسلحة وتأسيس قاعدة لإنتاج الأسلحة، وفى ٢٥ سبتمبر ١٩٤٥ وفى حدود مسؤوليتى كوزير للدفاع وبناء على تعليمات الجد هوشى منّه وقّعت رسالة أمر للرفيق (نقويين إنقوك خان) أن يطلب مصانع المعدات اللازمة لصنع الأسلحة من أجل دعم دفاعنا الوطنى.

ونظرا لتخلف قاعدة زراعتنا اقتصاديا وغياب القطاع الصناعى وخراب الحرب فإنه عندما طلبت الحكومة وجهة نظر المثقفين حول هذه المسألة اعتقد الكثير منهم ذلك مستحيلا؛ حيث إننا محاصرون من كل جانب، ومع ذلك، كانت الأولوية فى التغلب على كل الصعاب بحيث يمكن إنتاج أسلحة بقدر ما يمكن للجيش وللناس، وتم تجنيد فرق من العمال لإصلاح وإنتاج الأسلحة بوحدات الجيش فى (نام بو) وفى مصانع الجيش بالمقاطعات والمناطق من الشمال إلى الجنوب، وجاءت الآلات والمعدات والمصانع المدنية الصغيرة وتكوّن عصب قوة العمل من مستخدمين فى القواعد الصناعية، طلبة من المدارس الميكانيكية ومثقفين وطنيين ولقد عملوا كل شيء بدءا من حشو الإطلاقات بالبارود إلى إصلاح البنادق إلى صنع الخناجر والسيوف إلى صنع القنابل اليدوية والألغام وغير ذلك.

عندما انفجرت الحرب فى كل البلاد أمرت مصانع الإنتاج أن تنظم ترسانات صغيرة على القاعدة التوجيهية (نطاق ضيّق، نقال، مرن وسهل التحريك عند الضرورة) تلك التى كانت مناسبة لظروف زمن الحرب من أجل تنفيذ حرب شعبية وتسليح كل الشعب، أسلحة لابد أن تنتج وخصوصا القنابل اليدوية والألغام للحرب الفدائية ذلك أن هذه الأسلحة البسيطة يمكن أن تنتج بكميات هائلة وتوزع بشكل مثالى إلى مختلف ساحات القتال، إن مهمة إنتاج السلاح قد أثيرت فى كل المؤامرات العسكرية وقرارات اللجنة المركزية وأنا مازلت أتذكر المؤتمر العسكرى الثالث الذى عقد فى (تروك سون – مقاطعة ها دونق) عندما بحث موضوع إنتاج السلاح بحرارة واهتم كثيرا هذا المؤتمر بضرورة الحصول على سلاح يواجه دبابات وعربات العدو بفعالية وقد دعوت الرفيق (تران داى نقهيا) الذى كان قد عيّنه الجد هوشى منّه حديثا رئيسا لإدارة إنتاج الأسلحة ليحدّث المؤتمرين، وهذا كان فيتناميا مثقفا مقيما فى فرنسا مرافقا للجد هوشى منه وقد عاد إلى فيتنام للمشاركة فى حرب المقاومة وهو الذى قدم لعلمائنا الشباب المعرفة المبدئة لفكرة وتكنولوجية صناعة الأسلحة وقد بلّغنا أنه يوجّه مجموعة من الخبراء فى مشروع تجريبى لتصميم قذائف سلاح البازوكا فى أسرع وقت ممكن، ولقد كان هذا أحد المهام المتوقعة خلال زيارة سابقة إلى مصنع الأسلحة فى(قيان تين) فى شهر مارس ١٩٤٦ وقد طلبت من العاملين فى المصنع أنتاج سلاح البازوكا وتطوير قذائفه بعد أن كانت الولايات المتحدة الأمريكية أنزلته للفييت مينّه فى (تان ترو) قبل الانتفاضة العامة، وفى فييت مينّه كان العاملون فى مصانعنا قد تمكنوا من صنع البازوكا لكنهم لم يتمكنوا بعد من صنع قذائفه، وكان الرفيق (تران) قد عاد لتوّه من فرنسا وبدأ دراسة مشروع قذائف البازوكا معتمدا على المواد المحلية بديلا عن مكوّنات الولايات المتحدة الأمريكية.

وفى ٥ مارس ١٩٤٧ كان سلاح البازوكا محلى الصنع قد دمــر لأول مــرة دبابات العدو وكانت تلك العملية إسهاما فى إفشال عملية العــدو العــسكرية فى منطقة (تشونق مى) وعلمت فيما بعد أن الرفيق (نقهيا) مع مجموعتــه واصــلوا أبحاثهم قبل أن يصلوا نهائيا إلى إتقان سلاح البازوكا وقذائفه لاســتعمال القــوات المسلحة، وفى (نام بو) لم تكن هناك من وسيلة لإنتاج البازوكا ولهذا صنع المهندس (لى تام) ما عرف باسم اللغم البازوكا وهو نوع من اللغم المقعّر ليــستخدم ضــد دبابات العدو ولقد كان مؤثرا فى معركة (لا نقا) مثل ذلك ما أحدثه من فعالية فى تدمير أبراج المراقبة وبعد ذلك كان هذا السلاح وقذائفه من مختلف الأنواع قد أنتج ورغم قوته فلم يحتاج إلى كثير من البارود، وعند التفكير فيما حدث سابقا اعتمدنا التوجيه الصحيح بحيث ركّزنا جهودنا على رفع مستوى الإنتاج بشكل أولى علــى السلاح مثل القنابل اليدوية والألغام من أجل تزويد الملايين من المقاتلين فى الحــرب الشعبية فى كافة أنحاء البلاد، وباقتصاد متخلف لم تكن عندنا إمكانية إنتاج بنــادق كحالة البلاد المتقدمة التى لديها إنتاج مكثف منذ مئات السنين قبلنا، ومــع ذلــك فنحن نستطيع أن ننتج سلاح ذى ماسورة ملساء كتلك التى تستعمل الدفع السريع بالقذائف المقعّرة مثلا (البازوكا skz) التى كانت سلاحا متطوّرا فى ذلك الوقــت وأساسا هذا يعنى أننا يمكن أن ندمّر أقوى أسلحة ودفاعات العدو مثــل الــدبابات والعربات المصفحة والمخابئ ونستطيع تخريب استراتيجية العدو المعتمدة على النقاط العسكرية وصنع هذه الأسلحة لم يكن هناك احتياج لمعدات معقّدة ولا هى تتطلــب درجة عالية من الدقّة، وهذا مناسبا لمستوى إنتاجنا ومعداتنا التكنولوجية فى ذلــك الوقت وكان هناك إنجاز آخر فى إنتاجنا الصناعى وهو ضمان التزوّد بالخام والمعدات الهامة وتطبيق التقنيات الملائمة، أى العامل الأساسى فى إنتاج الأسلحة.

***

الفصل الثامن

الإعداد للهجوم العام المضاد...[21]

(١)

فى سنة ١٩٤٩ كان هناك عددا من الأحداث الدولية وأحداث فى الهند الصينية غير مفضلة لفرنسا فقد تطورت الثورة الصينية من حيث القوة؛ حيث حققت قوات التحرير الصينية انتصارات كبيرة وكنا نشطين فى حالة الدفاع ونستعد للهجوم العام المضاد بحيث نستفيد من جهودنا إلى أقصى حد مستخدمين الجيش والشعب وكذلك فإننا يجب أن نستعد لنستغل الظروف المناسبة عندما تحين الفرصة، ولقد قررت اللجنة المركزية أن تعقد المؤتمر السادس على مستوى الكوادر الرئيسية ويقوم (ترونق تشين) بإعداد التقرير السياسى بينما أقوم أنا بإعداد التقرير

[21] –طبقا لبيان ١٣ يونيو ١٩٨٨ الصادر عن معهد التاريخ العسكرى فى الندوة حول إستراتيجة الحرب ضد فرنسا التى شارك فيها عدد من القادة العسكريين ذوى الرتب العالية وعدد من أعضاء المكتب السياسى أثناء الحرب استنتجوا أن الحرب ضد فرنسا يجب أن تقسّم إلى ثلاث مراحل :

١– بداية من حرب المقاومة فى (نام بو) إلى ما بعد انتصار الخريف والشتاء سنة ١٩٤٧فى (فييت باك) وهذه يمكن أن تسمى مرحلة إعداد وتطوير قواتنا وهى أيضا تشتمل على التدقيق وتحطيم قوات العدو..

٢– ومن انتصار (فييت باك) إلى ما قبل حملة الحدود وهى المرحلة التى تطورت فيها حرب الفدائيين ووضعت فيها خطة الحملة المضادة..

٣– وهذه من حملة الحدود شتاء وربيعا سنة: ١٩٥٣– ١٩٥٤ التى جرت فيها حملة (ديين ديين فو) وكانت هذه هى الحملة المضادة والتى أدت إلى تحرير الشمال وخلق ظروف مناسبة لحرب المقاومة ضد الولايات المتحدة الأمريكية (وكتاب القتال تحت الحصار يعكس الحقائق التاريخة وأقيم على أساس قرارات اللجنة المركزية وسياساتها...)

العسكرى ليقدما إلى المؤتمر، كان الوقت يضيق والواجب الجديد فى غاية الأهمية، ومن جانبى سارعت بالعودة إلى القيادة العليا وهناك دعيت (فان تين دونق وهونق فان ثاى وعدد من الكوادر الرئيسية) إلى مكتبى لأبلغهم بما يحوى مؤتمر اللجنة المركزية ثم لأعد التقرير العسكرى.

بعد ذلك غادرت إلى مكاتب الحكومة من أجل اللقاء مع كوادر الحزب فى الحكومة حيث تم الاجتماع فى غابة خيزران كثيفة يصعب أن تخترقها أشعة الشمس وكانت فى غاية البرودة خلال الأيام الماضية ولقد حضر كل المشاركين بما فى ذلك الأخ الأكبر (سان دو الملقب نقويين لارونق بانق) ممثلا للجنة المركزية وكذلك وزير المالية ونائب سكرتير الحزب السيد (هيين) وكان مصابا بالملاريا ومتعب جدا لكنه تمكن من الحضور وكان من المتوقع أن يعقد المؤتمر فى فترة ما بعد الظهر لكن بعض الرفاق من مناطق بعيدة وصلوا متأخرين، ولذلك بدأ الاجتماع بعد فترة العشاء ولقد تحدثت عن الأوضاع الدولية والمحلية وناقشت الواجب المستجد كما تحدد من خلال اجتماع اللجنة المركزية الدائمة وقد تواصلت المناقشات ولم تنته إلا بعد منتصف الليل، واستمر المؤتمر لمدة يومين تاليين وفى النهاية تمت الموافقة الإجماعية على تقديرات اللجنة المركزية حول الوضع فى العالم كما فى البلاد وكذلك على واجبنا الجديد كما أن المؤتمرين راجعوا ما قامت به الحكومة خلال سنة ١٩٤٨ على ضوء مناقشة أعمال كل وزارة، ثم ناقشوا برنامجنا الخاص بنشاط سنة ١٩٤٩ ولقد أبلغنى (لى فين هين) شخصيا أن وزارة الدفاع قد أرسلت للتو تقديراتها عن الإنفاق الدفاعى للدراسة وكانت التقديرات على ضوء الخطة الجديدة وهى تشتمل على مبالغ هائلة، على الرغم من أن الوضع المالى فى غاية الصعوبة بسبب حصار العدو الاقتصادى وأبلغته بأننى مع الرفيق (تا كوامق) قد درسنا بكل عناية كل احتياجاتنا وخفضنا كثيرا مطالبنا إلى المستوى المتوسط وطلبت منه أن يقوم

بالترتيبات اللازمة وعلّق الرفيق (لى فان هيين) قائلا: لا تقلقا، فى كل الحالات فإن طلبكما سيقبل، ولكن يجب أن تبلغا رجالكما أن يكونوا مقتصدين.

ولقد انتهى الاجتماع الأخير فى حوالى الساعة الثالثة صباحا حيث كانت هناك كثير من المناقشات الحامية بعد يومين وثلاث ليالى كاملة من العمل، وعلى أى حال بعد أن كان كل مشارك فى غاية التعب، كنا متحمسين بسبب تطور المقاومة ولكن فى نفس الوقت كنا مهتمين بالواجب الجديد الذى نراه عظيما، وفى الصباح التالى غادر بعض الرفاق المسؤولين إلى فييت مينه للقاء أعضاء الحزب الديموقراطى قبل اجتماع مجلس الوزراء.

(٢)

كان المؤتمر السادس للحزب على مستوى الكوادر قد عقد من ١٤ يناير إلى ١٨ منه حيث حضرت الوفود فى يوم ١٤ بجانب ممثلين من المحليات والفروع، على الرغم من أن السفر كان صعبا وخطيرا، كانت صالة الاجتماعات مصنوعة من عيدان الخيزران وسعف النخيل ولكنها مريحة، كانت بها قاعة اجتماعات واسعة وأماكن أخرى للاجتماع وهناك محرك لتوليد الكهرباء وتوفير الإضاءة وترفرف عليها أعلام حمراء ذوات نجوم صفراء وأعلام ذوات المطرقة والمنجل مع صور للجد هوشى منّه والرفيق ستالين والرفيق ماوتسى تونج وكثير من الشعارات مكتوبة بالخط الأصفر على أرضية حمراء، بدأ الاجتماع فى تمام الساعة الواحدة بتحية الأعلام والنشيد الوطنى مع دقيقة صمت فى ذكرى الذين سقطوا أثناء القتال وقد افتتح الجد هوشى منه اجتماع المؤتمر وقدم الرفيق (ترونج تشينه) التقرير السياسى محللا الوضع العالمى والمحلى مشيرا إلى أوضاع جديدة مفضّلة وصعوبات جديدة، كما أشار إلى قرار الحزب القاضى بدفع المقاومة إلى الأمام من خلال الدفاع النشط والاستعداد للهجوم العام المضاد، وبسبب ضخامة جدول الأعمال استمر المؤتمرون

فى العمل ليلا خلال مساء اليوم الأول وكان هناك عرض فنى ولكن الطقس كان فى غاية البرودة والناس فضّلوا البقاء قرب المدفأة بدلا من حضور العرض الفنى.

فى صباح يوم ١٥ قدمت تقريرى بعنوان واجبنا العسكرى خلال الفترة الحالية، وكان التقرير يتكون من ثلاثة فصول:

١- بعد حملة فييت باك، دخلت الحرب مرحلتها الثانية.

٢- كيف سيكون تطّور المرحلة الثانية ؟

٣- واجباتنا العسكرية الضاغطة.

ولقد أشار التقرير إلى حقيقتين عن المرحلة الجديدة، الحقيقة الأولى تقول: إن الفترة الثانية بدأت مع نصر سنة ١٩٤٧ فى فييت باك وكان النصر لنا والهزيمة للعدو، والحقيقة الثانية: دامت بالكاد مدة سنة عندما تغيّر الوضع العالمى بسبب الضعف الاقتصادى والمالى فى فرنسا والنجاح الكبير الذى حققته الثورة الصينية، وعندما بدأنا استراتيجيتنا الدفاعية كان ما يزال ممكنا أن نعمل استعدادات نشطة لتحويل مقاومتنا إلى هجوم مضاد عام وقد احتجنا إلى تنفيذ المبدأ التوجيهى لأكثر نشاط فى المرحلة الجديدة فى وقت أقوى وأسرع معلّقين أهمية أكثر على الاستعدادات لهجوم مضاد عام مستهدفين ضمان نجاح نهائى، وكان التقرير المالى الذى قدمه (لى فان هين) بعد التقرير العسكرى بيّن بوضوح ما الذى تم عمله وما الذى يجب عمله عاجلا فى المرحلة الجديدة ولقد مدح المؤتمرون التقارير بعد أن ناقشوها بدقة وعناية ووافقوا بالإجماع على البيان، ولقد كان بيان المؤتمر السادس لمؤتمر الكوادر وثيقة هامة حدد احتياجات المقاومة العاجلة وواجبنا العسكرى تضمن ضرورة تحطيم حملة العدو التى سيقوم بها خلال الخريف والشتاء، وبعد انتهاء مؤتمر الكوادر عقد الجد هوشى منه اجتماعا لمجلس الوزراء لمدة يومين فى نهاية شهر يناير حيث وصل الوزراء ونواب الوزراء خلال يوم قبل الموعد، وفى صباح يوم ٢٥ يناير

تبادل الجد هوشي منّه وجهات النظر معنا حيث بدأ اجتماع مجلس الوزراء فى تمام الساعة الواحدة ومن خلال مسؤولياته كرئيس للجمهورية ورئيس للوزراء تحدث عن الوضع فى البلاد وفى العالم وواجبات سنة ١٩٤٩، وفى المساء نُظّم احتفال تذكارى للقس (هو نقوك كان) أحد مستشارى الحكومة ردد فيه موضوع التماسك الوطنى عدة مرات خلال الاحتفال.

فى منتصف يناير من خلال مسؤولياتى كقائد عام ومندوب سياسى عام عقدت مؤتمرا لكبار القادة العسكريين والكوادر السياسية لشرح قرار المؤتمر السادس الصادر عن مؤتمر كوادر المستوى المركزى وبحث واجبات الجيش ومناقشة المبدأ التوجيهى الاستراتيجى وخطط عملياتنا وقدمت الخطة العسكرية لسنة ١٩٤٩ التى كانت مستهدفة فى الدرجة الأولى المواقع الضعيفة لعدونا والتى سيكون لها تأثير استراتيجى كبير على جانبنا، كما أن عددا من الحملات الهجومية كانت قد قُررت لتدمير قوة العدو الأساسية وتدمير قوات عملائه ولنضيق مناطق احتلالهم وأن نضمن المبادرة فى أجزاء من الجبهة وفى ساحة القتال الأساسية فى (باك بو) فإن أهدافنا التاكتيكية تكون مناطق (كو – باك – لانق) وفى الشمال الغربى نحن أيضا ننوى أن نحد من ضغط العدو على خلفية المنطقة الداخلية الثالثة فى منطقة (هيو بنه) وفى المنطقة الداخلية الخامسة فإن الهدف الرئيسى يكون (تاى نقويين) فى المرتفعات المركزية وخصوصا منطقتها الشمالية وفى (نام بو) فإن الأهداف الرئيسية تكون مناطق (لونق تشاو سا وتيين ونهر هاو).

فيما يتعلق بلاوس فقد كانت قيادة المنطقة العاشرة قد كلّفت بمساعدة أصدائنا على تكوين وتطوير عدد من قواعد الفدائيين فى شمال لاوس، وفى النهاية خلق منطقة محررة فى شمال لاوس أما قيادة المنطقة الرابعة فهى أيضا مكلّفة بمساعدتهم على إنشاء قواعد فى وسط لاوس والقيادة الخامسة كانت مهمتها أن تساعدهم على تطوير القواعد فى جنوب لاوس وإمكانية النظر فى بناء شيء من ذلك بمرتفعات لاوس،

ومن أجل تنفيذ واجبنا وخطتنا فإننى أعتقد أن أهم ما يمكن أن نعمله على ضوء المشاكل الضاغطة هو بناء قوتنا وخصوصا القوة الرئيسية وأرشدت قيادة الأركان أن تنظّم مؤتمرا حول هذا الموضوع يرئسه (هيونق فان ثاى) رئيس هيئة الأركان العامة وكان على المؤتمر أن يدرس هذه المسائل وتجهيزات القوة الرئيسية، ففى (باك بو) وفى وسط فيتنام كل مقاطعة كان لها قوتها الأساسية وبالتوازى مع إنشاء وحدات القوة الرئيسية صار الاهتمام بالقوات المحلية والميليشيات، وعلى ضوء مقترحاتنا أمرت اللجنة المركزية لجان الحزب المحلية بما يجب القيام به خلال الفترة القادمة وهو أهمية تدريب الضباط والرجال من أجل رفع المستوى السياسى والعسكرى والقدرات التاكتيكية للقوات، وكنت قد ناقشت هذا الأمر مع رفاقى أثناء الاجتماعات القيادية بحيث يمكن القيام بواجباتنا وقررنا تدريب جميع أفراد الوحدات على استعمال البنادق والرشاشات والقنابل اليدوية وعلى حفر الخنادق القتالية، وإلى سبتمبر ١٩٥٠ قبل حملة (بين قوى) استمرت قواتنا الاستراتيجية المتحركة فى الازدياد فهى من ٢٠٠,٠٠٠ جندى فى كل البلاد فقد أصبحت القوة الرئيسية تعد فى أكثر من ١٦٠,٠٠٠ وتشتمل على كتائب وألوية قوية بينما القوات المحلية وصل عددها ٤٥,٠٠٠ ألف رجل وتقدر قوات الميليشيا والفدائيين المدربين للقتال بنحو ٢,٠٠٠,٠٠٠ مليون وبالتالى كانت الظروف ناضجة لفتح حملة مضادة لتحقيق المبادرة فى ميادين القتال الرئيسية.

العمل على ضمان المبادرة فى ساحات القتال الرئيسية:

بداية من يوليو ١٩٤٩ عمل الفرنسيون على استغلال كل جهد لإنجاز الخطة المعاكسة حيث قام من جانب القائد العام للقوات الفرنسية (بلايزوت) بتركيز قواته من أجل احتلال (باك نينه وباك قيان وبوك يين) ومن الجانب الآخر فقد قام بسحب قوات من (باك كان) ومواقع أخرى فى مواقع ثانية، وفى سبتمبر خلف الجنرال (كاربينتير) الجنرال (بلازوت) كقائد للقوات فى الهند الصينية وهكذا

قرر (كاربينتير) تنفيذ سياسة الخطة المعاكسة وهى تنطوى على محاصرة البطـاح فى (باك بو) بواسطة تعزيزات عسكرية قادمة من فرنسا مع زيادة عدد القوات العميلة خلال خريف وشتاء ١٩٤٩ وربيع صيف سنة ١٩٥٠ ولقـد فتحـت القيـادة الفرنسية العديد من العمليات الناجحة لاحتلال (بو تشو وفات ديم)، وكـان فى أكتوبر ١٩٤٩ فى مواجهة مشروع العدو المستهدف التوسع فى احتلاله سهول (باك بو) عززت اللجنة المركزية والقيادة العليا للحزب قيادة المنطقة الداخلية الثالثة بـأن أرسلت (لا ثانه لى) وبعض الرفاق الآخرون إلى هناك، وكان (لى ثانه نيى) قـد عيّن سكرتيرا للجنة الحزب فى المناطق الداخلية بينما عيّن (فان تين دونق) مفوّضـا سياسيا وعضوا مؤقتا للجنة الحزب فى المناطق الداخلية، وبـالنظر إلى النجاحـات ونشاطات العدو المسعورة قامت قيادة المنطقة الداخليـة الثالثـة بتـصعيد حـرب الفدائيين فى كل المنطقة لتحطم العدو واختبار قدراته وفى نفس الوقت فإن الوحدات الرئيسية فى المنطقة الداخلية قاومته بنشاط بحيث عطلت حركته وقامت قوات تلك المنطقة بقتال هجومى فى (تين هونق) ومناطق المقاطعة كما قامت بعمليات خاطفـة وجريئة فى مقاطعة (يونج هو) وكانت سهول (باك بو) قد احتلت لكن الفرنسيين لم يهدئوا المنطقة التى سيطروا عليها بفضل التغيير التـاكتيكى الـدقيق والتوجيـه المناسب حيث تدريجيا تم استعادة المنطقة وتطوير المقاومة التى كبّدت العدو خـسائر كبيرة وأجبرته على تغيير خطته الدفاعية وصارت بالتالى سهول (باك بو) سـاحة قتال فدائى شهير وكانت الكتيبة البطلة الثانية والأربعون قد أطلق عليها العدو اسم كتيبة الشبح لوجود فدائييها فى كثير من مواقع العدو المحتلة، فى هذه الأثناء اجتمـع مجلس الوزراء برئاسة الجد هوشى منّه استمر طويلا وكانت البرقيات ترد تباعا على الاجتماع منبّئة بالانتصارات فى مختلف الجبهات لتقدم كهدية عيد مـيلاد للـرئيس هوشى منّه.

***

ليست خاتمة

لم يحن الوقت للحديث عن سبب الحرب التى لم يتوقع أحد أنها ستستمر ثلاثون سنة، وعلى أى حال، من أجل مراجعة السنوات الخمس فى القتال تحت الحصار، فإذا نحن حسبنا من بداية حرب المقاومة على مستوى مقاومة الأمة فإنها فى الغالب تعتبر أربع سنوات فإننا لابد أن نحاول معرفة لماذا كان جيشنا الصغير مسلحا بالعصى والحراب والسيوف وأمكنه أن يواجه قوات حملة فرنسية حديثة فى حملتها الثانية لاحتلال فيتنام، لابد أن نعرف كيف أن جيشنا وشعبنا استطاعا أن يقفا صامدين فقط، وإنما كانا يزدادان قوة وفى النهاية يدمران المشروع الفرنسى المستهدف إحتلال بلادنا مرة أخرى بالقوة العسكرية، لقد كانت المرحلة الأولى من الحرب ذات أهمية خاصة لأنه بدونها ما كان للمراحل التالية أن تحدث، إن نجاحات السنوات الخمس من قتالنا تحت الحصار نابعة من نضال أمتنا العنيد خلال آلاف السنين ومن روح استقلالنا والاعتماد الذاتى للشعب الفيتنامى، ولقد كان الرفيق (نقويان إ كووك) رمزا لهذه الروح فى بداية القرن العشرين بأفكاره الثابتة وفى كل نشاطه الثورى الذى يقول: إن الشعب يمثل القوة الرئيسية الفاعلة وقد أعتقد أنه لا غنى عن تنظيم وتوحيد كل الفيتناميين فى جبهة متّحدة واسعة من العمال والفلاحين والمثقفين بحيث تكون العمود الفقرى تحت قيادة حزب مخلص ثورى لتطيح بحكم الاستعباد الإمبريالى، وهى لا تكلّف بقتل بعض الملوك والأفندية وهى لا يمكن أن تفرّق التمرد وإنما كل قوة الشعب يجب أن تعبأ ويجب أن ينفجر التمرد المسلح العام فى لحظة مناسبة واحدة، وعموم الناس يجب أن يستيقظوا لما يُحيق ببلادهم وأن الأمة

الفيتنامية لن تعيش مثل العبيد وأنهم يجب أن يناضلوا إلى أن يحرروا أرضهم وأن يحققوا الاستقلال والحرية وإنه من المشرّف لهم أن يضحوا بكل شىء قبل أن يفقدوا بلادهم بحيث يُستعبدوا، ويجب أن يعرف الناس أنهم لابد أن ينتصروا بنضال الشعب المضطهد، وبحرب الفدائيين الفيتناميين، هكذا كان يقول، وخلال الفشل فى الأيام الصعبة عند تمرد (نام كى وباك سون) جنبا إلى جنب مع القرار التاريخى فى الإعداد للتمرد العام المسلح نشأت (الفيت مينه) أى (الجبهة الوطنية المتحدة الفيتنامية) فى المنطقة الجبلية بمقاطعة (باك بو) سنة ١٩٤١ وكانت القرى والكانتونات والفدائيين المسلحين قد أيدوا بكل قلوبهم نشأة الفييت مينه وانتعاشها، بالرغم من الإرهاب الأبيض، ووجود قوات التحرير فى المناطق المحررة وصورة مستقبل فيتنام قبل التمرد العام فقد كان هذا مسلّمة لدى الناس أن تشارك فى حرب دائمة متعددة طويلة مما أعطى ثقة للمحاربين فى ذلك الوقت وعددهم ٥,٠٠٠ آلاف تقريبا فى أن ثورة التحرير الوطنية تستطيع أن تحقق النصر الكامل.

بانتصار ثورة أغسطس سنة ١٩٤٥ نهض خمسة وعشرون مليونا من الفيتناميين عبر البلاد كرجل واحد بروح الحماس فى لحظة تاريخية جاعلين قوة سياسية من الأمة كلها، وبذلك تكوّنت جمهورية فيتنام الديموقراطية دولة ديموقراطية قائمة على تماسك وطنى عظيم عبأت ونظّمت شعبنا للدفاع عن ضمان استقلاله الجديد وحقه المقدس فى الحياة والسعادة، وهكذا فإن خمس سنوات من القتال تحت الحصار أكدت روح النهوض والحياة الجديدة لأمة جربت قرونا من العبودية ولقد خضنا حربا بكل الناس وعلى كل جانب وحققنا منجزات فى كل النواحى، وأود أن أشير هنا إلى منجز عظيم ذو أهمية كبيرة، وهو شعبنا وقواتنا المسلحة بقيادة حزبنا خُلقت العناصر الأساسية لحرب الدفاع والتحرير الوطنى لشعب أرضه ومواطنيه صغيرين، وهذا ما يمكن أن يطلق عليه فن حرب الشعب الفيتنامى فى زمن هوشى منّه، إنه فن حرب الشعب.

إن كل الشعب وكل جوانب الحرب كانت أمثلة رائعة للإبداع المحتمل فقط تحت قيادة حزب طليعى وكان النموذج قد عبّر عنه بوضوح فى كلمات بسيطة وتحفيزية بنداء وجهه الجد هوشى منّه إلى كل الشعب من أجل الالتحاق بالمقاومة فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٦ قال فيه:

رفاقى الأعزاء يجب أن نقف سواء كنا رجالا أو نساء، صغارا أو كبارًا بصرف النظر عن الدين أو السياسة أو العرق إذا ما كنا فيتناميين، إننا يجب أن نقف ضد الفرنسيين الاستعماريين من أجل الإنقاذ الوطنى، وكل من لديه بندقية يجب أن يستعملها، وكل من لديه سيف يجب أن يستعمل سيفه، وإن كان ليس لدينا سيوف فلنستعمل الفؤوس والجرافات والعصى، وكل واحد يجب أن يكافح ليقاتل العدو من أجل الإنقاذ الوطنى.

ومنذ سنتين ماضيتين عندما صدر قرار تأسيس قوات التحرير فى ٢٢ ديسمبر ١٩٤٤ كان قد تحدث عن الحرب بكل الشعب وضرورة تعبئة كل الناس وتسليحهم جميعا.

إنه من المستحيل أن تحصل على تقديرات صحيحة عن الحرب إذا ما نظرنا إليها فقط من جانب واحد، إن مسؤولية ومصلحة الأطراف المنخرطة فى الحرب أن يصر القادة فيها على مطلب تحقيق النصر مجبرين الأطراف المحاربة على إخفاء الحقيقة ليس فقط أثناء الحرب ولكن أيضا بعد انتهائها ولحسن الحظ أن أربعون سنة علمتنا التغلب على هذه الصعوبة؛ ذلك أن الفتوحات الفرنسية الاستعمارية صارت تاريخا وأن القيودات عن حرب الهند الصينية أصبحت بالتدريج معلنة وأن دراسات المؤرخين خلال السنوات الماضية القليلة كشفت الوضع الداخلى للطرف المواجه عبر مدة الحرب وسهّلت المراجعة المطابقة لوجهات نظرنا وسياساتنا، وخلال فترة حرب الهند الصينية كانت الحكومات الفرنسية المتعاقبة كثيرا ما تُنتقد كونها تفتقر إلى الاتجاه الواضح للحرب، والآن يحتمل أن ترى أن قادة الحكومة الفرنسية خلال هذه

السنوات بدءا من (تشارلز ديجول إلى ريني مايير) ينوون باستمرار إعادة احتلال المستعمرات التى فقدوها وإبقاء مهما كلف الأمر بلدان الهند الصينية فى وضع اتحاد الهند الصينية تحتِ السيطرة الفرنسية وحينئذ فهم لن يعطوا أى امتيازات لحكومة هوشى منّه التى تصر على الاستقلال الكامل والحرية والتى قامت بكل المحاولات لتحصل على حل سلمى، ولقد حاول الشيوعيون واليساريون والإشتراكيون المثابرة فى النضال من أجل اتفاق ٦ مارس ١٩٤٦ لكى يحترم ويناقش مع حكومة هوشى منّه، وكانوا دائما أقلّية بين القوى الفرنسية فى المجالس التنفيذية والتشريعية، وبالنسبة للقوى التقدمية الشعبية فى فرنسا فهى تعارض تلك الحرب القذرة ولكنها بالتأكيد كانت تحظى بالتجاهل من طرف دوائر الصقور وحتى أن أصواقما مكبوتة بشكل صريح وكان الطريق الوحيد أمام فيتنام أن تحمل السلاح للدفاع عن الاستقلال والحرية، وكان ذلك اختيار تاريخى.

وإذ كانت فرنسا تعتبر نفسها قوة صناعية عظمى لديها جيش حديث فقد اعتقدت فرنسا الإمبريالية على الرغم من أنها أُضعفت بعد الحرب العالمية الثانية يمكنها أن تعيد احتلال فيتنام بالقوة، وتحطم بسرعة جيش حكومة فيتنام الصغير، وقد افتكروا دبلوماسيا وماليا أن فيتنام كانت تحت وهم عندما واجهت فرنسا بشجاعة، وهذا تقدير خاطئ بالكامل أدى بهم من فشل إلى فشل خلال الحرب، فبالنسبة لهم السلاح يمكنه أن يقهر الرجال، وخصوصا إذا كان أولئك الذين يواجهوهم مجرد فدائيين أضعف منهم كثيرا، وتحت تقييم قوة شعب يناضل من أجل الاستقلال والحرية تكمن ملكية فطرية للإمبريالية بما فى ذلك الإمبريالية الأمريكية فيما بعد، وفى مقابلة مع قيادة الأركان الفرنسية بهانوى استنتج أن ذلك الذى يسمى حكومة وجيش كانا فقط مجرد أفكار فييت مينه وليس هناك جيش نظامى للفييت مينه، والآن بعد مرور أربعون سنة كشف المؤرخون الفرنسيون تقريبا فى تقييم جماعى أنه فى بداية سنة ١٩٥٠ كانت فرنسا قد فشلت فى مشروعها إعادة

احتلال فيتنام بالقوة وقد غرقت فى حرب لا نهاية لها ولم تستمكن من أن تكون منتصرة، ففى السنوات الخمس الأولى من الحرب فيتنام احتلت موقع خاص فى حالة الحرب الحديثة والدفاع الوطنى وتحرير فيتنام؛ حيث إن جمهورية فيتنام الديموقراطية قد حوصرت من كل جانب ولكنها وقفت صامدة وتطورت فى حالة الحرب وكان النظام الديموقراطى الجديد قد حقق الاستقلال والحرية وحقوق الإنسان المقدسة والتى كانت قد تعززت كثيرا من المركزيين إلى مستوى القاعدة بحيث صار لها تأثير عظيم على حرب المقاومة، ومع التقدم فى الدفاع الوطنى والخبرة والاكتفاء الذاتى الاقتصادى تم التغلب على الصعاب الكثيرة وتحقيق احتياجات الشعب والجيش فى الغذاء والملبس والتعليم والصحة العامة التى حصلت على عناية خاصة واستئصال الأمية فى حين أن الناس الذين يعيشون فى المناطق المحررة يتمتعون بثقافة جيدة وكل فرد بما فى ذلك الناس الذين فى المناطق الواقعة تحت سيطرة العدو يتعاطفون مع الجنود ويكرهون الغزاة وكانوا حازمون لتنفيذ حرب المقاومة إلى أن يتحقق النصر النهائى، ومثل تلك المناطق الخلفية كانت مشجعة للمحاربين كى يقاتلوا بشجاعة فى ساحة الحرب، فمن العصى التى كسرت قيودهم إلى النهوض فارغى الأيدى، قاتل شعبنا بعناد ضد العدو، فبعد خمس سنوات من الحرب وقع الغازى العدو فى صعوبات مروّعة وفى معضلة لا حل لها ونحن بدأنا فى إعداد القوات لتوجيه ضربة قاسمة للعدو الذى لا يمكن أن يردّها.

ولقد قمنا بحرب كل الشعب فى كل اتجاه وكوّنا دولة كل الشعب بالشعب ولكل الشعب، ولقد انتشرت حرب شعبنا من الجنوب إلى الشمال وقواتنا المسلحة خلقت تقدما فى القتال، ونقول شكرا لكل الفروع الثلاثة فى قواتنا المسلحة، إن هذه الإنجازات والخبرات لا تشهد فقط على روح الاعتماد على النفس للشعب الفيتنامى ولكنها أيضا أظهرت الاستقلالية وضبط النفس لدى القيادة فى حربنا الثورية التى كانت نموذجية، إن النصر الكامل فى حرب الدفاع عن النفس والتحرير التى دامت

ثلاثون سنة كانت تمثل انتصار عظيم فى تاريخ العالم الحديث؛ حيــث إن مــستعمرة سابقة صغيرة وأمة نصف إقطاعية باقتصاد متخلف فى الشرق هزمت جيوش حديثــة لقوتين غربيتين عظيمتين، إن إنجازات وخبرات جيشنا وشــعبنا خــلال الــسنوات الخمس من القتال تحت الحصار شكّلت المبانى والقاعــدة الأولى لــذلك الانتــصار العظيم.

انتهى بفضل الله..

***

كتب صدرت للمؤلف،،،

١ـ المسطرة الحاسبة سنة ١٩٦٦م – أعيد نشره ثلاث مرات.

٢– هندسة الراديو والتلفزيون ١٩٦٧م – أعيد نشره أربع مرات.

٣– حرب الشرق الأوسط بين الحقيقة والخيال ١٩٦٧م – أعيد نشره مرة واحدة.

٤– مستقبل التلفزيون الملون ١٩٦٨م – أعيد نشره مرة واحدة.

٥– مذكرات جندى فى سيناء، ترجمة ١٩٦٨م.

٦– مولد دولة إفريقية، ترجمة ١٩٧١م – أعيد نشره مرة واحدة.

٧– ثورة الأدغال فى أفريقيا، ترجمة ١٩٧٨م.

٨– وثائق الوحدة لا وثائق أكتوبر تأليف ١٩٧٩م – أعيد نشره مرتان.

٩– خرافة الستار الحديدى حول بلاد السوفييت، تأليف ١٩٨٠م – أعيد نشره. وترجم إلى عدة لغات منها الروسية والدارية والألمانية.

١٠– نفط الشرق الأوسط وأزمة الطاقة فى العالم، ترجمة ١٩٨١م – أعيد نشره مرة واحدة.

١١– الاتحاد السوفييتى نظرة من الداخل، تأليف ١٩٨٥م – أعيد نشره وترجم إلى عدة لغات كالإنجليزية والروسية والدارية والألمانية.

١٢ تاريخ المخابرات الإسرائيلية، ترجمة ١٩٩٠م.

١٣– عدوى نفسى، أسرار الانتفاضة الأولى، ترجمة ١٩٩٠م – أعيد نشره مرة واحدة.

١٤- الفقى مصباح مؤذن الفجر، رواية، تأليف ١٩٩١م - أعيد نشرها مرة واحدة.

١٥- مذكرات ذو الفقار على بوتو، ترجمة ١٩٩٣م - أعيد نشره ثلاث مرات.

١٦- تدمير العراق بعد ١٣٥ يوما من المبادرات الدولية، ترجمة ١٩٩٣م.

١٧- حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربى، تأليف ١٩٩٣م.

١٨- قائد معركة القارة ومعارك القبلة، سالم بن عبدالنبى، تأليف ١٩٩٣م.

١٩- تاريخ الشعوب الإسلامية فى الاتحاد السوفييتى سابقا، ترجمة ١٩٩٩م.

٢٠- الجهاد الوطنى أدب وتاريخ، تأليف، ١٩٩٩م - أعيد نشره مرة واحدة.

٢١ تاريخ الإسلام والمسلمين فى البوسنا والهرسك، ترجمة ٢٠٠٠م.

٢٢- قبرص من معاوية إلى أجاويد، تأليف ٢٠٠٠م - أعيد نشره وترجم إلى اللغة اليونانية والتركية.

٢٣- مسافر يبحث عن الموت، جزء أول، رواية، تأليف ٢٠٠٠م.

٢٤- ليلة الحلم الطويل رواية، تأليف ٢٠٠١م.

٢٥- شهداء الكردون العشرة، تأليف ٢٠٠١م.

٢٦- مسافر يبحث عن الموت، جزء ثانى، رواية، تأليف ٢٠٠٢م.

٢٧- أزمات السودان بين الديموقراطية والديكتاتورية، تأليف ٢٠٠٣م.

٢٨- الليبيون والثورة الجزائرية، تأليف ٢٠٠٤م.

٢٩- حجارة من سجيل، الانتفاضتان، دروس ونتائج، تأليف، مخطوط.

٣٠- رحلة فى الصحافة، ١٩٦٠- ١٩٩٥م، مخطوط.

٣١- جمال عبدالناصر رجل العرب تأليف - ٢٠٠٨م.

٣٢- إسهامات الليبيين فى النضال الفلسطينى من الحسينى إلى عرفـــات تـــأليف، ٢٠٠٥م.

٣٣- الجهاد الوطنى أدب وتاريخ، الجزء الثانى، تأليف ٢٠٠٥م.

٣٤- الفقى مصباح في مستشفى المجانين، رواية، جزء ثانى ٢٠٠٥م.

٣٥ - انهيار الاتحاد السوفييتى والتغييرات المدوية في العالم - تأليف، ٢٠٠٦م.

٣٦- تاريخ أفريقيا السمراء - ترجمة - ٢٠٠٧م.

٣٧- معركة العميان واحدة من معجزات الجهاد الوطنى الليبى -تأليف- ٢٠٠٨م.

٣٨- الغموض النووى فى التسلح الإسرائيلى - ترجمة - ٢٠٠٨م.

٣٩ - مذكرات الجنرال الفيتنامى جياب - قتال تحت الحصار - ترجمة تحت الطبع ٢٠٠٩م.

٤٠- تاريخ بلدان وشعوب أفريقيا ترجمة - تحت الطبع ٢٠١٠م.

مسرحيات:

١- المجد فى أربعة فصول.

٢- صخب المدينة فى فصلان.

٣- الجشع فى أربعة فصول.

٤- الرجل الذى لم يفقد الانتماء فى خمسة فصول.

٥- وطن في محنة بين مشفق وشامت في أربعة فصول.

الفهرس

طبع بدار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين ت: ٢٧٩٤٢٠٧٩

هذا الكتاب

عندما فكرت في ترجمة مذكرات الجنرال الفيتنامي الفذ (جياب) وهذا الاسم الذى اشتهر به بين أعظم العسكريين في العالم المعاصر . رجعت إلى أوراقي ومقالاتي القديمة عن هوشى منه والحرب الفيتنامية التى نشرت في الصحف أبحث فيها بحيث أتذكر أحاديث المناضل الذى قاد شعبه الفيتنامي إلى الاستقلال وانتصر على أقوى قوى العالم عسكريا . ومنها فرنسا في عز عنفوانها والولايات المتحدة الأمريكية في أوج قوتها وغطرستها .ذلك هو (هوشى منه).

وأنا من المعجبين كثيرا بالشعب الفيتنامي ونضالاته الطويلة وانتصاراته الرائعة وكنت أتمنى أن تكون تلك النضالات درسا للشعب العربي وحكامه بحيث يمكنهم أن يحققوا شيئا من الحق المفقود والكرامة المهانة ولكن مع الأسف فإنه كما قيل (من يهن يسهل عليه الهوان)...

مذكرات الحرب

الجنرال/ فو نقوين جياب